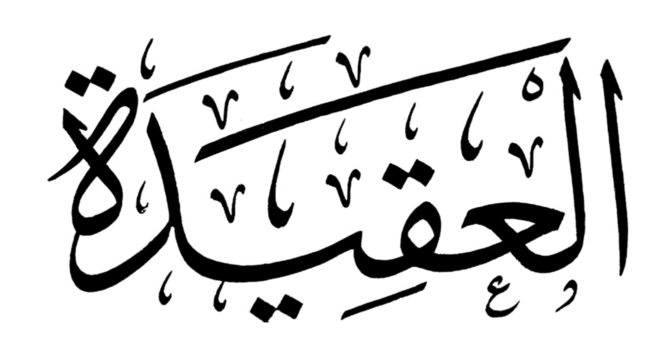


فصلية تعنى بمسائل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد

ربيع الثاني ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م - العدد (٧) - السنة الثالثة

تصدر عن

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية

النجف الأشرف

**الموقع الالكتروني:** www.iicss.iq

**الإيميل:** info@iicss.iq

islamic.css@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحیم

## قواعد النشر

- ❖ الموضوعية العلمية وعدم استخدام اللغة الجارحة.
- ❖ يتمّ تقييم البحوث من قبل لجان المجلة، وعلى الباحث إجراء التعديلات المطلوبة.
- ❖ يخضع تقديم وتأخير البحوث لظروف فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.
- ❖ المادة المنشورة تعتبر ملك المجلة، ولها الحق في إعادة نشرها وطبعها ضمن كتاب أو ترجمتها إلى لغة أخرى.
- ❖ يفضّل أن لا يزيد البحث عن أربعين صفحة.
- ❖ للمجلة الحق في حذف وتلخيص ما لا يتناسب مع أهدافها.
- ❖ يفضل إرسال البحوث مصفوفة على برنامج وورد.
- ❖ المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ❖ إرسال نبذة عن السيرة الذاتية للباحث مع رقم الهاتف والايميل.
- ❖ الالتزام بالرأي المشهور عند علماء الشيعة.
- ❖ تمنح مكافئة تقديرية لكل باحث بعد طباعة بحثه.




الموقع الالكتروني للمركز
www.iicss.iq

البريد الالكتروني للمركز
Islamic.css@gmail.com

البريد الألكتروني للمجلة
aqeedah.m@gmail.com

# محتويات العدد







# رؤية الإمام علي عليه السلام إلى نظام الحكم في الإسلام

أ.د. دلال عبّاس(*)

**تمهيد:**

يهدف هذا البحث إلى توضيح النظريّة التي وضعها الإمام عليّ عليه السلام، لما يجب أنْ يكونَ عليه نظامُ الحكمِ في الإسلام، من خلال كتابه عليه السلام إلى مالكٍ بنِ الحارثِ الأشترِ النخعيِّ في عهده إليه حين ولّاه مصرَ، جبايةَ خَرَاجِها وجهادَ عدوّها، واستصلاحَ أهلِها، وعِمارةَ بلادِها.

سندرس هذا النصّ [العهد]، الذي يحدّد فيه الإمامُ عليه السلام للوالي [الحاكم] مهامَّه وعَلاقته بالرعيّة، بالإضاءة على بنيته للوصول إلى دلالاته، وتبيان التداخل بين عناصره الداخليّة والخارجيّة، وبينها وبين النصّ القرآني والسنّة النبويّة. انطلاقا من حديث الثقلين ومن الآيات القرآنيّةِ والأحاديثِ النبويّة التي تؤكّد على الترابط الذي لا ولم تنفصم عراهُ بين القرآن وأهلِ البيت عليهم السلام، الذين جاءت سيرتهم ترجمةً لأحكام القرآن وتجسيداً لمبادئه، وانطلاقاً من كون الإمام عليٍّ عليه السلام، هو الأذنُ الواعيةُ لكتاب الله عزّ وجلّ فهماً وتطبيقاً واجتهاداً. وسنقرأ تالياً النصَّ

(*) الجامعة اللبنانيّة - الدراسات العليا.

قراءةً سياسيّةً وقراءةً نفسيّة وقراءةً تاريخيّةً، فضلاً عن قراءته قراءة دينيّة، تؤكّدُ تطبيق الإمام عمليّاً ونظريّاً لمبدأ **العدل** كما أمر به الله عزّ وجلّ، من منطلق التقوى، كما ورد وصفها في القرآن والسنّة الشريفة، معياراً لكرامة الإنسان، وما ينبثق عنها من تسامحٍ وتآخٍ وتراحم.

من السّطر الأوّل يحدّد الإمام دورَ الوالي [الحاكم] بأنّه اقتصاديٌّ، عسكريٌّ، رعائيٌّ، عمرانيٌّ [جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعِمارة بلادها]، ثمّ يلجأ إلى التفصيل متدرّجاً: فيحدّد مواصفات الحاكم وصفات معاونيه ومستشاريه ووزرائه، وعلاقته بهم، كما يحدّد طبقات المجتمع وفئاته، ودورِ كلّ طبقة أو فئة من الناس، وواجباتها وحقوقها، وعلاقتها ببقيّة الفئات، وتثبيت مفهوم الحقّ وبيان وجوهه : حقّ الله على الحاكم، وحقّ الرعيّة على الحاكم، بحيث يربط الإمام بين الجانبين الدينيّ والدنيويّ ترابط تلازم وحتميّة.

النصّ دعوةٌ من عليّ عليه السلام : إلى ممارسة الحكم كما يجب أن يكون، لا كما هو في الواقع، أو كما كان من قبل.

وسنبيّن أنّ زمان النص على الرَّغم من أنّه زمانٌ تاريخيّ، إلّا أنّه زمانٌ عامٌّ مطلقٌ، متحرّكٌ على مدى الدهر، يكفي أن نستبدل بألفاظ الخليفة والوالي والخراج والعِمارة، وغيرها، ما يقابلها من مصطلحات حديثة، لنقعَ على نصٍّ سياسيٍّ معاصر، سابقٍ لعصره، ولظروف عصره، نصٍّ مطلق لا يحدّه زمان ولا مكان.

## مقدّمة عامّة

حين سُئل المتنبي لمَ لم تمدح علياً عليه السلام أجاب:

| | |
|---|---|
| **وتركـتُ مـدحي للـوصيّ تعمُّـداً** | **إذ كان نـوراً مسـتطيلاً شـامخاً** |
| **وإذا استطـال الشـيءُ قام بنفسـه** | **وصفاتُ ضوءِ الشمسِ تـذهبُ بـاطلاً** |

لكنَّ شمس عليّ لا تزال منذ أربعةَ عَشَرَ قرناً ونيِّفٍ تسطعُ كلماتٍ يُنتَفعُ بها، ما بقيَ الليلُ والنهار، متوهِّجةً على الرَّغمِ من الغيومِ المصطنعةِ والمُفتعلةِ التي حجبتها في بعضِ الأحايين؛ فعليٌّ واحدٌ من قلَّةٍ من البشر الربّانيّين الذين اختارهم المولى عزَّ وجلّ ليرسموا بسيرتهم وبدمائهم، وبما سطّرته أيديهم من كلماتٍ الطريقَ إلى حياةٍ حرّةٍ كريمةٍ على الأرض، حياةٍ غيرِ منبَتَّةِ الصلةِ بالحياة الأخرويّة.

حسبُ عليٍّ فخراً أنّه ما قال في حياته كلمةَ باطلٍ، وما قال إلّا صدقاً، وما قال ما لا يفعل؛ وما استطاع أحدٌ على الرَّغم من شدّةِ الكيدِ الذي كيدَ له، والشنآنِ الذي قوبل به، أنْ ينسبَ إليه أنَّه أعلنَ غيرَ ما أضمرَ، أو أنّ أفعاله كانت مناقضةً لأقواله. وهو منذ نعومة أظافره تلميذ خير البريّة، وتلميذ القرآن مذْ نزلت أولى آياته. عاش كتابَ الله بكلِّ كيانه وبما حباه الله من فهم، يتلوه نهاراً وآناءَ الليلِ، يُجلي غوامضه، ويسبُرُ أحكامَه، ويتأمل أبعادَه وأعماقه. فهو "الأُذُنُ" الواعيةُ[١]، كما وصفه الله عزَّ وجلّ، وهو القرآن **الناطق**، باقٍ ما بقي الدهر، فهو القائل: " يا كُميل، هلك خزَّانُ الأموالِ وهم أحياء، والعلماءُ باقون ما بقيَ الدهر: أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة"[٢]، من يستطيعُ إحصاءَ ما كُتِب عن عليّ وفي حقِّ عليّ، وما سيُكتب في القابل من الأيّام؟

هذه الورقة تبغي الإجابَة عن السؤال الذي يتكرّر طرحه عندما يريد أحدٌ

أن يتحدّث عن عليّ؛ أصحيح أنّ عليّاً أرادها خلافةً دينيَّةً؟[٣] وهل يمكن لنظام حكم دينيّ طوباويٍّ أن يُناسب الأرضيين؟

الإجابة المفترضة المستمدّة من سيرة عليٍّ ومن نهج البلاغة، هي أنَّ عليّاً أراد أن تكون الدولة الدنيويّة المدنيَّةُ مستمدةً جذورها وعناصرَ كيانها ووجودَها من كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه، وأنْ تسير في معالجتها الشؤونَ العامّة والخاصّة، على الصراط الذي رسمه كتابُ الله، وحدّده وبيّنه ووضّحَهُ رسول الله في سنّته. أي إنّه أرادها دولةً دنيويّةً غيرَ مقطوعةِ الصلةِ بالآخرة، وشاءها دنيا مرتبطةَ المصير بإرادة الله عزّ وجلّ...

والدولة الدنيويّة، المرتكزة على أُسس الدين والإيمان، المتمثّلَةُ برجال يخافون الله عزّ وجلّ، لا يداهنون في الدين، ولا يُساومون على حقّ، ولا تعمي أبصارَهم الأموالُ الصفراءُ والبيضاءُ والسوداءُ المشبعةُ برائحة النفط، يستوحون تدابيرهم وأحكامهم من المبادئ الخُلقيّة، النابعةِ من القيم التي من دونها لا يقوم مجتمع، ولا يسودُ في البشرِ حقٌّ ونظام.

منذ اللحظة التي بويع فيها الإمام بالخلافة، عزل الولاةَ الذين استباحوا الغنائمَ المحظورة وتمرّغوا بالدنيا، وطمعوا وأطعموا حاشيتهم ببيت مال المسلمين، وأثاروا على عثمان سخط أهل السواد (حين جعلوه بستان قريش)، وسُخْطَ الفقهاءِ والحفّاظِ الغيورين على فضائل الدين، كما ردّ القطائعَ التي صُرفت عن وُجوهها التي جُعلَت لها، من إصلاح المرافقِ وإغاثة المفتقرين إليها على شرعة الإنصاف والعدلِ التي أمر بها الدين... وحين وجّهَ الولاة الجددَ إلى الأمصار زوّد كلَّ واحدٍ منهم بكتاب يحدّد له فيه مهامَّه، وإن استجدَّ أمرٌ طارئٌ آخر، يبعث إليه كتاباً يهديه فيه إلى سبيل النجاة..

في كتبه كلّها [دساتير الدول] يحدّد الإمامُ للوالي [الحاكم] صفاتٍ يجب أن تتوافر فيه، وفي جميع الذين يختارهم لمساعدته من كبار الموظّفين، صفاتٍ متفرّعة من قاعدتين أساسيّتين هما التقوى والعدل.

لم يطلب إلى عمّاله، أمراً لم يقم هو نفسه به، فقد كان تعليمه لهم بسيرته، قبل تعليمه بلسانه: مارس السياسة وشؤون الحكم في حياة النبيّ، لا سيّما حين كان والياً على اليمن، وفي عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل، في مراقبة أعمالهم، وتقديم النصيحة لهم حين تقتضي الضرورة ذلك. ومن المشهور أنّه حين كان والياً على اليمن أبى على بعض الصحابة أن يركبوا إبلَ الصدقةِ، وأقالَ العامل الذي أذِن لهم أن يركبوها في غيبته، وهو منصرفٌ إلى الحجّ. وشاعت هذه القصّةُ لأنّ أناساً شكوه إلى رسول الله ﷺ، فأنكر شكواهم وقال «لقد علمتُ أنّه جيشٌ في سبيل الله»[٤].

أمّا الكتاب الموجّه إلى **مالك الأشتر**[٥]، أطول عهود عليٍّ وأجمعها[٦]، فيمثّل التطبيق العمليّ للمفاهيم الدينيّة الكلّيّة (القرآنيّة والحديثيّة) على أرض الواقع، بعد اتساع رقعة الدولة، وخروجها من نطاقِ الحجازِ إلى الأمصار البعيدةِ، التي أسلمَ أهلُها على أملِ الشعورِ بإنسانيّتهم التي وعدهم بها الدين، وانتهكها ولاة الجَوْر، لا سيّما في مصر، التي شهدت في تاريخها الممتدّ إلى غابر الأزمان أنظمة سياسيّة واقتصاديّة ورعائيّة مختلفة، ومنها خرج معظم الثوّار المطالبين الخليفة الثالث بإقالة ولاة الجور، والمتطلّعين إلى نظامٍ عادلٍ كالذي وعدهم الدينُ به .

لكنّ خلافة عليٍّ لم تستمرَّ أكثر من أربع سنواتٍ ونصف السنة، أي إلى حين استشهاده في ١٧ رمضان سنة ٤١ ه [٢٤ ك ٢ ٦٦١م]، أمّا الأشتر فاستُشهد قبل أن يؤدي مهمّته، لذلك فإنَّ ما دعا إليه الإمام بقيَ أنموذجاً معياريّاً للحكم المرتجى المطلوبِ، والبعيدِ المنال، بعد الانقلاب الأمويّ على نظام الخلافة، في ظلِّ الخلفاء

الأباطرة، والسلاطين الذين جعلوا الدين إيديولوجيا للحكم، يُسوّغون به ظُلمَهم وتحكُّمَهم برقاب الناس، منذ اللحظة التي أعلن فيها معاوية في مسجد المدينة[٧]، في عام الجماعة سنة ٤١ هـ / ٦٦٣ م أمام الناس أنَّه وليّ الخلافة (الملكَ) ليس بمحبّة علمها من القوم، وإنّما لأنّه جالدهم بسيفه مجالدةً. معلناً صراحةً القطعَ مع مؤسّسةِ الخلافة، من دون أن يتطرّق إلى الكتاب والسنّة، محدّداً الطريق الذي سيسلكه: طريقٌ لهم وله فيه منفعةٌ متبادلة: مؤاكلة حسنة ومشاربةٌ جميلة: المِكيافيليّة بأوضح مظاهرها وتجليّاتها...

وإذا كان التاريخ الإسلاميّ لم يَعدَمْ طيلة ما يقارب خمسة عشر قرناً بعضَ الحكّام الصالحين، هنا وهنالك في أنحاء العالم الإسلاميّ شرقاً وغرباً، إلّا أنّ الدولة الإسلاميّةَ المرتجاة، كما وصفها عليٌّ عليه السلام، ظلَّت حلماً مرتجى، لنشاهدَ تجليّاتها في العصر الحديث في بعض الأنظمة الاجتماعية العالميّة، أو محاولة تطبيقها منذ العقد الثامن من القرن العشرين عملياً في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة...

بدأ الكتاب بتحديد دورِ **الدولةِ الإسلاميّةِ** ووظائفها وسماتها:

الدولة الإسلاميّة، رأسُها **الخليفة**: المرجِع الدينيّ والزمنيُّ الذي عليه أن يراقبَ سيرَ الأمور في الولايات، والوالي هو الذي يتولّى حكمَ أحد الأمصار [هو اليوم رئيس الجمهوريّة أو رئيس الوزراء]، وصف الخليفة نفسه بأنّه **عبدُ الله**، مع ما يعنيه ذلك من تأكيدٍ على السير على هَدْيِ كتابِ الله، وليس إمبراطوراً يملك الأرضَ ومن عليها.

**الوالي**: يُعيّنه الخليفة، ويحدّد له دوره ومهامّه، هو عبدٌ لله كذلك، هو الحاكم لكنّ الخليفة الذي ولّاه يراقب عمله، والله فوق من ولّاه، وأَمَرَه أن يردّ إلى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب، والردُّ إلى الله معناه الأخذُ بمحكم كتابه،

والردُّ إلى الرسول معناه الأخذ بسنَّتِهِ الجامعة غير المفرّقة.

**في المقدّمة أجمل كذلك الكلامَ على مهامّ الحكومة:**

**هذا ما أمر به عبدُ الله عليٌّ أميرُ المؤمنين مالِكَ بنَ الحارثِ الأشترَ في عهده إليه، حين ولّاه مصرَ: جِبايةَ خَراجِها، وجهادَ عدوِّها، واستصلاحَ أهلِها، وعِمارةَ بِلادِها.**

١- **جباية الخراج** (استيفاء الضرائب لتأمين ميزانيّة الدولة)

٢- **جهادُ العدوّ.**

٣- **إصلاح أهل البلاد**: أي: النظر في أمورهم المعاشيَّة والحياتيّة، وإصلاح نفوسهم.

٤-**عِمارة البلاد.**

**صفات الوالي [الحاكم أو الرئيس]:**

يجب أن يكون **تقيّاً** مطيعاً لله متّبعاً ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه، وأن ينصر الله بقلبه ويده ولسانه، وأن يكسر نفسه من الشهوات ويزعُها عند الجمحات، **لأنّ النفس أمّارة بالسوء الّا ما رَحمَ الله.** عليه أن يلبّي طموحات الناس وتوقّعاتهم: هؤلاء الذين جرت عليهم (كما هو حال أهل مصر) دولٌ من عدلٍ وجور، سينظرون في أموره مثل ما كان هو ينظر إلى الولاة من قبله، وسيقولون فيه ما كان يقوله فيهم:

هذا كلامٌ موجّه إلى الحكّام في كلّ زمان ومكان، لا سيّما أولئك الذين يتولّون حكم البلاد بعد ثورة شعبيّة تطيح الحكّامَ الفاسدين. سيقارن الناس بينه وبين

من سبقه، لذلك يجب أن يكون عند حسن ظنّ الناس به، **وإنّما يُستدلُّ على الصالحين بما يُجري الله على ألسُن عباده.** أن يكونَ **العملُ الصالحُ** أحبّ الذخائر لديه، وأن يملك هواه ويعفَّ عمّا لا يحلّ له، ولا يجب أن يتبجّح بعقوبةٍ(٨)، وأن ينتبه إلى ما يبدر عنه من الحدّة عند الغضب، وألا يقول إنّي مؤمَّرٌ آمرُ فأُطاع.

ويجب على الحاكم أن **يتواضَع** ويتذكّرَ عِظَمَ ملكِ اللهِ فوقَه وقدرته منه، وأنْ لا يُسامي الله في عظمته ويتشبّهَ به في جبروته.

ويجب أن يكون الحاكم **منصِفاً**: وذلك بأنْ يُنصِفَ الله ويُنصِفَ الناسَ من نفسه ومن خاصّةِ أهله وبِطانته.

وألا يكون ظالماً، ويجتهد في إرضاء عامّة الشعب، من دون الخاصَّة المقرّبين، لأنّ هؤلاء أي الخاصّة [البطانة]، يُثقلون عليه بالحاجات والمسائل والشفاعات.

ومن صفات الحاكم أو المسؤول العادلِ المنصفِ أن لا يتفرّد في الحكم، وأنْ يكونَ له مستشارون، وأن يُحسِنَ اختيار مستشاريه:

**والمُستشارُ**، لا يجب أن يكون نمّاماً مُظهراً لمعايب الناس، ولا **بخيلاً** يعدل بالحاكم عن الفضل ويعِدُه بالفقر، ولا **جباناً** يُضعفه عن الأمور، ويُحبطُ عزائمَه، ولا حريصاً **يُزَيِّنُ** له الشّرَهُ بالجَوْر، لأنَّ **الجبنَ والحِرصَ غرائزُ شتّى يجمعها سوءُ الظنِّ بالله.**

وعلى الحاكم **العادلِ** المنصفِ أن يُحسنَ اختيار **وزرائه**: ولا يجب أن يكون **الوزير** المختارُ، قد خدمَ الأشرار السابقين، لأنّ الظلمَ وتحسينه يكون قد تملّك من نفسه، والله عزّ وجلّ قد نهى عن اتّخاذ المُضلّين عضُداً، ويمكنه أن

يختارَ من له مثلُ آرائهم ونفاذِهم، وليس عليه مثلُ آصارهم وأوزارهم وآثامهم.

- على الحاكم أن يؤثِرَ ويُقرّب من مستشاريه ووزرائه **أقولَهُم بمُرِّ الحقِّ له.**

- على الحاكم أن يَلصَقَ بأهل الورع والصدق، وعليه أنْ يعوّدَهم أنْ لا يمدحوه في وجهه، ولا يبجّحوه بباطلٍ لم يفعلْه، كما هي عادة بِطانةِ الحكّام، وكان عليٌّ عليه السلام القدوةَ حين قالَ للرجلِ الذي أثنى عليه في وجهه ثناءً أوسعَ فيه، وكان عنده متّهماً: **أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.**

- وعلى الحاكم أو المسؤول **أن لا يكون المحسنُ والمسيءُ عنده بمنزلة سَواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة:**

إنّه قانونُ **الثواب والعقاب،** الذي يجب أن تسير عليه الدول في مختلفِ مؤسَّساتها ليستقيم أمرُها.

- وعليه أن لا ينقضَ السنن الصالحة التي عملَ بها من كان قبله وكان فيها صلاحٌ للرعيّة.

- وعليه أن يكثر من مُدارسة العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلُح عليه أمرُ البلاد، ولا يكون متفرّداً برأيه.

- ويجب عليه أن يحسم مادّة المتطاولين من خاصّته وبطانته، بأن لا **يُقطعهم قطيعة،** ويعقِدَ لهم عُقدةً تضرُّ بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك [تلزيمات الطرق والمباني ونظائرها في عصرنا الحالي]، يحملون مؤونته على غيرِهم، فيكونَ لهم غنمُه وعليه غُرمُه وعيبُه في الدنيا والآخرة.

- يجب على الحاكم أو المسؤول أن يُخصّص قسماً من وقته لذوي الحاجات، ويجلس لهم مجلساً عامّاً يتواضع فيه لله الذي خلقه، وأنْ يُقعِدَ عنهم جُندَه وأعوانه

من حرسٍ وشرطة كي يكلّمه متكلّمهم من دون خوف أو وجل، فقد قال رسول الله: «**لن تُقدّس أمّةٌ لا يؤخَذُ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير مُتَتَعتِع**».

### صفات الحاكم النفسيّة:

- يحذّره من الإعجاب بنفسه، والثّقةِ بما يعجبه فيها، وحبِّ الإطراء.
- يحذّره من المنّ على الرعيّة بإحسانه، لأنّ **المنّ يُبطل الإحسان**.
- أو التزيّد في ما كان من فعله لأنّ **التزيّدَ يذهبُ بنورِ الحقّ**.
- أو أن يَعِدَ الناس بأمرٍ فيُخلِفَ الوعدَ، لأنّ الخُلفَ يوجبَ المقت عند الله والناس، وقد قال تعالى ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوا مَا لَا تَفْعَلُوْنَ**﴾.
- يحذّره من أن يتعجّل الأمورَ قبل أوانها، أو التساهل فيها عند إمكانها: أي أن يضع كلَّ أمرٍ موضِعَه.
- أن لا يستأثر بما الناسُ فيه أسوة.
- عليه أن يكون منصفاً، فيتذكَّرَ ما مضى لمن تقدّمه من حكومة عادلة، أو سنّة فاضلة، أو أثرٍ عن النبيّ أو فريضة في كتاب الله.

### الرّعيّة (الشعب):

- يجب أن يكون الحاكم رحيماً ومحبّاً للرعيّة، ولطيفاً بهم. وأن لا يكون سبعاً ضارياً يغتنمُ أكلَهم [ ديكتاتوراً]، **فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق**، وأن لا يميّز بين الناس على أساس الدين أو المذهب أو العرق، فالناس كلّهم نظراء في الخلق: أعلى قمم **الإنسانيّة**، في عصر كان فيه بعض العرب الفاتحين إن لم نقل جلّهم، يعاملون سكّان البلاد المفتوحةِ معاملةً عنصريَّة مناقضة لتعاليم الإسلام، جملةً وتفصيلاً، ولقوله عزّ وجلّ " إنّ الذين آمنوا، والذين هادوا،

والصابئين والنصارى من آمن بالله واليومِ الآخِرِ وعَمِلَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون" (٩)

ومع قوله عزّ وجلّ: " إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، إنَّ اللهَ يفصِل بينهم يومَ القيامةِ، إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ شهيد"(١٠)

**يقول له: أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أنْ يعطيكَ الله من عفوه وصفحه فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقَك والله فوقَ من ولّاك.**

هذه هي الحكومة الدنيويّة - الدينيّة: الله هو الحاكم من خلال كتابه، والخليفة (وليّ الأمر) يعمل بما أمر الله به، ويراقب مدى التزام الحكّام الذين يعيّنهم بالنظام المستمدّ من القواعد العامة التي وردت في كتاب الله:

إنّ أيّ مخالفة يقوم بها الحاكم، وأيّ إجحاف بحقّ الرعيّة، إنّما هو تحدٍّ لله عزّ وجلّ:

**ولا تنصبنّ نفسك لحربِ الله، فإنّه لا يَدَيْ لك بنقمته.**

والرعيّة: **الشعب،** طبقات أو فئات، لا يصلح بعضُها إلّا ببعض ولا غنى لبعضها عن بعض: الجند، والكتاب والقضاة، والعمال (الموظفون)، ومؤدّو الجزية والخراج [الضرائب] من التجّار وذوي الصناعات، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة المحتاجين إلى الرفد والمعونة.

**واعلم أنّه ليس شيءٌ بأدعى من حسن ظنِّ راعٍ برعيّته من إحسانه إليهم وتخفيف المؤونات عليهم، لأنّ إحسانه إليهم يجعلهم يُحسنون الظنَّ به، ولا ينتهزون الفرصة لعصيانه.**



**الجيش**: الجنود حصن الرعيّة وسُبُل الأمن، وليس تقوم الرعيّة إلّا بهم، لذلك يجب أن يُخَصّص جزء من الخراج (من ميزانيّة الدولة) للجنود يتقوّون به على جهاد عدوّهم، ويكون ملبّياً لجميع حاجاتهم دافعاً لها. أما **أمراء الجيش** من الجنود، فلا يجب أن يُوَلّى منهم، إلّا من كان أنصحَهم لله في ظنّه وأطهرَهم جيباً، أي: عفيفاً أميناً، كي لا تبدرَ منهم خيانة، أو يطمعوا بالغنائم، الرحماء الذين يكثُرُ ذكرُ أفعالهم لتهزَّ الشجاعَ وتحرِّضَ الناكل.

ويجب على رؤساء الجند أن يتفقدوا أحوال جنودهم كما يتفقد الوالدان ولدهما. ولا ينقصوهم شيئاً مما فُرضَ لهم، كما يجب أن يشمل العطاء أهل الجنود وعوائلهم.

**القضاة :**

يجب أن يكون القاضي من أفضل الرعيّة، لا تضيق به الأمور، ولا تمحّكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلَّة ولا تُشرف نفسه على طمع، لا يكتفي بأدنى فهمٍ دون أقصاه، ولا يقف عند الشبهات، وإنّما يأخذ بالحجج، ولا يتبرَّم بمراجعة الخصم، ويصبر إلى أن تتكشَّف له الأمور، ويكون صارماً عند اتضاح الحكم، لا يزدهيه إطراءٌ، ولا يستميله إغراءٌ، ومثل هؤلاء القضاة برأي الإمام قليلٌ عددُهم.

النقطة اللافتة، التي تسيرُ عليها الدول الحديثة، هي أن تكون رواتب القضاة مرتفعة، ومكانتهم كذلك، كي لا يتعرّضوا للإغراءات الماديّة، فتنحطّ منزلتهم، وتخضع أحكامهم لأهواء الراشين يقول الإمام... **وافسح له [للقاضي] في البذل ما يُزيل علّتَه وتقلُّ معه حاجته إلى الناس، واعطه من المنزلةِ لديك ما لا يطمع فيه غيرُه من خاصّتك، ليأمنَ بذلك اغتيال الرِّجالِ له عندك. فانظر في هذا**

**نظراً بليغاً، فإنَّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يُعمل فيه بالهوى، وتُطلَبُ به الدنيا.**

**العمّال [الموظّفون]:**

يجب أن يتمّ اختيار العمّال [الموظفين] اختباراً [كأنّه يقول من خلال المباراة التي تُجريها مجالس الخدمة المدنيّة في العصر الحديث] ، وأن لا يولّيهم محاباةً وأَثَرَةً [بالواسطة]، ويجب أن يكونوا الأكرمَ أخلاقاً والأصحَّ أعراضاً [من ذوي السجلّ العدليّ النظيف]، والأقلَّ طمعاً، وأن تكون رواتبهم كافية لمعيشتهم:

**ثمَّ أسبغ عليهم الأرزاق، فإنَّ ذلك قوّةٌ لهم على استصلاح أنفسهم وغنًى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحُجَّةٌ عليهم إن خالفوا أَمرَك أو ثَلَموا أمانَتَك.**

**التفتيش والمراقبة:**

وليستقيمَ عمل الموظَّفين، لا بدّ من تفقُّدِ أعمالهم، وسلوكهم، بأنْ يبعث **من يراقبهم** [المفتشون والمراقبون]، شرط أن يكون هؤلاء من أهل الصدق والوفاء.

**الخراج: [الضرائب - الخزانة العامّة]:**

يجب اصلاح النظام الضريبي، واصلاح أهله، **لأنّ الناس كلَّهم عيالٌ على الخَراج وأهله**، لذلك يجب أن ينصبَّ اهتمامُ الحاكم على **عِمارة الأرض** أكثر من اهتمامه باستجلاب الخراج، وتحصيل الضرائب لأنّ **من طَلَبَ الخَراج بغير عِمارة أخرب البلاد وأهلك العِباد...**

أمّا إنْ حدثت كوارث طبيعيّة كانقطاع المياه وجفاف الأرض، أو أغرقت السيول المزارع، فيجب أن تُخفّف الضريبة عن كواهل الناس، كي لا تخرب الأرض،

**لأن خراب الأرض يؤتى من إعواز أهلها، وإنّما يُعوِزُ أهلُها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلّة انتفاعِهم بالعِبَر.**

### الكتّاب [الأمناء على الأسرار]:

يجب أن يُولّي الحاكمُ من الكتّابِ خيرَهم، وأن يوكل أمرَ الرسائل السرّيّة إلى من يجمع صالح الأخلاق ولا تُبطِرُه الكرامة... كما يجب عليه أن يختبر الكتّابَ الذين وُلّوا للصالحين قبله [من ذوي التجربة]، وأن يختار أحسنَهم في العامَّة أثراً، وأعرَفَهم بالأمانةِ وجهاً، فإن ذلك دليلٌ على نصيحته لله، ولِمَن وُلِّيَ أمرَه...

### التجّار وذوو الصناعات:

يوصيه بالتجّار وذوي الصناعات القيمين وغير المقيمين، لأنّهم موادُّ المنافع وأسبابُ المرافق، وعليه أن يمنع **الاحتكار، لأنّ ذلك بابُ مضرّةٍ للعامّة، وعيبٌ على الولاة... وليكن البيع بيعاً سمْحاً بموازين عدلٍ وأسعارٍ لا تجحف بالفريقين البائع والمُبتاع.**

### الرعاية الاجتماعيّة

يؤكّد الإمام على حقوق المساكين والمرضى والعَجَزَة والأيتام، بأن يُخصَّص لهم قسمٌ من بيت المال [أي: أنّ ميزانيّة الدولة يجب أن تلحظ باباً خاصّاً للمحتاجين إلى الرعاية]، وأنْ يُفرَّغ لهم أشخاصٌ من أهل الثقة والخَشية والتواضع لتفقّد أمورِهم...

**وفي آخر العهد يقول** عليه السلام :

وأنا أسأل اللهَ بسِعة رحمتِه وعظيم قدرته على إعطاءِ كلِّ رغبةٍ، أن يوفِّقَني

وإيّاك لما فيه رضاه، من الإقامة على العذرِ الواضح إليه وإلى خَلْقِه، من حسنِ الثناء في العباد، وجميل الأثرِ في البلاد، وتمامِ النعمةِ، وتضعيفِ الكرامة، وأنْ يَختِم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنّا إلى الله راغبون، والسلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله الطيّبين الطاهرين.

### كلمة في بنية النصّ:

النصّ سياسيّ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع: أي: إنّه ملتصق بالمرجع: التاريخ، والدافع، والواقع السياسي في عصر الإمام.

للنصّ عنوان عام (العهد) وبما أنّه كذلك فمعنى ذلك أنّه قولٌ واحدٌ متماثل:

فالعهد هنا هو كتاب التعيين: يرسم فيه الخليفة الخطوط العامّة الواجب عليه اتباعُها، ويُحدّد له من السطر الأول دورَه الذي يتلخّص في أنّه اقتصاديّ عسكري، رعائي عمرانيّ، ويتدرج النص من هذا العنوان العام، إلى وحدات تركيبيّة متوازية ومتداخلة في الوقت عينه، تعتمد التدرج من العام إلى الخاص، ومن الخاص إلى العام من بداية النص إلى نهايته، وكلُّها لها غاية محدّدة: تثبيت مفهوم الحقّ وتبيان وجوهه: حقّ الله على الحاكم، وحقّ الرعيّة على الوالي، والإمام في المنطلق وفي التفاصيل يربط بين الجانبين الديني والدنيوي ترابط تلازم وحتميّة، ولهذا الموقف بعدان:

**بعد دينيٌّ** صادر من مؤمنٍ مؤتَمَنٍ على أمور الدين.

**وبعدٌ شخصيّ**: يعبّر عن إنسانيّة الخليفة وأسلوب تعاطيه مع الحكم.

البعد الأوّل أي: التوجّه الدينيّ، لا يُلغي دور العقل، يُشهد على ذلك ما رأيناه

في النص من تفصيل وبعد نظر في الكلام على علاقة الوالي (الحاكم المثالي) بالرعيّة:

**هي دعوة من عليّ .. إلى ممارسة الحكم كما يجب أن يكون** لا كما هو في الواقع، أو كما كان قائماً من قبل. أي: علاقة الحاكم بالرعيّة كما هو محدّد في الشرع. وقد تجلّى كلّ ذلك بأسلوبٍ سلسٍ بارعٍ، متدرّجٍ تدرّجاً منطقيّاً بعبارات وجمل توسّعت من الداخل، وتفرّعت لتحتضن الجدليّة المنطقيّة التي تميَّزَ بها أسلوب الإمام، وقد صيغت تلك الجمل بأسلوب منطقيّ اعتمد التداخل بين الإنشاء في العبارات الموجَّهة إلى الوالي (الخاص)، والخبر في العبارات الحكميّة ذات البعد الديني العام، وكأننا في كلّ تركيب أمام معادلة دقيقة التركيب في مقدّماتها والنماذج:

كقوله على سبيل المثال متدرّجاً من الخاصّ إلى العام:

- أمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويَزعَها عند الجمحات:

**فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلا ما رَحِمَ الله**

- إن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمورِ الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم:

**وإنّما يُستدلّ على الصالحين بما يُجري الله على ألسُن عباده.**

- فليكن أحبَّ الذخائر إليك ذخيرةً العملُ الصالح، فاملكْ هواك وشحَّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك:

**فإنّ الشحَّ بالنفس الإنصافُ منها في ما أحبّت أو كرهت.**

- أشعر قلبك الرحمةَ للرعيّة والمحبّة لهم واللطف بهم:

**فإنّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق.**

- أنصف الله وأنصفِ الناس من نفسك ومن خاصَّة أهلك، فإنّك إلا تفعلْ تظلِم:

**ومن ظَلَمَ عباد الله، كان الله خصمَه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته.**

- لا تدخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً ولا جباناً ولا حريصاً:

**فإنّ البُخل والجُبنَ والحِرصَ غرائز شتى يجمعها سوءُ الظنّ بالله.**

- ولا يكوننّ المحسن والمسيء لديك بمنزلةٍ سَوَاء:

**فإنَّ ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة.**

**أمّا الزّمان في النصّ فهو الحاضر والمستقبل:**

صحيح أنّه زمان تاريخيٌّ محدّد، ولكنّه زمان عامٌّ مطلقٌ أيضاً، لأنّ الصفات، أو الأوامر الموجَّهة من الخليفة إلى الوالي، لا تتعلَّق بشخص الخليفة وحده أو بشخص الأشتر وحده، وإنّما ترتبط برؤية الدين إلى صفات الحاكم، أكان الأشتر أم كان زيداً من الناس: لذلك فإنّ حضور المرسِل (عليّ) والمُرسَل إليه (الأشتر)، لا يربط النص بالزمن التاريخيّ، وإنّما يظلُّ له حضوره الفاعل، المتحرّك، المتغيّر على مدى الدهر:

إنّها العلاقة المثلى بين الحاكم وأبناء شعبه، فإذا استعملنا مصطلحات حديثة: بدل الخليفة والوالي والخراج والعمارة مثلاً، فإنّنا نقع على نصٍّ سياسيّ معاصر ومستقبلي يصلح لكلّ زمان ولكلّ مكان...

هذا النص في السياق الفكري والثقافي لعصر صاحبه، وللعرب في حِينه [وفي كلّ حينٍ ربّما] يندرج في خانة (الرؤية المثاليّة) لأنّه سابق لعصره، ولظروف عصره، ولناسِ عصره، ملائم لزماننا وللمستقبل.

## * هوامش البحث *

(١) ورد في أسباب النزول للنيسابوريّ (المتوفّى سنة ٤٦٨هـ)، في ذكر أسباب نزول الآية ١٢ من سورة الحاقّة "وتعيها أذنٌ واعية": قال رسول الله لعليّ "إنَّ الله أَمَرَني أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أُعلِّمَكَ وتعي، وحقٌّ على اللهِ أن تعي"، "وأنت الأذن الواعية": أسباب النزول للإمام أبي الحسن عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوريّ، مطبوعاً في ذيل تفسير كلمات القرآن الكريم بهامش القرآن الكريم للشيخ حسنين محمّد مخلوف. لاط. لاتا، ص ٣٥٩.

وجاء في التفسير الكاشف للشيخ محمّد جواد مغنيّة، المجلّد السابع، ط. دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠م. في تفسير الآية نفسها: "جاء في أكثر التفاسير القديمة والحديثة، ومنها تفسير الرازي والشيخ المراغي: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب:" إنّي دعوتُ الله أن يجعلَها أذنك يا عليّ" قال الإمام: فما سمعت شيئاً فنسيته، وما كان لي أن أنسى".

(٢) نهج البلاغة: من وصيّته عليه السلام إلى كُميل بنِ زياد.

(٣) في كلامه على مسألةِ الخلاف بين عليٍّ ومعاوية يقول عبّاس محمود العقّاد: " إنّها كانت خلافاً بين نظامين متقابلَين وعالَمين متنافسين... أوهي كانت صراعاً بين الخلافة الدينيَّة كما تمثَّلت في عليٍّ بن أبي طالب، والدولة الدنيويّة التي تمثّلَت في معاوية بن أبي سفيان": العقاد، "عبقريّة عليّ" ضمن كتاب إسلاميّات، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة-بيروت، لاتا. ص٦١.

(٤) العقّاد، عبقريّة عليّ، ص ٤٥.

(٥) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن جُذيمة بن مالك بن النَّخَع النخَعِيّ، المعروف بالأشتر، وسمّي الأشتر لفقدانه إحدى عينيه بضربة أصابته يوم اليرموك... شهد معركتي اليرموك والقادسيّة، ومعركتي صفّين والجمل، كان الأشتر رجلاً شديد المراس في الحرب عنيداً عدوّاً لأعدائه. لذلك سعوا إلى قتله بالسمّ (سنة ٣٧هـ) قبل أن يؤدّي مهمّته.

(٦) ورد نصّ الرسالة كاملاً في نهج البلاغة شرح الشيخ محمّد عبده، ص ٦٠٤-٦٣٠.

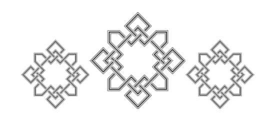
وفي نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد، مج ٤، دار الأندلس، لاتا من ص ١١٩-١٣٠.

(٧) راجع المقارنة بين خطبة معاوية في عام الجماعة وخطبة أبي بكر الأولى في كتاب القرآن والشعر، للكاتبة، ط٣، دار المواسم ٢٠١٠ .

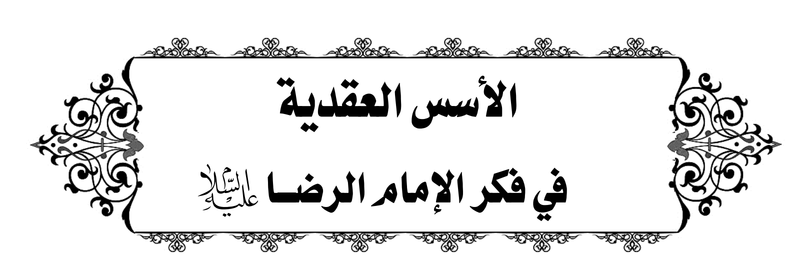
(٨) كما فعل ويفعل الحكّام السائرون على خطى الحجّاج وزياد بن أبيه وأمثالهم: في كلّ الأمكنة وعلى مدى الأزمنة.

(٩) المائدة، ٦٩.

(١٠) الحج، ١٧.







# الأسس العقدية في فكر الإمام الرضا عليه السلام

أ.د. صاحب محمد حسين نصار

## مقدمة

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد صلى الله عليه وآله وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين..**

عاش الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في القرن الثاني الهجري الذي اتسعت فيه حركة العلم في البحث والتأليف والتدوين والمعارف ونشأت المدارس والتيارات الفلسفية والفكرية.

وبدأت حركة الترجمة من اللغات المختلفة وازدحمت المدارس بحلقات الدرس وبالاساتذة والطلاب الذين تناولوا مختلف العلوم.

وقد عاصر الامام الرضا عليه السلام من خلفاء بني العباس المهدي والهادي والرشيد والامين والمأمون.

وقد عاش في تلك المدّة مؤسسو المذاهب الفقهية الاخرى امثال الشافعي ومالك ابن انس واحمد ابن حنبل وابي حنيفة وابي يوسف القاضي وسفيان الثوري ويحيى ابن اكثم وغيرهم .

وقد كان للسلطة العباسية أثر في ايجاد التيارات المنحرفة واطلقت العنان

للديانات المنحرفة وتيارات الغلو رغبةً في إطفاء نور اهل البيت عليهم السلام .

ومن الامثلة على ذلك الافتاء بالرأي تبعاً لأهواء الحكام ورغباتهم ورواج القياس القائم على الظنون حتى قام احد الفقهاء المعروفين بتحليل وطء هارون لجارية كان قد وطأها[1].

مما دعا الامام عليه السلام إلى تشكيل مرجعية فكرية ودينية للامة، فقد روى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده ، عن الفضل بن العباس ، عن أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي ، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلا أقر له بالفضل وأقر على نفسه بالقصور ، ولقد سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون ، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إلي بأجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فأجيب عنها»[2].

ولذا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على الاسس العقدية للامة في فكر الامام الرضا عليه السلام في مطلبين ومقدمة وخاتمة:

تناول المطلب الاول مفهوم الامة ومدى ارتباطه بالإمامة، لينتظم على اربعة مقاصد، دار الحديث فيها عن مفهوم الامة في الفكرين الغربي والاسلامي .

ثم خصائص مفهوم الامة في الفكر الاسلامي واثر تجربة الامام الرضا عليه السلام في بناء الامة الاسلامية فكريا .

وتناول المطلب الثاني اثر الامام عليه السلام في الاصلاح الفكري لينتظم ايضا على اربعة مقاصد تضمنت التاصيل العقدي في فكر الامام الرضا عليه السلام وتصدي الامام للتيارات الفكرية المنحرفة ثم دور الامام في اصلاح القضاء وتحديه للفساد .

## المطلب الاول

## مفهوم الامة ومدى ارتباطه بالامامة

ولبيان حقيقة هذا المفهوم ومدى ارتباطه بالإمامة ينتظم هذا المطلب على اربعة مقاصد كما يأتي:

### المقصد الاول: مفهوم الامة في الفكر الغربي:

في طيات هذا المفهوم (الامة) اكثر من غموض وجدل في الافكار الاجتماعية ومن اهم الخصوصيات التي وضعتها الدراسات الغربية في البناء الحضاري للأمم وهو قيام اية امة على ركائز مهمة من جانبين هما:

**الجانب الموضوعي**: المتمثل بلغة الامة ، لأنه الاداة التواصلية وتاريخهم الذي تربطهم فيه معالم مشتركة من عادات وتقاليد وثقافة في اي بلد .

**اما الجانب الذاتي**: فهو المتمثل بمجموعة من الروابط لها علاقة بشخصية هذه الامة الحضارية كرابط الهوية والتعايش السلميين مع الاخر .

وبهذا يعطي هذا المفهوم بُعداً تركيبيا تتداخل فيه جملة من المرتكزات وهي: الدولة، الجماعة ، بناء الامة ، او دولة الامة [٣].

### المقصد الثاني: مفهوم الامة في الفكر الاسلامي:

وسنحاول عرض الرؤية القرآنية للأمة في ضوء الأتي :-

١ ـ الدين الواحد من مصدر واحد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [٤].

٢ ـ سمة التكامل الذاتي للأمة في ضوء الوظيفة المنوطة بها. ولقوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (٥) خير دليل على ذلك .

ومع ملاحظة وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي جعلها القران الكريم شرطاً لبلوغ اعلى رتبة بين الامم ، فإنّ القران الكريم يقدم أنموذجه للمجتمع المتكامل بوساطة النقد الذاتي الذي ينطوي على عملية تكاملية للوظيفة المشار اليها في الآية المباركة .

٣ ـ الامة الوسط: الذي يتبين من قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (٦).

وان هذه الآية تشير الى موقع مهم للامة قد لايمكن تحديد ابعاده في رؤية بسيطة فالتوسط يمكن ان يكون توسطا زمانيا ويمكن ان يكون توسطا حضاريا يمثل بين طرفين.

## المقصد الثالث: اثر تجربة الامام الرضا في بناء الامة الاسلامية:

عند سؤال الامام الرضا عليه السلام عن قبولك ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا .

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني - رضي الله عنه - قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن الريان بن الصلت، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا !

فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل. ويحهم ! أما علموا أن يوسف كان نبيا ورسولا فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز، قال: ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ (٧) ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الاشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان) (٨).

ويلحظ في جواب الامام عليه السلام انه كان واعياً للتجربة النبوية المتناولة في القرآن الكريم فهو عليه السلام مع ادراكه لضغوط وملابسات الواقع يسعى الى سلوك أخف الطرق وأيسرها في سبيل مصلحة الامة الاسلامية.

وان القبول على مضض من الامام عليه السلام مع ان مكانته ارفع من ذلك ما هو الا دليل على تفاني الامام عليه السلام من اجل الامة وهذا ما لا يفعله الا القائد المخلص لرعيته ، وهو قمة النبل مادام يسير باتجاه اصلاح الامة.

ومن ناحية ثانية تمثل تجربة الامام الرضا عليه السلام عاملاً من عوامل استمرار وجوده بين ظهراني الامة ومن ثَمَّ استمرار العطاء العلمي والفكري الذي كانت تحتاجه الامة حاجة ماسة في ذلك الوقت اذ يراعي الامام في موقفه السياسي الواقع.

لذلك نجد اختلافاً وتنوّعاً في تجارب الائمة عليهم السلام على الصعيد السياسي على

وفق اختلاف الواقع وتغيره وكما قال السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ بشأن الائمة عليهم السلام تعدد ادوارهم والهدف واحد وهذا الاختلاف من اهم سمات الامامة والذي عبره تتعاطى الاِمامة مع التغيرات والواقع بحسب شدة وطأتها.

## المقصد الرابع: ارتباط الامة بالإمامة:

انّ مفهوم (الامة) في سياقه التاريخي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإمامة بوصفها قيادة مترامية الابعاد ، اذ يمكن استيحاء ثلاثة ابعاد من مفهوم الامامة:

**البعد الاول**: هو البعد السياسي، الذي يأخذ على عاتقه بناء وعي الامة على النسق الالهي ، بمعنى ان من جملة اثار وظيفة الامامة هو ارشاد المجتمع في طريق الاستقامة العامة المتمثل باستقامة الراعي والذي يستدعي استقامة الرعية .

**البعد الثاني**: وهو البعد الايماني الذي يتجلى في الامامة من جانبها العبادي اذ يؤثّر سلوك الامام على الرعية بوصفه القدوة الامثل وعلى اثر ذلك يندمج دور القائد بدور القدوة .

**البعد الثالث**: وهو البعد العلمي اذ من النادر ان يكون القائد عالما ومع انه مما ينبغي ان يكون كما هو واضح من الرؤية الاسلامية إلّا انّ التاريخ السياسي يفتقر الى مثل هذا الانموذج فضلا عن الجانب العلمي الذي تتسم به وظيفة الامامة فإنّ منابع الحكمة والتسديد من الخصائص الفريدة التي تجلت في هذه الوظيفة في سيرة الأئمّة عليهم السلام .

إنّ ملاحظة هذه الابعاد الثلاثة في شخصية الامام عليه السلام تمثل مثالا فريداً في تاريخ القيادات السياسية.

ففي الوقت الذي كانت ثورات العلويين تهز الدولة العباسية نرى الامام يحافظ على كيان الامة من خلال الحفاظ على قيمها الرسالية فكانت احاديثه تعبيراً عن نظرته في اهمية ارتباط الامة بفكرها الرسالي حتى وجدنا ابن شهر اشوب يقول: «وروى عبدالله بن جعفر الحميري ، عن محمد بن عيسى اليقطيني قال: لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سئل عنه وأجاب عنه خمس عشرة ألف مسألة»[٩].

**المطلب الثاني**

**أثر الامام الرضا عليه السلام في الاصلاح الفكري**

وللوقوف على أشكال هذا الاصلاح ينتظم هذا المطلب على اربعة مقاصد وكما يأتي:

## المقصد الاول: التأصيل العقدي في فكر الامام الرضا عليه السلام:

واحدة من المشكلات التي واجهت النبوات في عصورها واستمرت الى العصر الاسلامي مسألة التأصيل بحقيقة الخالق والوجود في عصر ظهرت فيه مجموعة من المدارس الفكرية والكلامية التي تبنت مواقف سلبية منذ بدايات القرن الهجري الثاني وما بعده.

فكان الجدال في قضية التوحيد، وقد عاصر الامام الرضا عليه السلام هذه المدارس وعمد الى حل هذه الاشكاليات بالحقائق العلمية والمعارف العقلية وتثبيت قيم المعرفة وأصالتها.

ولعل حديث السلسلة الذهبية قد احتل مساحة كبيرة في الموقف التاريخي بوصفه منهجا تأسيسيا يعكس الاتجاهات العلمية عند الامام علي بن موسى الرضاعليه السلام فكان العلماء والناس يغتنمون فرصة وجوده بينهم فكان لا ينزل بلدا الا قصده الناس فيحدثهم عن ابيه عن آبائه عن علي عن رسول الله حتى ان الذين استلموا حديث السلسلة الذهبية كانوا اكثر من اربعة وعشرين الفاً من كبار العلماء وغيرهم من طبقات العلماء وعامة الناس(١٠).

وفي الرواية انه لما دخل نيسابور اذ تقدم له اثنان هما العلمان الحافظان أبو زرعة الرازي (ت في اواسط القرن الثالث الهجري)، ومحمد بن اسلم الطوسي (ت٢٤٢هـ/٨٥٦م)(١١).

فأحاطوا به وسألوه ان يروي لهم عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثا .

فروى لهم الحديث المشهور بسلسلة الذهب: فقال الإمام الرضا عليه السلام: «حدّثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب ، أنّه قال: حدّثني حبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرائيل أنّه قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه يقول: (كلمة لا إله إلاّ الله حصني ، ومن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن عذابي)». فأخذ العلماء والناس يكتبون حديثه ، فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانية إليهم وقال: «بشروطها، وأنا من شروطها»(١٢).

وهنا يطرح الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام منهجاً تأسيسياً في التفسير من جانب وفي التأصيل العقائدي من جانب آخر يكشف عبره معاني التوحيد كحقيقة تتأصل ثوابتها عبر الإقرار بوحدانيته تعالى شأنه ومن أجل ذلك فهو الحصن الحصين.

ومن جانب آخر فإنّنا نراه عليه السلام يؤسس لمدرسة فكرية تقول: انّ إدراك كل معرفة لا يتم إلا بشروط وقواعد تحدد سبل الوعي في الوصول إليها، وانّ الامام شرط أساس من شروط كمال المعرفة، فالله قائم بذاته أزلي واجب الوجود، لكن حقيقة معرفته لا تتمّ إلّا من خلال النبوّة والامامة.

## المقصد الثاني: التصدي للتيارات الفكرية المنحرفة:

كشف الامام الرضا عليه السلام الطرق والاساليب التي يستعملها اعداء الاسلام لتشويه الافكار والمفاهيم الاسلامية من خلال تصنيفه الوضاعين للأخبار الى ثلاثة اصناف مما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار المتفرقة حديث طويل وفى آخره قال عليه السلام: «ان مخالفينا وضعوا اخبارا في فضائلنا وجعلوها على اقسام ثلاثة: احدها الغلو ، وثانيها التقصير في امرنا ، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا فاذا سمع الناس الغلو كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا ، واذا سمعوا التقصير اعتقدوا فينا ، واذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم سبونا بأسمائنا ، وقد قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(١٣) إلى أن قال: يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والاخرة»(١٤).

وقام الامام عليه السلام بالرد على مختلف التيارات الفكرية المنحرفة ففي رده على المشبهة حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضى الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار قال حدثنا أحمد بن محمد بن خالد عن بعض اصحابنا، قال: مر أبو الحسن الرضا عليه السلام بقبر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه ثم قال:

«إلهي بدت قدرتك ولم تبد واهية فجهلوك وقدروك والتقدير على غير ما به

وصفوك وانى برئ يا الهى من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء إلهي ولن يدركوك وظاهر ما بهم نعمك دليلهم عليك لو عرفوك وفي خلقك يا إلهي مندوحة ان يتناولوك بل سووك بخلقك فمن ثم لم يعرفوك واتخذوا بعض آياتك ربا فبذلك وصفوك فتعاليت ربي عما به المشبهون نعتوك»(١٥).

ثم فند الامام الروايات التي يستند اليها المنحرفون من خلال ابطال صدورها عن رسول الله ﷺ ، ففي رده على الرواية المفتعلة والمنسوبة الى رسول الله ﷺ والتي جاء فيها:

حدثنا محمد بن هارون الصوفي، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى بن أيوب الرويانى عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني رضي الله عنه عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال:

إنّ الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا. فقال: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله كذلك، إنما قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل ملكا إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الآخر وليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له، يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادي بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء، حدثني بذلك أبي عن جدي، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ»(١٦).

وبذلك استطاع الامام الرضا عليه السلام من تحجيم اثر هذه التيارات وايقاف حركتها داخل كيان أنصار أهل البيت عليهم السلام، ولم تنتشر افكارها الاّ عند أصحاب المطامع والأهواء.

## المقصد الثالث: دور الامام الرضا عليه السلام في اصلاح القضاء:

عن محمد بن سنان قال: كنت عند مولاي الرضا عليه السلام بخراسان وكان المأمون يقعده على يمينه، إذا قعد للناس، يوم الاثنين ويوم الخميس، فرفع إلى المأمون أن رجلا من الصوفية سرق فأمر بإحضاره، فلما نظر إليه وجده متقشفا بين عينيه أثر السجود فقال: سوءة لهذه الآثار الجميلة، ولهذا الفعل القبيح ، أتنسب إلى السرقة مع ما أرى من جميل آثارك وظاهرك؟ قال: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقي من الخمس والفيء.

فقال المأمون: وأي حق لك في الخمس والفيء ؟ قال: إن الله عز وجل قسم الخمس سته أقسام وقال: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ**﴾ (١٧).

وقسم الفيء على ستة أقسام فقال عز وجل: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (١٨).

قال: بما منعتني وأنا ابن السبيل منقطع بي ومسكين لا أرجع إلى شيء ومن حملة القرآن.

فقال له المأمون: عطّل حدّاً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أساطيرك هذه؟

فقال الصوفي: ابدأ بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك وأقم حد الله عليها ثم على غيرك، فالتفت المأمون إلى أبي الحسن عليه السلام، فقال: ما تقول ؟

فقال: إنه يقول سرقت فسرق، فغضب المأمون غضبا شديدا ثم قال للصوفي: والله لا قطعنك فقال الصوفي: أتقطعني وأنت عبد لي ؟

فقال المأمون: ويلك ومن أين صرت عبدا لك ؟ قال: لان امك اشتريت من مال المسلمين، فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب حتى يعتقوك وأنا لم اعتقك ثم بلغت الخمس بعد ذلك فلا أعطيت آل الرسول حقا، ولا أعطيتني ونظرائي حقنا.

والأخرى أن الخبيث لا يطهر خبيثا مثله، إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحد لا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾[١٩].

فالتفت المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال: ما ترى في أمره ؟

فقال عليه السلام: إن الله جل جلاله قال لمحمد صلى الله عليه وآله: «فلله الحجة البالغة »[٢٠].

وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة، وقد احتج الرجل، فأمر المأمون عند ذلك باطلاق الصوفي واحتجب عن الناس ·

وكان الامام يتدخل في مثل هذه القضية دفاعا عن المظلومين والمحرومين، وتطبيق احكام القضاء طبقا للمنهج الاسلامي السليم .

ففي احد الايام ادخل الى المأمون رجل اراد ضرب عنقه والامام حاضر، فقال له المأمون: ما تقول يا ابا الحسن ؟

فقال: «اقول ان الله لا يزيدك بحسن العفو الا عزا »

فاتبع المأمون قول الامام عليه السلام وعفا عنه[٢١].

## المقصد الرابع: الامام الرضا عليه السلام يتحدى الفساد:

حينما نتدبر في سورة هود أو سائر السور القرآنية التي تقص علينا رسالة الأنبياء السابقين عليهم السلام نجد أنهم يتحدون الفساد بكل ألوانه . وبالذات الفساد الذي كان مستشرياً في قومهم، ويعدون كل فساد سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو فكري ينتهي إلى الضلالة أو الشرك أو الكفر وكانوا عليهم السلام يذكّرون الناس بالله ويحذّرونهم عذابه في الدنيا وعقابه في الآخرة، لأن هذا هو السبيل لإصلاح الإنسان وردعه عن الفساد بكل ألوانه . وسار الأئمة عليهم السلام على طريق الأنبياء، حاربوا كل ألوان الفساد، بالوسيلة ذاتها، والإمام الرضا عليه السلام كأجداده قاد المخلصين من أبناء الأمة في هذه السبيل وتحمل الأذى في سبيل الله.

لقد رفض الاعتراف بالسلطة الجاهلية التي تبناها العباسيون باسم الإسلام واعتبرها سلطة غاصبة ظالمة فاسدة جملةً وتفصيلاً .وناهض التيارات الفكرية المخالفة لأصول الشريعة، وقاوم الفساد الخلقي في الأمة وذلك بنشر تعاليم الدين الحنيف . ولم يكن الإمام وحده في مواجهة ذلك الفساد العريض، بل كانت صفوة الأمة وخيرة العلماء والحكماء والقادة المخلصين وهم شيعة أهل البيت عليهم السلام يتبعونه في ذلك .

وقد قرأنا معاً كيف وبأي أسلوب كان الأئمة يقودون الأمة ، ولكن هنا ينبغي أن نتحدث قليلاً عما أثار التساؤل عند المؤرخين، وهي نقطةٌ مضيئةٌ – في رأينا - تلمع في حياة الإمام الرضا، ومنعطف أساسي في حركة الشيعة وهي قبول الإمام بولاية عهد المأمون[٢٢].




## الخاتمة ونتائج البحث

**تتضمن النتائج التي توصل اليها الباحث** :

- اتساع الحركة العلمية والفكرية في العصر الذي عاشه الامام عليه السلام حتّمت عليه ان يقوم بوظيفتين الاولى تمثلت في مواجهة الافكار الهدامة والتصدي للرد عليها بوصفه يمثل الامتداد الطبيعي لشريعة سيد المرسلين والثانية تمثلت في توجيه الحركة العلمية والفكرية للامة بما يتفق والشريعة الاسلامية.
- الدور التأسيسي العقدي الذي سلكه الامام عليه السلام المتمثل بحديث سلسلة الذهب وغيره للكشف عن حقيقة التآمر الفكري في بلبلة عقول المسلمين.
- تقديم الامام عليه السلام مصلحة الامة على حساب جميع الاعتبارات الاخرى ناشئة من ادراك الامام للتجربة النبوية المتداولة في القران الكريم الذي اتضح في ثنايا البحث.

*** هوامش البحث ***

(١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ٢٣١.
(٢) اعلام الورى باعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ٦٤/٢.
(٣) موسوعة العلوم السياسية، مادة ٢٥٧، ٤٠٥.
(٤) سورة الانبياء، الاية: ٩٢.



(٥) سورة ال عمران، الاية :١١٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٧) سورة يوسف، الاية: ٥٥ .

(٨) بحار الأنوار: ٤٩ / ١٣٠.

(٩) مناقب ال ابي طالب، ٣٨٠/٤.

(١٠) اعيان الشيعة، محسن الامين، ١٤٣/١.

(١١) كشف الغمة، علي بن ابي الفتح الاربلي، ١٠١/٣.

(١٢) عيون اخبار الرضا، الشيخ الصدوق (ت٣٨١) ،١٤٥/٢.

(١٣) الانعام: ١٠٩.

(١٤) عيون اخبار الرضا، ٣٠٤/١.

(١٥) عيون اخبار الرضا، ١١٧/١.

(١٦) عيون اخبار الرضا، ١١٦/١-١١٧.

(١٧) الانفال: ٤١.

(١٨) الحشر: ٧.

(١٩) البقرة: ٤٤.

(٢٠) الانعام: ١٤٩.

(٢١) نثر الدر، ٣٦٢/١.

(٢٢) ينظر: الامام الرضا قدوة واسوة ، محمد تقي المدرسي: ٤٦.

*** المصادر والمراجع ***

**خيرما نبدأ به القران الكريم.**

١. اعلام الورى باعلام الهدى ، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ).

٢. اعيان الشيعة ، محسن الامين (ت١٣٧١هـ).

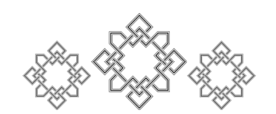
٣. بحار الانوار ، العلامة المجلسي (ت١٠٣٧).

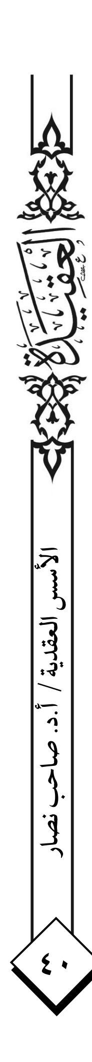
٤. الامام الرضا قدوة واسوة ، محمد تقي المدرسي (معاصر).

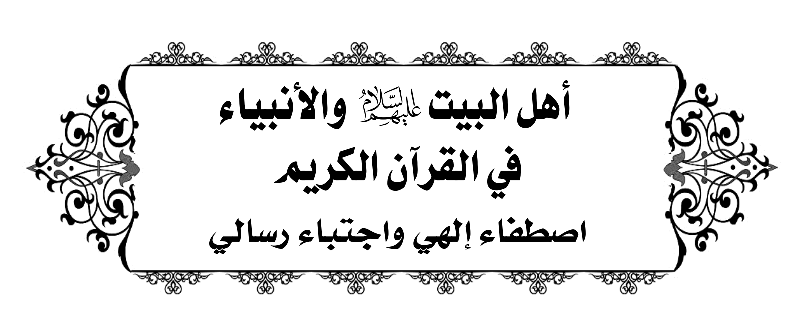
٥. تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).



٦. عيون اخبار الرضا ، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ).
٧. كشف الغمة ، علي بن ابي الفتح الاربلي (ت٦٩٣هـ).
٨. موسوعة العلوم السياسية ، ( مجموعة مؤلفين) ، الكويت.
٩. مناقب ال ابي طالب ، ابن شهر اشوب (ت٥٨٨هـ).
١٠. نثر الدر ، منصور بن الحسين الابي (ت٤٢١هـ).







# أهل البيت عليهم السلام والأنبياء في القرآن الكريم

## اصطفاء إلهي واجتباء رسالي

### القسم الأول

**أ.د. محمد السيد محمود زوين**[*]

القرآن الكريم خاتمة الكتب السماوية، مثلما الاسلام خاتمة الرسالات الإلهية، وحقيقة تكامل الاديان يجذر أركانها، ويرسخ أصولها دائرة حديث آيات القرآن المجيد عن الرسالات السابقة وأنبيائها وكتبها وأقوامها، بمنهج يجمع تشريعاتها، وحركية الاحداث في المجتمعات التي هي موضع خطاب الكتب الإلهية، والوحي السماوي، وإذا كان القرآن الكريم بمشهد علاقاته مع الرسالات والاديان المتقدمة قد ثبّت مفاهيمها، وقواعدها العقدية الإلهية، فإنه قد أكد دليل تكاملها فيه، وختامه لها، وقدم هذه الصورة وأقامها بمستواها العملي الواقعي التطبيقي من خلال النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الاطهار عليهم السلام ، فمثلوا بذلك الامتداد الحي للأنبياء والاوصياء، وجسدوا الاديان والرسالات السابقة بأنبيائها وكتبها المقدسة واحداث تأريخها، ومراحل تطورها، وانتقالها من دين إلى آخر في حُلة تكاملها الإسلامي، وعكسوا في تواصلهم مع أهل الكتاب المنظومة القرآنية في تصوراتها

---

(*) كلية الفقه / جامعة الكوفة.

ومفاهيمها للآخر، وشيدوا منهجاً إلهياً في التعامل معها، يجلي قاعدة التبليغ الرسالي للناس كافة، فليس الإسلام في بعده التكاملي مع الرسالات السابقة عليه، إلّا إداءً لوحي السماء وإقامة لشرائعها الإلهية التي تناسقت حلقاتها بين الاديان، فكان النبي وأهل بيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أمناء البلاغ، واوصياء الأداء، فقد أعطوا فرائد العلم، ووهبوا معادن المعرفة بأهل الكتاب في دائرتهم الواسعة، بما جعلهم أحق ورثة الأنبياء وكتبهم وعلومهم وكل ما اتصل بهم من صحيح القول والعمل.

**وبعبارة أخرى:**

يرسم لنا القرآن الكريم شبكة من العلاقات مع الكتب السماوية السابقة، وأنبيائها وشرائعها، وشخصياتها المقدسة واقوامها المختلفة، وحوادثها ومواقفها المتعددة في خطابات وسياقات، وقصص جعل منها جزءاً كبيراً من النص القرآني[1] هذا من جهة، ومن جهة اخرى ترى القرآن المجيد يصدق بالكتب السابقة، وينقل عنها نصوصاً كانت في التوراة والزبور والانجيل، ويعظم قدر السابقين من الأنبياء ويعلي من مقامهم ومكانتهم ـ على عكس ما تجده اليوم في بعض الكتب التي تنسب لهم ما يسقط من منزلتهم العالية ـ وينقل مواقفهم وحوادثهم مع أقوامهم وردودهم عليهم، ويذكر مفاصل حية من تأريخ رسالاتهم، وما فيها من شخصيات ومعجزات وقصص يعرفها أهل الاديان في كتبهم التي يمتلكونها اليوم، فضلاً على ذلك فإن للقرآن الكريم ـ فيما أحسب ـ منهجاً من كل هذا بإشارة وعبارة ودلالة يوظف فيها كل ما جاء ذكره عن أهل الكتاب، ويرسخ مرجعية الرسالات السماوية الواحدة، وتكاملها الديني التشريعي والعقدي، وتصديق بعضها ببعض أو التصديق بها والايمان بما جاءت به ـ على وجه الخصوص في القرآن الكريم ـ وحكايتها (الرسالات) على سبيل الاعجاز لأنها

اصبحت من مراحل التأريخ وحقبه، ومضامين الغيب ومقولاته، وتأكيد الاحتجاج بها على صدق الاسلام ورسوله وكتابه، وأنه خاتم الرسالات والأنبياء والدعوة إلى تواصلها وتلاقيها وتحاورها بدلاً عن تكريس التناحر، والتصادم، والتضاد بين اجناس البشر، واعتقادات الناس قال جل ذكره: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيْمٌ**﴾ (البقرة: ٢٥٦).

نستيقن من ذلك وغيره ونتبيّن قيمة واثر الدعوة إلى التعايش السلمي والتلاقي الحضاري التقريب الديني بين الناس، ولابد من انسراب هذه القيم الإلهية إلى الانسانية، وبقدر وجودها فعلياً وعملياً بعد مرحلة فاعليتها عقدياً وفكرياً تنتج ثمارها، وتقام قواعدها من هنا يسلك القرآن الكريم بنا شكلين من الابعاد يتكاملان فيما بينهما، ويتجانسان في غاياتهما.

**الأول**: الشكل المفهومي النظري للآخر في آيات الكتاب العزيز في طبيعة التعامل معه وكيفياته، والمنهج الواجب اتباعه والالتزام به، وهوما يمكن استنطاقه من آياته الكريمة ودلالتها المعبرة.

**والثاني**: الشكل التأويلي الواقعي الموضوعي العملي للمفاهيم واعني بها حركية (الفعل العقلي) الاعتقادي بوجود الآخر ومكانته والمتمثل بأمناء السماء على الارض ـ النبي وأهل بيته ﷺ ـ المصداق الأتم، والتشخيص الاكمل والتطبيق المثالي الحي المباشر للمفهوم الإلهي النظري وبطريق عملي يومي من خلال سُنّة النبي وأهل بيته (القولية والفعلية والتقريرية) مع أهل الكتاب في مواطن مختلفة حوارية وجدلية ونقاشية وتحديات متعددة في اوقات السلم أو الحرب.

إنّ وعي المنظومة القرآنية المفهومية بالآخر (نظرية فهم الآخر) وادراكها بشكلها الشمولي من ذكر الأنبياء وتفصيل احداثهم ومواقفهم من اقوامهم واعتقاداتهم ـ ولاسيما مشاهد عقائدهم التي تعرضت لتحديات الاثبات في ظل واقع التغيير والتبديل الذي أصابها نتيجة المراحل التأريخية الصعبة التي سادت على أهل الكتاب في قرون خلت تحت ظل امبراطوريات ودول حكم فيها الشرك والوثنية واستوطن فيها الطغيان، واستوى الظلم على سياستها، والانحراف والهوى على قادتها بما وظفوا الاديان باتجاه مصالحهم وغاياتهم ـ جسدها النبي وأهل بيته عليهم السلام وحاكوها بفرائد الشواهد والأمثلة بما يعكس عمق الاثر القرآني الرسالي في سنتهم.

ولعل نظرة متأملة في تراثهم تظهر عظمة استيعابهم لمفاصل الرسالات السابقة وتفاصيل تكاملها مع الإسلام، وسعة علمهم بما أوحى الله تعالى لأنبيائه السابقين وأخبارهم بما في صحف ابراهيم ونوح وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى عليه السلام، فضلاً عن مناجاة الله تعالى لهم، ومواقفهم من أقوامهم.

فضلاً عن بشارة الأنبياء عليهم السلام السابقين بالنبي وأهل بيته عليهم السلام، والمقابلة والمناظرة بين مقاماتهم حيث لا يلحق بخاتم الأنبياء واوصيائه لاحق، وإن كان ثمة تقارب وتماثل بين اوصياء الأنبياء واوصياء محمد صلى الله عليه وآله من جهة دلالة مرجعية الاديان الواحدة، وتكاملها والتقائها في مقام الأداء والبلاغ، وهو في الوقت ذاته لايلغي صحة التفاضل والتمايز فيما بينهم.

ومهما يكن من أمر فإنّ منعم النظر واللبيب يستنبط من كثرة أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عن أهل الكتاب وتنوعها وحجمها يعي ويستيقن خاتمية الرسالة المستوعبة للأديان السابقة، ومنزلة الأوصياء المؤتمنين عليها فعندهم

تجتمع الرسالات، وفيهم تختصر النبوات، وبهم تتفاعل الاديان، ومنهم تستخلص الشرائع. وأخالك تعتقد معي أن ذلك يجري في دائرة يصح أن نسيمها بـ (وراثة الأنبياء) في تلاحم منظوتها وتراتب علاقاتها، وتجانس شبكاتها، الذي ينبئك نظمها المعجز عن مرجعيتها الإلهية، ورعايتها السماوية على أساس واحدية صدورها المتنوع وتكاملية حلقاتها عصراً بعد عصر وحقبة بعد حقبة وسأقف عند أهم ملامح منظومة (وراثة الأنبياء) عند أهل البيت عليهم السلام وانسرابها في البعد الانساني وخلاصتها من معالم منظومة علاقة أهل الكتاب بأهل البيت عليهم السلام ورثة الأنبياء وبحسب الأنساق الآتية:

## النسق الأول

## أهل البيت عليهم السلام ورثة علم الأنبياء وكتبهم

تتوالى الروايات، وتتواتر الاحاديث في خصوصية أهل البيت عليهم السلام بالنسبة للأنبياء عليهم السلام المتقدمين من جهات مختلفة في وراثة علمهم، وصحفهم، واتصال الوصية بهم في التعاقب بالبشارة من آدم حتى آخرهم الامام المهدي عليه السلام اكمالاً لحجة الله تعالى على خلقه، وحتى لا تخلوا الارض من حجة (نبي أو وصي نبي) من أول الخلق إلى قيام الساعة[٢].

فعن «علي بن محمد بن علي برجاله إلى الأصبغ بن نباتة إلى علي عليه السلام قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فدخل سلمان وأبو ذر والمقداد وابن عوف وجماعة فقال سلمان: يا رسول الله إن لكل نبي وصيا، وسبطين فمن وصيك وسبطاك؟ فأطرق. ثم قال: إن الله تعالى بعث أربعة آلاف نبي وكان لهم أربعة آلاف

وصي وثمانية آلاف سبط، والذي نفسي بيده لأنا خير الأنبياء، ووصيي خير الأوصياء وسبطاي خير الأسباط. إن آدم أوصى إلى ابنه شيث، وشيث إلى سنان، وسنان إلى مجلث، ومجلث إلى محوق، إلى عثميشا، إلى اخنوخ، إلى ياخور، إلى نوح، إلى سام إلى عتامر، إلى برعيشاشا، إلى يافث، إلى بره، إلى حفيسة إلى عمران، إلى إبراهيم، إلى إسماعيل، إلى إسحاق، إلى يعقوب، إلى يوسف إلى ريثا، إلى شعيب إلى موسى، إلى يوشع، إلى داود، إلى سليمان، إلى آصف، إلى زكريا، إلى عيسى، إلى شمعون، إلى يحيى، إلى منذر، إلى سلمه، إلى برده، ودفعها برده إلي، وأنا أدفعها إليك يا علي، وأنت تدفعها إلى الحسن والحسن إلى الحسين والحسين إلى ابنه علي، وعلي إلى ابنه محمد، ومحمد إلى ابنه جعفر، وجعفر إلى ابنه موسى، وموسى إلى ابنه علي، وعلي إلى ابنه محمد، ومحمد إلى ابنه علي، وعلي إلى ابنه الحسن، والحسن إلى ابنه القائم، ثم يغيب عنهم إمامهم ما شاء الله. ثم رفع صوته وقال: الحذر الحذر إذا؟ فقد الخامس من ولد السابع من ولدي ثم يخرج من اليمن من قرية يقال لها: كرعة ينادي هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه. وأسند محمد بن علي القمي برجاله إلى الحسن عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله خطب قبل وفاته وقال بعدها: اللّهُمَّ إني أعلم أن العلم يبيد، وأنك لا تخلي أرضك من حجة ظاهرة، ليس بالمطاع أو خائف مغمور. فلما نزل قلت: يا رسول الله ! ألست الحجة على الخلق؟ قال صلى الله عليه وآله: أنا الحجة المنذر، وعلي الهادي، فهو الإمام والحجة بعدي، وأنت الحجة بعده والحسين الحجة بعدك، والحجة بعده علي ابنه، والحجة بعده محمد ابنه، والحجة بعده جعفر ابنه، والحجة بعده موسى ابنه، والحجة بعده علي ابنه، والحجة بعده محمد ابنه، والحجة بعده علي ابنه والحجة بعده الحسن ابنه والحجة بعده القائم إمام زمانه ومنقذ أوليائه يغيب ثم يظهر، لا تخلو الأرض منكم، أعطاكم الله علمي وفهمي وأسند علي بن الحسين إلى الحسن بن

علي قول النبي صلى الله عليه وآله: لعلي: أنت وارث علمي، ومعدن حكمي، والإمام بعدي، فإذا استشهدت، فابنك الحسن فإذا استشهد فالحسين، فإذا استشهد فعلي ابنه: يتلوه تسعة أئمة أبرار قلت: فما أسماؤهم قال: علي، ومحمد، وجعفر، وموسى، وعلي، ومحمد، وعلي، والحسن والمهدي. »[٣]

ويتوكد هذا المعنى على تمامه في حديث الاصبغ بن نباتة « قال: لما قدم علي عليه السلام الكوفة صلى بالناس أربعين صباحا يقرأ ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ فعابه بعض فقال: إني لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهة وما حرف نزل إلا وأنا أعرف فيمن أنزل، وفى أي يوم وأى موضع أنزل، أما تقرؤون ﴿**إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ والله هي عندي ورثتها من حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله من إبراهيم وموسى، والله أنا الذي أنزل الله فيّ ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ فانا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرنا بالوحى فأعيه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: ﴿**مَاذَا قَالَ آنِفًا**﴾ »[٤].

وتتأصل صورة وراثة الأنبياء وعلمهم وكتبهم بجلائها عند أهل البيت عليهم السلام بمصاديق كثيرة منها روايتهم عما ورد في كتب الاديان السابقة من نصوص التوراة والزبور والانجيل والتي تشكل ظاهرة في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وقد تبدو من أحد معالمها العالية أنها انعكاس لتواصل الرسالات الإلهية وتكاملها، فرواية النبي صحف ابراهيم أو لصحف موسى (التوراة) ورواية أهل البيت عليهم السلام إنما يؤكد علمهم بها، ووراثتهم المتجانسة لها من الأنبياء السابقين بحيثية مرجعية الرسالات الواحدة، والمقاصد والغايات الرسالية المتعاضدة في الاتجاه نفسه فعن النبي صلى الله عليه وآله قال «... مكتوب في التوراة: أنا الله قاتل القاتلين، ومفقر الزانين، أيها الناس لاتزنوا فتزني نساؤكم، كما تدين تدان»[٥]

وفي رواية طويلة ينص النبي ﷺ على ما كان من عدد أنبياء الله تعالى ورسله، وخصوصيات بعض الأنبياء، والصحف المنزلة عليهم، وشيئا مما في صحف ابراهيم وموسى عن أبي ذر (رضوان الله عليه) أنه سأل النبي ﷺ : «قال: قلت يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال: كانت أمثالا كلها وكان فيها: أيها الملك المسلط المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها وإن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات. ساعة يناجي فيها ربة، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، فإن من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبرا كلها، وفيها: عجب لمن أيقن بالنار ثم ضحك، عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجب لمن أبصر الدنيا وتقلبها بأهلها حالاً بعد حال ثم هو يطمئن إليها، عجب لمن أيقن بالحساب ثم لم يعمل ! قلت: يا رسول الله، فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام مما أنزل الله عليك؟ قال: اقرأ يا أبا ذر ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقى * إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى * صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى**﴾ »(٦).

وفي روايات كثيرة تراه ﷺ يخبر عما هو موجود التوراة، في خطابه علي بن أبي طالب عليه السلام ووصيتهُ له «يا علي في التوراة أربع إلى جنبهن أربع: من أصبح على

الدنيا حريصا أصبح وهو على الله ساخط. ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربّه. ومن أتى غنياً فتضعضع له ذهب ثلثا دينه. ومن دخل النار من هذه الامة فهو ممن اتخذ آيات الله هزوا ولعبا. أربع إلى جنبهن أربع: من ملك استأثر. ومن لم يستشر يندم. كما تدين تدان. والفقر الموت الاكبر، فقيل له: الفقر من الدينار والدرهم؟ فقال: الفقر من الدين»(٧).

أمّا رواية بعض نصوص الكتب المقدسة عند أهل البيت عليهم السلام فإنها تجلّي ظاهرة امتداد وراثة علم الأنبياء وكتابهم الإلهي وتجسد مزاياها وما فيها من قواعد سماوية للذين آمنوا بالرسالات ومنها على طريق المثال لا الحصر: عن أبي جعفر الباقر عليه السلام مكتوب في التوراة : «يا موسى: إني خلقتك، واصطفيتك وقويتك، وأمرتك بطاعتي ونهتيك عن معصيتي، فإن اطعتني اعنتك على طاعتي، وإن عصيتني لم اعنك على معصيتي، يا موسى ولي المنة عليك في طاعتك لي، ولي الحجة عليك في معصيتك لي»(٨).

وقد لا يغيب عنك ما في هذه العبارات من المعاني التوحيدية فضلاً عن الدعوة إلى الطاعة الخالصة المنزهة عن الشوائب والدرن، فالطاعة بعين الله تعالى وهو الغني عنها، المعين عليها، والمعصية أبعد ما تكون عن الله تعالى، ولعل اطلاقها هناك دلالة أن المعين عليها، والمحبب لها النفس والشيطان، ومدار هذه الكلمات القدسية الترغيب والترهيب، الترغيب بعون الله تعالى وعزّ طاعته، الترهيب من هجر طاعته وذل معصيته مع قيام الحجة على العاصي، وحلول المنة الإلهية على الطائع مهما بلغ في طاعته حداً فلن يصل لمقام الحمد أو شكر نعمة التوفيق لها، ومالها من عظيم الاجر، ومقام القرب.

وعن أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام «قال: مكتوب في التوراة: ابن آدم كن

كيف شئت، كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه القليل العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته، وزكت مكسبته وخرج من حدِّ الفجور»[٩].

يبدو ـ والله تعالى العالم ـ بأنّ هذه النصوص والمواعظ التي في التوراة تأتي لتعالج صفات سلبية يتصف بها بنو اسرائيل من جهة خصوصية الخطاب لهم في هذا الشأن كما أن في دلالتها العامة تأكيد لمواطن الاخلاق العالية التي تدعو لها السماء في كل الديانات والرسالات والكتب من ذلك مثلاً قول الصادق عليه السلام في شكر المنعم نقلاً عمّا في التوراة قال عليه السلام «مكتوب في التوراة: أشكر من انعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم، وامان من الغير».[١٠]

ولعل من أوثق مظاهر التلاقي والتلاحم بين الكتب السماوية أنك تجد هذا المعنى ظاهراً في آيات القرآن الكريم من دلالة قوله تبارك شأنه: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم: ٧).

وأخالك تجد المعنى ذاته بين التوراة وبين القرآن الكريم عندما تقرأ قول أبي جعفر الباقرعليه السلام وإشارته إلى ما هو مكتوب في التوراة التي لم تغيّر «أن موسى عليه السلام سأل ربّه فقال: يا ربِّ، أقريب انت مني فأناجيك، أم بعيد فأناديك، فأوحي الله عز وجل إليه: يا موسى، أنا جليس مـن ذكرني، فقال موسى عليه السلام : فمن في سترك يـوم لا ستر إلا سترك؟ قال: الذين يذكرونني فأذكرهم، ويتحابون فيَّ فأحبهم، فأُولئك الذين إن أردت أن أُصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم»[١١].

واعتقد أن النص يقارب في دلالته قول الله تبارك شأنه في محكم التنزيل: ﴿**وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي**

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

إنّ هذا التقابل الدلالي والتقارب المعنوي بين نصوص الكتب الإلهية لدليل على مرجعيتها الواحدة، ومصدرها السماوي وفيضها من عين واحدة، واشراقها من سراج نور الوحدانية.

وأعود لرواية النبي صلى الله عليه وآله عن التوراة والزبور وما فيها من دعوة للتوجه إلى الله تبارك شأنه في الدعاء، طلباً للإجابة واظهاراً للفاقة، واعظاماً لمقام الربوبية، واعزازاً لمقام العبودية قال صلى الله عليه وآله: في التوراة أن الله يقول: «يا موسى، من رجاني ألح في مسألتي، وفي زبور داود يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، تسألني وأمنعك لعلمي بما ينفعك، ثم تلح عليّ بالمسألة فأُعطيك ما سألت»(١٢).

ولعلّ في إشارته (عليه الصلاة والسلام وعلى آله الطيبين الطاهرين) إلى كليم الله موسى وإلى نبيه داود ما يقدم صورة لمقام الدعاء في العبادة وتوحيد الله تعالى وتنزيه وهوما تؤكده أدعية الأنبياء في القرآن الكريم من جهة مقام الدعاء في العبادة (١٣).

ويؤكد الإمام علي بن الحسين عليه السلام مفهوم التقاء العلم بالعمل ووجوب تلازمهما وتطابقهما من خلال نقله عما مكتوب في الإنجيل حيث «جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام: مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفرا ولم يزدد من الله إلا بعدا. » (١٤)

فاحتجاج الإمام بنص إنجيلي إنما يريد بذلك توجيه الانظار ـ والله تعالى العالم ـ إلى قضايا عديده منها أنهم أهل وراثة الأنبياء وكتبهم، وقداسة فكرة

ارتباط العلم بالعمل وأنها مما ورد في كتب السماء لأهل الارض. وأن مقامهم عليهم السلام في العلم بما في الانجيل أو التوراة أو الزبور يعني أنهم خلاصة الرسالات عندهم، وملتقى الوحي السماوي لديهم وهم أمناؤه وأهله، ومن هذه الحيثية يستغرب بعض أهل الكتاب واحبارهم وعلماؤهم من مقام علم أهل البيت عليهم السلام بكتبهم ودياناتهم فيسألون ويستفهمون باندهاش واعجاب؟ وهو حال بريهة النصراني الجاثليق الذي ناظر هشام بن الحكم ثم قدما على أبي عبدالله الصادق عليه السلام «... فلقيا موسى بن جعفر عليهما السلام، فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال موسى بن جعفر عليهما السلام: يابريهة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ موسى بن جعفر عليهما السلام، بقراءة الانجيل، قال بريهة: والمسيح لقد كان يقرأ هكذا وما قرأ هذه القراءة إلا المسيح، ثم قال بريهة: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن وحسن إيمانه وآمنت المرأة وحسن إيمانها. قال: فدخل هشام وبريهة والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام، وحكى هشام الحكاية والكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبريهة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾، فقال بريهة: جعلت فداك أنى لكم التوراة والانجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول: لا أدري فلزم بريهة أبا عبدالله عليه السلام حتى مات أبو عبد الله عليه السلام، ثم لزم موسى بن جعفر عليهما السلام، حتى مات في زمانه فغسله بيده وكفنه بيده ولحده بيده، وقال: هذا حواري من حواريي المسيح يعرف حق الله عليه، قال: فتمنى أكثر أصحابه أن يكونوا مثله»(١٥).

ولك أن تتأمل في سؤاله تعجباً يحيط بكل جوانبه «جعلت فداك أنى لكم

التوراة والانجيل وكتب الأنبياء؟!» والامر عينه في التفكّر بجواب أبي عبدالله عليه السلام إنها وراثة الأنبياء وعلمهم وكتبهم؛ لأنهم امتداد الرسالات، وخلاصة النبوات والأوصياء المستودعين المستحفظين لودائع الاديان وعلومها، ولعل الامر لا يقف عند رجل واحد من أهل الكتاب وإنما تبدو في تراث علاقة أهل البيت بالآخر الديني ظاهرة، لها ابعادها وحوادثها ولعل في محاورة الرضا من آل محمد عليهم السلام مع أهل الملل والنحل دليل آخر على اعتراف أهل الكتاب بمعرفة أهل البيت عليهم السلام بكتب الرسالات السابقة ونصهم على تفاصيل دقيقة من معانيها ودلالالتها، فقد كلم الامام عليه السلام اصحاب الديانات والملل كلٌّ واحد منهم بكتابه، فاحتج على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الانجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى الهرابذة بفارسيتهم وعلى أهل الروم بروميتهم وعلى اصحاب المقالات الاخرى بلغاتهم.

فقد التفت الإمام بعد مناقشة للجاثليق واقراره للإمام بعدم وجود مثيل له في المسلمين ـ إلى رأس الجالوت لمحاورته فاشترط رأس الجالوت على الامام عليه السلام ألا يقبل منه حجة إلا من التوراة أومن الانجيل اومن زبور داود أوبما في صحف ابراهيم وموسى، فقبل الإمام منه ذلك، واحتج عليه بما قال حتى اقرَّ له الجميع بالعلم والحجة والبرهان بما في كتبهم وبحسب اعتقادهم(١٦).

ولم يكن الإمام الرضا عليه السلام في منهجه العلمي الحواري مع أهل الاديان والملل بدعاً عن منظومة أهل البيت عليهم السلام في توارث العلم والمعرفة بالكتب السماوية السابقة، ومن الانصاف الإشارة إلى أن حواره هذا وغيره يتطابق تماماً مع فيض قول جدّه علي عليه السلام وحواراته مع أهل الاديان فهو القائل في اكثر من مناسبة وأكثر من مكان، بسند متصل عن إبي عبدالله عن آبائه «قال: سمعت علياً

(صلوات الله عليه) يقول لرأس اليهود: على كم افترقتم؟ فقال: على كذا وكذا فرقة. فقال علي عليه السلام. كذبت يا أخا اليهود: ثم أقبل على الناس فقال: والله لو ثنيت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم. أيها الناس، افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، سبعون منها في النار، وواحدة ناجية في الجنة، وهي التي اتبعت يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام ! وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعين في النار، وواحدة في الجنة، وهي التي اتبعت شمعون وصي عيسى عليه السلام، وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون فرقة في النار، وفرقة في الجنة، وهي التي اتبعت وصي محمد صلى الله عليه وآله، وضرب بيده على صدره، ثم قال: ثلاث عشرة فرقة من الثلاث والسبعين كلها تنتحل مودتي وحبي، واحدة منها في الجنة وهم النمط الاوسط، واثنتا عشرة في النار»[١٧].

وكلام علي عليه السلام هذا لم يقله أحد قبله، ولم يتجرأ على قوله أحد بعده، وهو كناية عن العلم الحقيقي والامتداد الرسالي بين الاديان، ولاسيما أنّ أهل الكتاب يجزمون بعدالة علي عليه السلام وإنسانيته وقوله (لقضيت...) يُنبئ بالعلم والعدل بحسب لوازم كل قضاء على الرغم من تعدد موارده، وتنوع مصادره.

ولا أظنك تغفل عن قوله عليه السلام باختلاف وافتراق أهل الاديان في دينهم الواحد[١٨]، وما فيه من مزية العلم بما كان أو سيكون، ولعل معلم أو ظاهرة ذكر العلم بالتوراة والزبور والانجيل عند أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما علي عليه السلام تردف بالعلم في القرآن وهو ما يفهم منه تمثلهم ووراثتهم واستيعابهم خلاصة كتب السماء.

فقد تجلى ـ علي وأهل بيته عليهم السلام ـ بمصداقهم العملي الواقعي عن مفهوم

اجتماع الاديان، واختزال علمها، وايجاز سعتها المعرفية بهم وفيهم عليهم السلام ولك أن تنظر فيما نقل عنهم، أو رُوي فيهم من أخبار تدرك مقام علمهم، ومندوحة معارفهم بالآخر على وجه التفصيل الدقيق بما يعجز عنه أهل الاديان انفسهم حتى كان ذلك عنواناً عاماً في محاوراتهم مع أهل البيت عليهم السلام. ولك أن تقرأ قول علي عليه السلام وهو يجمع ذكر الكتب السماوية على لسانه ويفحم من يدّعي العلم بها، أو يزعم الجمع بينها في مستوى المعرفة يقول عليه السلام: «... سلوني قبل أن تفقدوني[19]، هو الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إني لأعلم بالتوراة من أهل التوراة، وإني لأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل، وإني لأعلم بالقرآن من أهل القرآن ....»[20]

ولعلك تلمس عظم مقام هذا العلم ودائرته المفتوحة من قَسَم الإمام عليه السلام (فو الذي) ودلالته المقدسة في الجمع بين القسم بالله تبارك شأنه على المعرفة بكتبه ورسالاته السماوية.

هذا ملمح من مظاهر العلم بالكتاب وأهله عند أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله، وملمح آخر لا يكاد يقل اثراً، أو يفتر سمواً ـ عن الأول ـ من منزلة العمل ووراثة الكتاب وهو إنباؤهم عليهم السلام البشارة بالنبي وآله عليهم السلام، وأسمائهم في الكتب السماوية السابقة بنصوص متواترة، وعبارات واضحة اقرَّ بها علماء الاديان وكبارهم وسيأتي ان شاء تعالى الحديث عنها مستقلاً بفصل منفرد يكرّس الحديث فيه باتجاهين من البشارة بما في كتبنا الحديثية من جهة وبما في الكتب المقدسة للأديان من جهة ثانية.

ومن المفترض هاهنا الإشارة الى ظاهرة كبيرة ومهمة في تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام تزخر بذكر أنبياء أهل الكتاب عليهم السلام، وهي الأدعية والزيارات، حيث حفلت النصوص الدعائية عند الأمامية، ولاسيما في زيارات المعصومين بذكر

الأنبياء والرسل كثيراً، ونادراً ما تجد دعاءً أو زيارة تخلو من ذلك، وهذا من مواطن تربية أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم وتعليمهم كيفية مخاطبتهم، فضلاً عن توكيد صلة شيعتهم بأنبياء الله تعالى ورسله، وتوكيد ايمانهم بالغيب الذي يشكل الأنبياء وكتبهم جزءاً مهماً في الايمان به والاعتقاد فيه، ولعله لا يخلو من إشارة جميلة حول إشعار الآخر (المغاير) بروح التعايش والسلام الديني والتقارب في الاعتقادات التي منبعها السماء، وأمناؤها الأنبياء والاوصياء.

وعلى كل حال فإنك تجد في نصوص النبي وأهل بيته عليهم السلام أو الخطابات الموجهة لهم بالدعاء والزيارة ذكر الأنبياء والمرسلين منها على سبيل المثال: الصلاة على النبي وكيفياته التي جاءت على لسان الرسول الاعظم عن: «كعب بن عجزة: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله كيف السلام عليك كيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا اللّهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد»(٢١).

وكذا الامر في زيارة الإمام علي عليه السلام والتي ينص فيها على وراثته لعلم النبيين من الاولين والآخرين: «السلام عليك يا وارث علم النبيين، ومستودع علم الاولين والآخرين»(٢٢). وترى ذلك مكرراً ومقرراً الأدعية والزيارات التي يخاطب بها أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن اكمل مصاديق ذلك خطاب الوراثة للأنبياء بالعلم والكتب الإلهية وما تعلق بهما من مشابهة الأنبياء والمرسلين في المواقف الرسالية، والتضحية والفداء من أجل ترسيخ دين الله تعالى، وعقائده ومن أمثل مصاديق ذلك الخطاب تلحظه في زيارة سيد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام والتي تسـمى بـ (زيـارة وارث) أي وارث الأنبيـاء والمعصومين وفيها : «السـلام عليك

يا وارث آدم صفوة الله! السلام عليك يا وارث نوح نبي الله! السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله! السلام عليك يا وارث موسى كليم الله! السلام عليك يا وارث عيسى روح الله! السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله! السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام ولي الله» (٢٣).

وهذا الخطاب بالسلام والنداء بالوراثة إنما هو كناية عن تماثل وتشابه مقام الإمام عليه السلام لمقام الأنبياء عليهم السلام، وتأكيد خاتمية النبوات والرسالات إنما انتهت إليهم، فكانوا هم عليهم السلام ورثة الأنبياء والرسالات والكتب السماوية.

ولا يقتصر خطاب الوراثة على أحد من المعصومين دون الآخر، وإنما تجد ذلك الخطاب موجهاً إليهم عليهم السلام في اغلب زياراتهم، فضلاً عن أدعيتهم التي روتها الإمامية عنهم عليهم السلام .

## النسق الثاني

## المشابهة والمقاربة بين أهل البيت عليهم السلام والأنبياء وأوصياؤهم

لعل من المناسب التساؤل هاهنا عن فلسفة المشابهة بين أهل البيت عليهم السلام، وأنبياء الأمم السابقة وأوصيائهم من أهل الكتاب، فهذه الظاهرة في أحاديثهم عليهم السلام لا يمكن مغادرتها قبل الاشارة لها، أو البحث عن أسبابها، وآثارها، ومدياتها في تقريب المسافة بين الاديان زمانيا ومكانياً، وقطف ثمار التقاء الأديان والرسالات على خط واحد، وهو مرجعيتها الحقيقة في منبع مشترك وفيض إشراقي من سراج واحد.

فالإيمان بالرسالات الإلهية أفضى إلى انقاذ الناس من براثن الشرك والإلحاد

والجهل، ولم تكن طرائق بلاغها وأدائها يسيرة على الأنبياء من غير أن يبذلوا دونها أرواحهم وأنفسهم المقدسة في سبيل اعلاء كلمة الله تعالى في أرضه، والحال ذاته مع الأمناء على الرسالات من الأوصياء الذين استودعوا أمانة الرعاية والحفظ حتى يحكم الله ما يشاء، من هنا اعتقد أن رمزية المشابهة بيت أهل البيت عليهم السلام والأنبياء وأوصيائهم جاءت لتأكيد الاشارة على أن نهج التضحية والفداء في سبيل الرسالات كانت واحدة، وإن اختلفت ظروف الزمان والمكان والاقوام فيما بينها، إلا أنها بمجموعها قد تعرضت لشتى أنواع الانكار والابتلاء والمعارضة من مجتمعاتها في بادئ امرها حتى استقرت وقامت الاديان والرسالات بفعل منهج التضحية من أمناء الاديان (الأنبياء الاوصياء).

ومن نافلة القول الاشارة إلى أن الاعتقاد بمقام الفداء لا يلغي سمة الفوارق بين الأنبياء والاوصياء في الاديان المتعددة، ولاسيما فيما تعرضوا له من الأذى والمعارضة، فضلاً عن أساس تمايزهم وتفاضلهم الملكوتي(٢٤) هذا **أولاً** .

**وثانياً**: من الدلالة الرمزية في المشابهة بين أهل البيت عليهم السلام والأنبياء عليهم السلام والأوصياء الإشارة إلى مرجعيتهم الإلهية الواحدة في الصدور، وغاياتهم ومقاصد هم الرسالية الواحدة.

أما الأمر الثالث : فهو توجيه الانظار إلى قداسة منازل الأنبياء والأوصياء في الاديان كافة على تعددها، وفيه ملمح إلى توحيد نظرة الاحترام والإجلال في أوساط الناس كافة إلى سفراء السماء إلى الارض (الرسل والأنبياء والأوصياء) على اختلاف رسالاتهم، وتربيتهم على روح التعامل مع عقائد الرسالات المغايرة ورموزها؛ لاعتقادهم بنهج اخلاقي ينم عن التسامح، وحب التعايش بين المتعددين دينياً على اختلاف الازمان والأماكن، فلعل ما بين الأنبياء قرون وقرون إلا أن

المسافة قصيرة جداً في مشهد التقارب والتشابه بينهما، حتى يكاد بعض المدركين الواعين لمقاصد هذه الرمزية أن يلمسوا الوصف الواحد في مثالين أو شخصين، فيالها من عظمة في بناء الانسان روحياً وخلقياً، وأهم من هذا وذاك اعتقد أن من كمالات مبدأ الإمامة الإلهية، وحجيتها الشاملة العالمية لكل الناس واتصالها من بدء الخليقة حتى ختامها ـ لكي لا تخلو الارض من حجة لله تعالى على خلقه ـ أن تتطابق أو تتقارب أوصاف ومزايا المنتجبين والمُصطَفَين من السماء، وتتجانس أقوالهم وأفعالهم، وترتبط بعضها ببعض بالبشارات، أو التذكير بهم، وتوجيه الأنظار إليهم على الرغم من تباعد أزمانهم، وتخالف حقبهم، وأماكنهم [٢٥]، إلا أن لقاء الرسالات والاديان واشتراك اهدافها ومقاصدها يطوي كل ذلك، فلا مزيّة للزمان طالما تتوحد الغايات في تواصلها الإلهي، وسأقف عند ملامح من وجوه المشابهة والمقاربة بين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام وأنبياء أهل الكتاب.

### أ ـ المشابهة بين النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والأنبياء السابقين عليهم السلام لأهل الكتاب:

فإنك لا تعدم أن تجد المقاربة بين النبي الاكرام صلى الله عليه وآله وأبينا آدم عليه السلام شاخصة حية فعن جابر بن عبدالله الانصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أشبه الناس بآدم، وابراهيم أشبه الناس بي خَلقَهُ وخُلقُهُ وسماني الله من فوق عرشه عشرة أسماء، وبين الله وصفي وبشر بي على لسان كل رسول بعثه إلى قومه، وسماني ونشر في التوراة اسمي، وبث ذكري في أهل التوراة والانجيل....» [٢٦] ولا ريب في أن تشابه الأنبياء وهم المنتجبون باختيار السماء والمصطَفَون على العالمين فلابد من وجود ما يميزهم عن غيرهم ويجعلهم في نظم النبوة والرسالات السماوية، وكذا

الامر بالنسبة للأوصياء فهم الامناء بعد الأنبياء (فما من نبي إلّا وله وصي)[٢٧]، وقد عرّف كل نبي منهم بوصيه ومن يأتي بعدهُ، فهذا الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله يحدد لنا في اكثر من موقف وحديث نقباءَه، ويقارب بينهم في العدد مع نقباء الأنبياء السابقين عليهم السلام «عن الاصبغ عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: معاشر الناس اعلموا أن لله بابا من دخله أمن من النار، فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال: يا رسول الله اهدنا إلى هذا الباب حتى نعرفه، قال: هو علي بن أبي طالب سيد الوصيين وأمير المؤمنين وأخو رسول رب العالمين وخليفته على الناس أجمعين، معاشر الناس من أحب أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب، معاشر الناس من سره أن يتولى ولاية الله فليقتد بعلي بن أبي طالب والائمة من ذريتي، فإنهم خزان علمي. فقام جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه فقال: يا رسول الله وما عدة الائمة؟ فقال: يا جابر سألتني رحمك الله عن الاسلام بأجمعه، عدتهم عدة الشهور، وهي عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض، وعدتهم عدة العيون التي انفجرت لموسى بن عمران عليه السلام حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وعدتهم عدة نقباء بني إسرائيل، قال الله تعالى: " ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا " فالأئمة يا جابر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم »[٢٨].

والمقاربة والمشابهة بين أوصياء محمد صلى الله عليه وآله ومن سبقه من الأنبياء واضح جلي، ولعل من سنن الاديان والرسالات أن تتشابه مفاصلها، وتتحد غاياتها فالتقابل بالعدد بين أوصياء الأنبياء يلمح بالضرورة إلى مرجعية واحدة تنتج على منوالها دعوات الرسل، وخطوات الاوصياء والأمناء بعد الأنبياء.

ومهما يكن من أمر فلا أحسب معلماً في التواصل مع الاديان الاخرى، أو

التلاقي الرسالي معها مثل مصداق أهل البيت عليهم السلام مطلقاً من حيثيات كثيرة أهمها واقع تجربتهم التي بأثر تراثي انساني كبير، يهيكل لنا بوضوح كيفية التعامل مع التحديات العصرية في علاقتنا مع الآخر، فضلاً عما فيها من حقول معرفية وتصورات فكرية ورؤية استشرافية للقابل من الزمان، لا يخرج عن معالم ستراتيجيات الرسالات، أو ايديولوجياتها الحضارية الدينية التي قامت على أسسها وقواعدها الرسالات .

**ب ـ المشابهة بين الإمام علي عليه السلام والأنبياء والأوصياء :**

نصت كثير من الاحاديث النبوية الشريفة على وجوه المقاربة والتشابه بين الإمام علي بن أبي طالب والأنبياء السابقين وأوصيائهم عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في سلمه وإلى ابراهيم في حكمه وإلى موسى في فطانته وإلى داود في زهده، فلينظر إلى هذا. قال: فنظر نا فإذا على بن ابي طالب قد أقبل كأنما ينحدر من صبب»(٢٩).

ولعل فوائد هذا الحديث من جهة، وتأكيد قوله على لسان النبي صلى الله عليه وآله في مختلف الأوقات والاحيان وصفاً لمقامه ومنزلته في اتصاله مع الأنبياء والأوصياء في الأوصاف الرسالية التي محورها التقاء صفات رموز الاديان والرسالات وتعاهدهم أمر الوصاية الإلهية والحجية على الناس جيلاً بعد جيل من بدء الخلق إلى قيام الساعة. فالإمام على ابن ابي طالب عليه السلام مثّل رأس أهل البيت بعد مقام النبي صلى الله عليه وآله فهو أبو الأئمة عليهم السلام ، ونفس الرسول صلى الله عليه وآله وهو مقام الصلة، والاشتراك ما بينه وبين الأنبياء والاوصياء من جهة، والأئمة من جهة اخرى إنما هو في ميزان التقريب والتمثيل بين أئمة أهل البيت عليهم السلام والأنبياء والاوصياء كذلك.

وعلى أية حال فإنك تجد هذا الحديث في فرادته التماثلية والتقاربية بين رموز السماء إلى الارض قد وحد المسلمين واقلام المحدثين في روايته بألفاظ كثيرة وصفات عديده للأنبياء (٣٠)، وهو دليل تأكيده من النبي صلى الله عليه وآله وروايته اكثر من مرة في مناسبات مختلفة في عدة أزمان وأماكن، ولا يخفى على اللبيب هذا المنهج النبوي في ايراد المعاني المأمور بها، وترسيخ معانيها في اوساط المسلمين بطرائق عديدة ومتنوعة، وهو كذلك اثبات لإمامته الشاملة وأهل بيته عليهم السلام على جميع الديانات بوصفهم عليهم السلام نقطة الالتقاء بين السابقين من الرسالات وختام الاوصياء على الرسالة الخاتمة.

من هنا يقدم لنا الحافظ أحمد بن محمد بن علي العاصمي (من اعلام القرن الرابع الهجري) مفاهيم تقاربية تناظرية بين علي عليه السلام وأنبياء الله تعالى السابقين مصاديق من حياتهم الرسالية، ويوضح مديات تطابقها واقعاً حياً في زمان علي عليه السلام (٣١).

ولعل ابن شهر آشوب يؤكد هذا المعنى بسند الحديث عن ابن عباس «عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في حلمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى إدريس في تمامه وكماله وجماله، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل، قال: فتطاول الناس فإذا هم بعلي كأنما ينقلب في صبب وينحط من جبل. تابعهما أنس إلا انه قال: وإلى ابراهيم في خلته، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب. وروي انه نظر ذات يوم إلى علي قال: من أحب أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى ابراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في قوته، فلينظر إلى هذا. وفي خبر عنه صلى الله عليه وآله: شبهت لينه بلين لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيوب، وسخاءه بسخاء ابراهيم، وبهجته ببهجة سليمان، وقوته بقوة

داود »[٣٢].

ومن لطائف الاستدلال على مقام علي عليه السلام الرسالي من خلال مصداقية الصفات التمثيلة الشبهية في الإمام أنه لا يمكن ان تجمع كُلُّ هذه الصفات الرسالية بأحد إلا كان أفضل ممن انفرد بصفة واحدة منها، هذا في مقابل الأنبياء والاوصياء عليهم السلام غير النبي الاكرم صلى الله عليه وآله، فهو أفضل الموجودات الإلهية واكمل الأنبياء واتمهم صفة ورفعة ومزية وهو خاتمهم ؛ ولمقام علي عليه السلام من النبي الاعظم صلى الله عليه وآله كانت مزية علي عليه السلام في ذلك تُقاربُ وتُشابهُ الأنبياء، وتَفوقَهم باجتماع صفاتهم فيه عليهم السلام، وقربه من مقام الرسول الأكرم والرسالة الخاتمة وهو مصداق قول الصادق عليه السلام :« ...إن عليا عليه السلام برسول الله شرف، وبه ارتفع، وبه وصل إلى إطفاء نار الشرك وإبطال كل معبود دون الله عزوجل...»[٣٣] وعلي عليه السلام القائل أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله «كالضوء من الضوء»[٣٤] ولا حاجة لبيان سمة هذا التشبيه بلاغة وعمقاً دلالياً لا ينفلت عن الاعجاز البلاغي في مضامينه الأسلوبية.

وتحفل الرعاية الرسالية النبوية بالإمام علي عليه السلام بلوحتين في المقاربة الصفاتية بين الإمام والأنبياء والاوصياء :

**إحداهما**: خصوصية مشابهته للأنبياء عامة وهوما سلف الحديث عنه.

**والثانية**: مزية مقاربته واتصافه بالسيد المسيح عليه السلام وفي ذلك نصوص كثيرة قررها النبي الاعظم صلى الله عليه وآله في سنته وعلى لسانه في مناسبات عديدة، وبألفاظ مختلفة على تنوع الزمان والمكان؛ منها ما كان سبباً في نزول آي من القرآن الكريم[٣٥]، روى صاحب الغارات« عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: لما قدم علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح خيبر قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لا أن تقول فيك طوائف من

امتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم قولاً لا تمر بملأ إلّا أخذوا من تراب رجليك ومن فضل طهورك فيستشفون به ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وانك تؤدي عني، وتقاتل على سنتي، وانك في الآخرة غدا أقرب الناس مني، وانك غدا على الحوض خليفتي، وانك أول من يرد علي الحوض غدا، وانك أول من يكسى معي، وانك أول من يدخل الجنة من امتى، وان شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم ويكونون في الجنة جيراني، وان حربك حربي، وان سلمك سلمي، وان سرك سري، وانّ علانيتك علانيتي، وان سريرة صدرك كسريرة صدري، وان ولدك ولدي، وانك منجز عدتي وان الحق معك، وان الحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، وان الايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وانه لا يرد علي الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك غدا حتى يرد الحوض معك. فخر علي عليه السلام ساجداً ثم قال: الحمد لله الذي من علي بالإسلام، وعلمني القرآن، وحبّبني إلى خير البرية خاتم النبيين وسيد المرسلين، احساناً منه إلى وفضلاً منه علي. فقال له النبي صلى الله عليه وآله عند ذلك: لو لا أنت يا علي لم يعرف المؤمنون بعدي.»[٣٦]والمقاربة بعيسى المسيح عليه السلام توضح صفة كنّى عنها النبي صلى الله عليه وآله ولم يقلها إلا أنه صلى الله عليه وآله أكد هذه الشَبهيّة بالأنبياء لعلي عليه السلام، ولا سيما السيد المسيح مرة بعد اخرى فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: «إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم، أحبته النصارى حتى أنزلوه بمنزلة ليس بها، وأبغضه اليهود حتى بهتوا أمه»[٣٧]، وقد أكد علي عليه السلام دلالة الحديث بقوله «هلك فيَّ رجلان: محب مفرط بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنئآني في على أن يَبهتَني»[٣٨] .

ولعل مصداق حديث النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ما وقع فيه بعض محبيه من

تجاوز حدِّ فهم مقامه عليه السلام في عبوديته لله تبارك شأنه، فقالوا فيه ما يخرجهم عن الإسلام تماماً، وفي الطرف المقابل نرى اعداء الامام عليه السلام من اعدائه حسداً وظلماً وبهتاناً على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام، وكلا الطرفين وجهان لعملة واحدة جعلت من علي عليه السلام مقارباً لمعاناة عيسى عليه السلام من خلال بعض النصارى، ومن اليهود فكلاهما اشتط عن طريق الحق ونهجه، فكانت مُمَاثَلةُ الإمام لمن سبقه دليل على اجتماع مصاديق الأنبياء فيه عليه السلام.

وتتلازم الروايات الشريفة في حق الإمام علي عليه السلام، وتوصيفه بصفات الأنبياء، وتتعاضد مرويات أئمة البيت عليهم السلام مع أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في ترسيخ وتعظيم مقام إلتقائهم عليهم السلام مع الأنبياء وأوصيائهم وأنهم عليهم السلام امتداد لما سبق في المثل الصفاتي والعددي كذلك. فهم اثنا عشر، كنقباء بني اسرائيل وأوصياء عيسى عليه السلام، روي عن صادق آل محمد صلى الله عليه وآله «عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وآله إلى الجن والانس وجعل من بعده الاثني عشر وصيا منهم من مضى ومنهم من بقى، وكل وصي جرت فيه سنة من الاوصياء الذين بعد محمد صلى الله عليه وآله على سنة أوصياء عيسى عليه السلام، وكانوا اثني عشر. وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنة المسيح »(٣٩) ومصداق سنة المسيح عليه السلام متحقّقة فيه بهجره صلوات الله عليه الدنيا وزهده فيها. وإعراضه عنها وقد ذلّت له، ومالت إليه، أو باختلاف الناس فيه، وتفرقهم على ثلاث فرق:

بين محب له على أصل ما أمر الله تعالى به من مقامه في الولاية والإمامة والوصاية، ومن أخرجه عن ذلك إلى ما يُخرج معتقده عن الاسلام إلى الكفر.

ومن عاداه حتى قيل في تشبيه معاديه باليهودي المبغض للسيدة مريم أو

السيد المسيح عليهما السلام .

هكذا كان مصداق سنة السيد المسيح عليه السلام منطبقة في وصي محمد صلى الله عليه وآله وصفاته الإلهية التي جمعها من كل الأنبياء والرسل.

ومن جميل ما يذكر، وعظيم ما يعتبر به وصف علي عليه السلام للأنبياء ولاسيما النبي الاعظم صلى الله عليه وآله والسيد المسيح عليه السلام من كلام له عليه السلام يحث فيه على الاقتداء بالأنبياء مخاطباً من يدعي أنه يرجو الله تعالى : « ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة. ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها. وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام إذ يقول: ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ والله ما سأله إلا خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الارض. ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشذب لحمه. وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها. ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام ، فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب. وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر. وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم. ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله. دابته رجلاه، وخادمه يداه. فتأسّ بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله، فإن فيه أسوة لمن تأسى، وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لأثره. قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً. أهضم أهل الدنيا كشحا، وأخمصهم من الدنيا بطنا. عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئا فأبغضه، وحقر شيئا فحقره، وصغر شيئا فصغره. ولو لم يكن

فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن أمر الله. ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الارض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه»(٤٠).

ولك ان تتصور من ذلك مقام الأنبياء وصفاتهم عند وصي النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وهو يجانس بينهم في التمثيل والتشبيه والصفات التي أساسها الزهد في الدنيا والدعوة إلى الله عزوجل، وأخالك معي تجد سبل التواصل والتلاقي الصفاتي التماثلي بين وصف روح الله عيسى عليه السلام الذي (يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب. وكان إدامه الجوع) وبينه صلوات الله عليه فهو أبو تراب، الموصوف بلبس الخشن وأكل الجشب والصيام والقيام، ولك أن تقرأ كتابه الى عامله على البصرة (٤١) ليتبين لك حقيقة تماثل صفات الأنبياء والأوصياء فيه عليهم السلام.

ثم يجعل من نفسه في آخر الخطبة مصداقاً للتأسي بهم قائلاً: «فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفاً نتبعه، وقائداً نطأ عقبه، والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى»(٤٢).

ومن نافلة القول الاشارة إلى أن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله قد جسد بمطابقة وتمثيل رسالي مقامَ علي عليه السلام ومنزلته منه صلى الله عليه وآله وصياً ومستحفظاً ومؤتمناً أن جعله منه (صلوات الله عليهما) بمنزلة هارون من موسى فقال صلى الله عليه وآله مخاطباً له في مقامات ومنازل، ومناسبات كثيرة متواترة بلغت حد ظهور الشمس في رابعة النهار: «انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»(٤٣).

وتذكير النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون عند موسى عليهما السلام وعِظَم شأنها، ومقامها من رسالة موسى عليه السلام أمر قد بين بعض مفاصله القرآن الكريم، فالإشارة هنا

تتلاحم فيها الدلالات بين التنويه بمقام الوصاية والولاية في الرسالات، وعِظَم مقام علي عليه السلام في الإمامة، وما جرى في الأمم السابقة سيجري في هذه الأمة، فالمعادلة في منزلة هارون بين موسى وقومه هي معادلة علي عليه السلام بين النبي صلى الله عليه وآله وأمته، وهوما كان، فضلاً عن الإشارة إلى تتابع الوصية فيه وفي ذريته عليهم السلام.

هذا ملمح من ظاهرة توصيف الإمام علي عليه السلام بالأنبياء ومشابهتهم له عليه السلام (٤٤)، ولعل الاشارة في هذا المجال تغني عن العبارة.

**ج ـ مريم عليها السلام والصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (المثل الإلهي للصديقة الطاهرة):**

من تجليات العلاقة بين أهل الكتاب وأهل البيت عليهم السلام التقارب والتماثل بين السيدة مريم العذراء أم المسيح عليها السلام وبين الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولمقامها الرفيع وأثرهما الرسالي في الأديان (المسيحي والاسلامي) جاءت وجوه التشابه بينهما لتقرر تماسك الرسالات السماوية مع بعضها، ومرجعيتها الواحدة في تجانس غاياتها ومقاصدها، ولعل من أوضح صور التقارب والتعاضد في المزايا والاوصاف الإلهية بينهما ما نص عليه القرآن الكريم من ذكرهما.

فقد حفلت آيات الكتاب المجيد بذكر مريم عليها السلام اكثر من عشرين مرة بالتصريح باسمها مرة، والكناية عنها ثانية (٤٥)، ونوهت الآيات الكريمة بمقامها العظيم ومكانتها في الاجتباء الإلهي، وحجيتها وخصوصياتها بالنسبة للنبوة والرسالة، فهي عليها السلام المحدثة من الملائكة، والمصطفاة والمجتباة منه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ**﴾ (عمران: ٤٢)، ومن جميل لطائف التعبير في الآية أنها معطوفة على

اصطفاء الأنبياء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ**﴾ (آل عمران: ٣٣)، وفيه إشارة على ان اصطفاءها كان «بمستوى اصطفاء الأنبياء من آدم ونوح وآل ابراهيم اي اصطفاءً نبوياً تختلف ماهيته بحسب حيثيات النبوة والإمامة التي لا تكون إلا في سنخ الرجال بخصوصيات ليس هنا محل بحثها، فاصطفاءها الاول هو قبولها لعبادة الله ومن ثم تطهيرها بعصمة الله ومن ثمَّ اصطفائها لحجيته، فمراحل الاصطفاء تتدرج من نشأتها وتترق بتطهيرها وتكتمل بحجيتها» (٤٦) والمتأمل لذكر مريم عليها السلام القرآني يلحظ تعريفاً سياقياً مفاده التعظيم والتقديس والحجية الرسالية والعصمة الإلهية التي هي مدار الاعتقاد الاسلامي بها، ولعله يختلف عن تصوراتها عند الاديان الاخرى، ولاسيما تأليهها هي والسيد المسيح عليه السلام (٤٧).

في المقابل الصورة القرآنية للسيدة مريم العذراء عليها السلام المحاطة بذكر الأنبياء والرسالات، تلحظ تلويح القرآن الكريم، وأشارته لمقام الصديقة الشهيدة عليها السلام محاطاً بذكر النبي وآله (صلوات الله عليهم)، وهو العنوان الأوفى في التنويه بها قرآنياً، فهي من أركان آية التطهير(٤٨)، ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (الأحزاب: ٣٣)، والعلم بالكتاب في قوله تعالى: ﴿**لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ (الواقعة: ٧٩)، والمخصوصة بالذكر في سورة الدهر، وآية المودّة والقربى (الشورى/ ٢٣) فضلاً عن آية المباهلة (آل عمران/٦١) وغيرها.

والاعتقاد بمقام الصديقة الشهيدة عليها السلام في هذه الآيات وغيرها من جهة التطهير والعصمة والحجية والعلم، واشتراكها مع آل محمد في المقام الرسالي والإلهي

بل هي مصدر نورهم و«واسطة فيض تكوينية لوجودهم وكمالاتهم (صلوات الله عليهم»[٤٩] يستلزم أنها حجة على من سبقها كون ولاية وحجية النبي وآله ﷺ على من سبقهم بالنبوة الخاتمة والرسالة الخاتمة، والوصاية والإمامة الخاتمة الشاملة العالمية على الأديان السماوية السابقة.

فإذا كانت السيدة مريم عليها السلام سيدة نساء عالمها، فالزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

**وبعبارة أخرى**:

يحرر الكتاب المجيد بأعلى درجات التقديس ذكر مقام السيدة مريم عليها السلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويماثل بينهما في مشهدين يحملان سمة التفكّر والتدبّر والاستنباط، فكلاهما من المُطهّرات المحدّثات المُصطَفيات المنتجَبَات، وهما أسُّ قواعد رسالات السماء وفيضها، وأمهات رجال التضحية والفداء في سبيل كلمة الله تعالى في أرضه.

فلقد كانت مريم عليها السلام موضعاً لكلمة الله تعالى وروحه، ومقاماً لفيض رحمته ورسالته، وكان من أمر السيدة مريم عليها السلام ان تكون قطب الرحى في دعوة السيد المسيح، وقاعدة الاعتقاد الرسالي بسافرته الإلهية، ودعوته المسيحية من خلال مقامها الاصطفائي وحجيتها على أهل زمانها، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ**﴾ (المؤمنون: ٥٠)، فجاء اسمها مشفوعاً في آيات كثيرة بذكر السيد المسيح عليه السلام أو محاطاً بذكر الأنبياء عليهم السلام ورسالاتهم.

في مقابل هذا المشهد القرآني عن قديسة زمانها (مريم بنت عمران) عليها السلام أم السيد المسيح عليه السلام ينصّ القرآن الكريم ويشير إلى مقام الصديقة الشهيدة أم

أبيها عليها السلام ولكن بأسلوب آخر وبنهج يعتمد أفقا واسعاً في التفكّر والتدبّر والتبصّر في توكيد المطالب الآتية :

**أولاً**: بيان منزلتها، وعظم مكانتها في كل مقامات الاصطفاء والاجتباء، فضلاً عن كونها مصدر فيض لمقامات ابنائها (أئمة أهل البيت) ومناط الحجة عليهم (صلوات الله عليهم اجمعين) .

**ثانياً**: اشتراكها في جميع الآيات النازلة بحقهم من جهة التنويه والتلميح لا النص والتصريح، ولعل في ذلك سرّاً من أسرار المعارف القرآنية التي تعتمد على الدعوة إلى الاستدلال والاستنباط والوصول إلى الايمان العقائدي بالبذل والعناء الفكري، وصولاً للاعتقاد الحقيقي اليقيني بالأشياء. هذا من جهة، ومن جهة اخرى شُفِع هذا المنهج القرآني بتقرير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وجعل بيان مكانتها، والتصريح بمقامها العظيم من شأن ومسؤولية النبي صلى الله عليه وآله وأبنائها الاطهار عليهم السلام ، ومن جهة ثالثة كانت الصديقة الطاهرة عليها السلام في كل ما تعلق بها وبأبنائها عليهم السلام من الآيات القرآنية إما ركناً من أركان اسباب النزول، أو مصداقاً من المصاديق التفسيرية في وجوهها الكاملة التامة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وبنصوص أئمة أهل البيت عليهم السلام انفسهم.

وأكاد أجيب ـ وأخالك معي ـ مما سلف على تساؤل يفرض نفسه فكريا وتفسيريا لماذا ذكرت الآيات الكريمة مريم عليها السلام صراحة، ولم تذكر الصديقة الطاهرة عليها السلام بصريح النص، وبعبارة واضحة على مالها من مقام وشأن في السماء قبل الارض، ولاسيما أن كتاب الله تعالى يجعل ثمة نظم ترابط بين ذكر مريم عليها السلام والصديقة الشهيدة صلى الله عليه وآله، مثلما هو واقع وواضح في السنة النبوية؟

أقول: فضلاً عما مضى، وتجانساً مع أصل المطلب في وجه التقارب والتماثل

بين المطهّرات والمحدّثات والمجتبيات في القرآن الكريم (مريم القديسة، والصديقة الشهيدة) إن أساليب القرآن الكريم التعبيرية، ولاسيما في ذكر الأعلام والمسميات تتبع وتنسجم مع غاياته الدلالية، ومقاصده المصداقية الواقعية التي تجمع بين معاني السياق القرآني من جانب، وأسباب النزول من جانب آخر؛ لذا فإن سبب النزول يكشف عن السياق القرآني ومعانيه التفسيرية (المفهومية والمصداقية)، ويقدم تعليلاً لتعدد أساليب التعبير في آياته المعظمة وتنوّعها، علماً أن الكناية بلوازم تشخيص المصاديق والتصريح بها قرآنياً يكون أبلغ في المقام، وأسمى في الدلالة، ولعله في حكم التصريح والأداء للمسميات نصاً، واعلاناً في تحديد المراد دون غيره، وتشخيص المصداق من دون التباس، ولاريب أنّ السنة النبوية الشريفة(قولاً وفعلاً وتقريراً) المبيّن والموضح والمفسّر لكل من يشتبه عليه المعنى أو يغفل عن الوصول، أو القرب من دلالات المراد الإلهي بيانا للآيات أو مصداقا للمفاهيم، ولنا في آية المباهلة وهي قوله جل ذكرهُ: ﴿**فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ (آل عمران:٦١)، فلفظ (نساءنا) دال على الصديقة الشهيدة عليها السلام مصداقاً محدداً لا يمكن أن يخفى دلالياً وبيانياً في أسباب النزول أو المصداق الخارجي الموضوعي للمفهوم القرآني أصلاً، ولك أن تنظر في ثلة من كتب التفسير[٥٠] مثلاً وأنموذجاً لا على سبيل الحصر والقيد .

وفي يقيني أعتقد جازما أنه لا يمكن أن يحتج على النصارى بمن لا يعرفونهم، وأُريد بذلك أهل البيت الخمسة من المكنى عنهم بـ(أبناءنا ونساءنا وأنفسنا فضلا عن الداعي)، وكذا الامر بالنسبة لآيات التطهير، والمودة وغيرها، بل تجد أن الصديقة الطاهرة عليها السلام شريكة في كل ما نزل في حق ابنائها أهل البيت عليهم السلام وهذا التشريك إنما هو وجه من وجوه مقامها وأفضليتها على غيرها من المتقدّمات عليها

في الانتساب والاصطفاء، وإن كنَّ ممن سبقها زماناً في الرسالات الاخر.

ولاريب في أن إظهار مزايا أهل البيت مجتمعين وفضيلتهم ـ بما فيهم الصديقة الشهيدة ـ في الآيات القرآنية إنما فيه من المقام الرسالي والنظم الإلهي في تكاملهم وتمايزهم وقيام أحدهم مقام الآخر في سلسلة أنبأنا عنها النبي وآله عليهم السلام وهكذا تراهم كلاً مجتمعين في آيات المباهلة والتطهير، والمودة وغيرها...

إذاً تَوهم عدم تشخيص وتسمية ذكر الزهراء عليها السلام أو أهل البيت عليهم السلام عموماً بأسمائهم (مع وجودهم مصاديق حيّة) في النص القرآني يكاد يكون قديماً، وجديداً حاضراً في كل عصر، ولعله يثار بين الحين والآخر تبعا لمرادات قائليها واعتقاداتهم وتعليل ذلك يخرج عن حدود ما نحن فيه، إلّا أنني استحضر سؤال أبي بصير للإمام الصادق عليه السلام لمعرفة مدى توهم عدم اغناء المصداق الخارجي الموضوعي عن التسمية، والحق ان المصاديق الفعلية الواضحة الجلية الخارجية أحق بالاعتماد والفهم والاعتقاد من التسميات مع كونها مبينة موضحة مفسرة بقول النبي وآله، وبتعضيد أسباب النزول وعلله وموضوعاته قال: «سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿**أَطِيعُوا اللَّه وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾. قال: «نزلت في علي بن أبي طالب، والحسن والحسين عليهم السلام» .

فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليا وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عز وجل؟ قال: فقال:

«قولوا لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثا، ولا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهما، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل الحج ولم يقل لهم طوفوا سبعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر

ذلك لهم.

ونزلت ﴿**أَطِيعُوا اللَّه وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ ونزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي : من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال صلى الله عليه وآله: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله عز وجل أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك. وقال: لا تعلموهم، فهم أعلم منكم. وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبين من أهل بيته لادّعاها آل فلان، وآل فلان، ولكن الله عز وجل نزل في كتابه تصديقا لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء، في بيت أم سلمة، ثم قال: اللَّهُمَّ، إن لكل نبي أهلا وثقلا، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت ام سلمة: ألست من أهلك؟ فقال:

إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كان علي أولى الناس بالناس، لكثرة ما بلغ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأقامه للناس ، وأخذ بيده ، فلما مضى علي لم يكن يستطيع علي ـ ولم يكن ليفعل ـ أن يدخل محمد بن علي، ولا العباس بن علي، ولا واحداً من ولده، إذا لقال الحسن والحسين : إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك، وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبلغ فينا رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك، وأذهب عنا الرجس كما أذهبه عنك .

فلما مضى علي عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكبره، فلما توفي لم يستطع أن

يدخل ولده، ولم يكن ليفعل ذلك، والله عز وجل يقول : ﴿ **وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أو لى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ**﴾ فيجعلها في ولده، إذن لقال الحسين عليه السلام : أمر الله تبارك وتعالى بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلغ في رسول الله صلى الله عليه وآله كما بلغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك.

فلما صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه، وعلى أبيه، لو أرادا أن يصرفا الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلا، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين عليه السلام ، فجرى تأويل هذه الآية: ﴿ **وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أو لى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ**﴾ ، ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين عليه السلام ، ثم صارت من بعد علي بن الحسين عليه السلام إلى محمد بن علي عليه السلام »(٥١).

ولنا أن نستنتج أن خصوصية الزهراء الصديقة عليها السلام قد كشفها النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام من خلال هذه الآيات وغيرها، ولاسيما في تصور علاقتها بالسيدة مريم عليها السلام ، ومدى تطابق صفاتهما وتماثلها من لحاظ، وتفاضل الزهراء عليها من لحاظ آخر.

وقد أكدت هذه البيانات الرسالية نقض ودفع التوهم وانصراف الذهن لأفضلية السيدة مريم على الصديقة الكبرى عليها السلام اعتماداً على مقامها القرآني، والتصريح باسمها، على حين لم يتصور ـ عند الغافلين والواهمين ـ مقام الزهراء الرسالي ومنزلتها الشاملة عند من سبقها بوجودها مصداقاً حياً لمرادات ومفاهيم النصوص القرآنية.

لذا جاء تقرير ووصف النبي صلى الله عليه وآله افضلية الصديقة عليها السلام على مريم عليها السلام في اكثر من موقف، ملمّحاً في الوقت نفسه الى مقام ومنزلة مريم عليها السلام وعلو مرتبتها

كونهما سيدات النساء، وهذا الامر لا ينفي التفاضل بينهما وهو سنّة إلهية تكون تبعا للاجتباء والاصطفاء الإلهي والمسؤولية الرسالية التي تقترن بصاحبها، وعلى كل حال فقد روي عن ابن عباس قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: اللّهُمّ إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي فاحبب من أحبهم، وابغض من أبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس معصومين من كل ذنب، وأيّدهم بروح القدس. ثم قال: [يعني فاطمة] ... وإنها لسيدة نساء العالمين. فقيل له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أهي سيدة نساء عالمها، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك لمريم بنت عمران، فأمّا ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين...»[٥٢] .

وتلحظ تأكيد أهل البيت عليهم السلام على منزلة أمهم فاطمة عليها السلام عند بيانهم لقول النبي الاكرم فعن المفضل بن عمر قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام أخبرني عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله في فاطمة: «إنها سيدة نساء العالمين» أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»[٥٣].

أخلص إلى أن ثمة تماثل وتقارب بين مقام السيدة مريم العذراء عليها السلام، والسيدة الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء عليها السلام فهما ممن كانتا موضع عناية الخالق واجتبائه، ورعايته واصطفائه فهما سيدتا النساء، إلا أن الزهراء عليها السلام اختصت بسيدة نساء الاولين والآخرين، وكانت مريم عليها السلام سيدة نساء عالمها، كما أنهما من المحدّثات، مريم بشهادة القرآن، والزهراء عليها السلام بشهادة أهل بيت[٥٤]، وهما من المطهرات بنص الكتاب المجيد، والمخصوصات بالكرامات والإفاضات الإلهية، وهما قاعدة الدعوة للرسالتين السماويتين مريم أم السيد المسيح عليه السلام ، وفاطمة

أم أبيها والمدافعة عن الدعوة الإسلامية في حياة النبي والخلافة والولاية بعد شهادته ﷺ، وهما شريكتا الخطاب الإلهي في القرآن الكريم بآيات عديدة، أوضحت شبكة روحية قِيَميَّة في تمثّل مريم عليها السلام المصرح بها، المنصوص عليها قرآنياً، لفاطمة الزهراء عليها السلام المكني عنها، المشار إليها هدفاً في التأمل والنظر والتفكر وغاية للاطمئنان، والاعتقاد المستخلص من الاستدلال والاستنباط. عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها مثلاً ضرب الله لفاطمة عليها السلام وقال: إن فاطمة احصنت فرجها فحرّم ذريتها على النار»[٥٥] هذا غيض من فيض مما ذكر وعرف وما سواه فالله العالم به.

### د) التقارب والتشابه بين الامام الحسين عليه السلام والأنبياء:

ليس بدعاً من القول أن يكون سيدالشهداء عليه السلام وارث الأنبياء والرسالات، فهو آخر الخمسة من أصحاب الكساء الذين بشّرت بهم الكتب السماوية على لسان أنبيائها[٥٦]، ولعل أجلى التشابه والتماثل لأبي عبدالله الحسين عليه السلام يظهر مع أنبياء الله الذين قدموا أرواحهم في سبيل رسالاتهم، ولاسيما نبي الله يحي بن زكريا عليهما السلام الذي تلمحُ له مع الإمام عليه السلام ملامح التماثل والتقارب، فقد بشر النبي بالحسين قبل ولادته، وكذا الامر ليحي بشّر به زكريا قبل ولادته، لم يسم باسم الحسين أحد قبله، ويحي لم يسم باسمه أحد قبله، يحي قتل مظلوماً وبكت السماء والارض عليه دما، وأُهدي رأسه إلى بغي من بغايا بني اسرائيل ووضع رأسه بين يدي عدوّه، والحسين عليه السلام قتل مظلوماً، وبكت السموات والارض عليه دما، وجِيء برأسه إلى الطاغية يزيد بن معاوية، ووضع أمامه، إلى غير ذلك من وجوه التشابه[٥٧] بين الحسين عليه السلام ويحي عليه السلام فليس غريباً بعد ذلك أن تجد أن

الحسين عليه السلام يكثر من ذكر يحيى في أحاديثه[٥٨]، كما كان الحسين عليه السلام على لسان زكريا عليه السلام كما في حديث سعد بن عبدالله القمي مع الإمام العسكري عليه السلام والحجة صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وفيها سؤاله عن قوله تعالى: ﴿**كهيعص**﴾ (مريم: ١)، «قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل ﴿**كهيعص**﴾ قال هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصها على محمد صلى الله عليه وآله وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين سري عنه همه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: ﴿**كهيعص**﴾ "فالكاف" اسم كربلاء. و"الهاء" هلاك العترة. و"الياء" يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام. و"العين" عطشه. و"الصاد" صبره. فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته (إلهي أتفجع خير خلقك بولده إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه، إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة، إلهي أتحلّ كربة هذه الفجيعة بساحتهما)؟! ثم كان يقول: «اللّٰهُمَّ ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر، وأجعله وارثاً وصياً، واجعل محله مني محلّ الحسين، فإذا رزقتنيه فافتني بحبه، ثم فجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده) فرزقه الله يحي وفجعه به. وكان حمل يحي ستة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك» [٥٩].

وجرى ذكر الحسين عليه السلام في قلب ابراهيم ولسانه، وذلك من معاني ووجوه تفسير قوله جل ذكره: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ (الصافات: ١٠٧)، «عن الفضل بن

شاذان، قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : «لما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح [أعز] ولده بيده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه : يا إبراهيم، من أحب خلقي إليك؟ فقال : يا ربّ، ما خلقت خلقا أحب إلي من حبيبك محمد. فأوحى الله عز وجل إليه : يا إبراهيم، فهو أحب إليك، أو نفسك؟ فقال: بل هو أحب إلي من نفسي.

قال: فولده أحب إليك، أو ولدك؟ قال : بل ولده. قال : فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال : يا رب، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، إن طائفة تزعم أنها من امة محمد، ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش، فيستوجبون بذلك غضبي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عز وجل إليه : يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. فذلك قول الله عز وجل:﴿ **وفَدَيْناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ »(٦٠)، وقد يتوهم أن فداء الإمام الحسين عليه السلام لجده إسماعيل عليه السلام فيه من دلالة الأفضلية، وعلو الرتبة على الإمام عليه السلام، وهو بخلاف ما نعتقده بمقام أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما أنهم خلاصة الأديان بأنبيائها ورسلها وكتبها، ومنتهى وحي السماء وملتقى الرسالات وجوهراها، وقد علّق الشيخ المجلسي قدس سره على ذلك فقال «قد اورد على هذا الخبر إعضال وهو أنه إذا كان المراد بالذبح العظيم قتل الحسين عليه السلام لا يكون المفدى عنه أجل رتبة من المفدى به

فان أئمتنا صلوات الله عليهم أشرف من اولي العزم عليهم السلام فكيف من غيرهم؟ مع أن الظاهر من استعمال لفظ الفداء، التعويض عن الشيء بما دونه في الخطر والشرف. واجيب بأن الحسين عليه السلام لما كان من أولاد إسماعيل فلو كان ذبح إسماعيل لم يوجد نبينا وكذا سائر الأئمة وسائر الأنبياء عليهم السلام من ولد إسماعيل عليه السلام فإذا عوض من ذبح إسماعيل بذبح واحد من أسباطه وأولاده وهو الحسين عليه السلام فكأنه عوض عن ذبح الكل وعدم وجودهم بالكلية بذبح واحد من الأجزاء بخصوصه ولا شك في أن مرتبة كل السلسلة أعظم وأجل من مرتبة الجزء بخصوصه.

وأقول: ليس في الخبر أنه فدى إسماعيل بالحسين، بل فيه أنه فدى جزع إبراهيم على إسماعيل، بجزعه على الحسين عليه السلام، وظاهر أن الفداء على هذا ليس على معناه بل المراد التعويض، ولما كان أسفه على ما فات منه من ثواب الجزع على ابنه، عوضه الله بما هو أجل وأشرف وأكثر ثوابا، وهو الجزع على الحسين عليه السلام. والحاصل أن شهادة الحسين عليه السلام كان أمراً مقرراً ولم يكن لرفع قتل إسماعيل حتى يرد الاشكال، وعلى ما ذكرنا فالآية تحتمل وجهين: الأول أن يقدر مضاف، أي " فديناه بجزع مذبوح عظيم الشأن " والثاني أن يكون الباء سببية أي "فديناه بسبب مذبوح عظيم بأن جزع عليه" وعلى التقديرين لا بد من تقدير مضاف أو تجوز في إسناد في قوله "فديناه" والله يعلم»[٦١].

ومن وجوه علاقة سيد الشهداء عليه السلام مع الأنبياء صلته بالسيد المسيح (خصائص عديدة منها البشارة بالحسين عليه السلام، وذكره على لسانه ولاسيما ما يجري عليه في كربلاء، أما البشارة به فهي كلام السيد المسيح عليه السلام لتلاميذه بذهابه إلى ربّه تعالى الذي وعده بإرسال المؤيّد له، جاء في إنجيل يوحنا: «إني ذاهب الآن إلى الذي أرسلني وما من أحد منكم يسألني إلى أين تذهب؟ غير أنني أقول لكم

الحق: من الخير لكم أن أمضي فإن لم أمض لا يأتكم المؤيِّد، أما إذا مضيت فأرسله إليكم، ومتى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والحكم».

ويذهب الدكتور المفكر انطون بارا إلى رأي يخالف به تفسير بعض اللاهوتيين للفظ (المؤيِّد) بأنه من معاني (الروح القدس)؛ لكونه جاء مغايراً لاستعمال توصيف (الروح القدس) في الانجيل، ودعّم ذلك بشواهد مختلفة من الانجيل(٦٢)، واختار رأيا استدل عليه بحسب اعتقاده أن المقصود (المؤيِّد) الذي بشر به عيسى عليه السلام هو الإمام الحسين عليه السلام يقول انطون بارا بحسب ما يعتقد: «ولو نظرنا لرأينا... أن ليس ثمة من شهادة عظيمة اعقبت شهادة عيسى بعد مماته، سوى شهادة ريحانة الرسول الاعظم، وسليل النبوة وغذيّها، وهي شهادة جرت على لسان شهيد المسيحية عيسى عليه السلام ؛ لما تمثلت له اهوال شهيد الإسلام الحسين عليه السلام فوق الأرض التي زارها والتي صارت مسرحاً لشهادته ... قد تأثر ولعن قاتليه، وأمر بني اسرائيل بلعنهم، وحث الذين سيدركون أيامه على القتال معه، فما هو الحجم المقياسي لشهادة الحسين في سفر المسلّمات الإلهية والمعادلات البشرية على ضوء ما قدمته من تضحيات عادت على العقيدة بما عادت؟ كشهادة قربت بعظمتها وخطر نتائجها وعظمها إلى حدود النبوة، وقربت شهيدها إلى حدود ما في النبوة من قدسية وخلود، فكانت ظلاً للنبوة، وكان الحسين عليه السلام شبيها بالرسل. ولا عجب في هذا المقتضي مادام لم يخرج عما اوصى به عيسى عليه السلام بني اسرائيل وما حثهم عليه من القتال مع الحسين، بوصف الشهادة معه «كالشهادة مع الأنبياء»، مادام لم يخرج عما اعلنه الرسول الكريم من قولته: «حسين مني وأنا من حسين» مبتدئاً إعلانه بالتركيز على كون الحسين منه، قبل أن يكون هو من الحسين»(٦٣).

أما ارتباط الحسين عليه السلام وذكره مع ذكر عيسى عليه السلام فيتجانسان في حدود

المكان والموقف الرسالي، فقد نصت كثير من الروايات على أن المكان الذي ولد فيه عيسى عليه السلام عينه المكان الذي تقدّس بشهادة الامام الحسين عليه السلام (كربلاء البقعة المباركة)، فقد حددت الآيات القرآنية صفات مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام ولوازمه بقوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكاناً شَرْقِيًّا﴾ (مريم: ١٦).

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا﴾ (مريم: ٢٢).

وقوله جل ذكره: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا﴾ (مريم: ٢٥).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥٠).

وجميع هذه الآيات قد أوضحتها بيانات أهل البيت عليهم السلام التفسيرية لتحدد مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام، وبالمقاربة بين دلالة الآيات الكريمة وألفاظها (مكانا شرقيا، مكانا قصيا، وهزي إليك بجذع النخلة، ربوة ذات قرار ومعين) التي تقتضي أن يكون جهة توجه مريم عليها السلام إلى الشرق، وإلى مكان بعيد عمّا هي فيه ـ بغضّ النظر عن طريقة الانتقال إليه بصورة خارقة معجزة كحال حملها من غير زواج، أو بصورة اعتيادية كما هو حال ولادتها ـ فضلاً عن المكان يحفل بالنخل، ووجود المرتفعات ـ التلال ـ والماء الظاهر الجاري على وجه الارض، هذه مميزات مكان ولادة السيد المسيح عليه السلام، فإذا قاربناها مع أحاديث أهل البيت التفسيرية، وقدسية المكان الذي قصد لرأينا أن ذلك لا ينطبق على جهة غير كربلاء البقعة المباركة المقدسة[٦٤]، روي عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيّاً**﴾ (مريم:٢٢)، قال: «خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء

فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثم رجعت من ليلتها»(٦٥).

أمّا بيان المكان الذي يحفل بالنخل والمعني بقوله تعالى «وهزي إليك بجذع النخلة ...» فقد أوضحهُ الصادق من آل محمد عليهم السلام في حديث يحي بن عبدالله قال: « قال: كنا بالحيرة. فركبت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما صرنا حيال قريه فوق الماصر * قال: هي هي حين قرب من الشط وصار على شفير الفرات، ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: اتدرى اين ولد عيسى عليه السلام؟ قلت: لا، فقال: في هذا الموضع الذي انا جالس فيه، ثم قال: أتدري أين كانت النخلة؟ قلت: لا، فمدّ يده خلفه، فقال: في هذا المكان، ثم قال: أتدري ما القرار؟ وما الماء المعين؟ قلت: لا، قال: هذا هو الفرات. ثم قال: أتدري ما الربوة؟ قلت: لا، فأشار بيده عن يمينه، فقال: هذا هو الجبل إلى النجف... »(٦٦)، ومما يستوقف الباحث هنا تحديد الإمام عليه السلام موضع ولادة عيسى وموضع النخلة التي ذكرت، فضلاً عن الاشارة إلى مكان الربوة والماء وهو الجبل الممتد إلى النجف، الفرات الذي يتصل بجريانه إلى النجف.

وتتوافر روايات أهل البيت في بيان موضع الربوة والماء الذي ولد عنده السيد المسيح عليه السلام ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام برواية أبي جعفر الباقر في تفسير الآية قال: «الربوة الكوفة، والقرار المسجد، والمعين الفرات»(٦٧) وعن الصادق عليه السلام قال: «الربوة: نجف الكوفة والمعين الفرات»(٦٨)، وفي تفسير علي ابراهيم القمي قال: «الربوة: الحيرة، وذات قرار ومعين: الكوفة)(٦٩)وعلق على الرواية صاحب البحار قدس سره فقال: «لعل المعنى أن القرار هو الكوفة، والمعين ماؤها، اي الفرات، والحيرة اي كربلاء: لقربها منهما أضيفت إليهما»(٧٠) وقد يتوهم بعضهم بتعارض هذه الروايات وأمثالها التي تنص على معنى الربوة النجف أو الكوفة أو الحيرة أو كربلاء، والمعنى عند التدقيق في نصوص أهل البيت عليهم السلام

واحد، فكيف ذاك وأنى؟

**أقول**: المُطّلع على جغرافية اتصال النجف الأشرف بكربلاء المقدسة يلحظ من خلال الرسم والتصوير الجغرافي سلسلة جبلية تمتد من الحيرة اتصالاً بالنجف (ظهر الكوفة) تمتد باتجاه النجف غرباً وصولاً لكربلاء وهذه هي ما يشير إليها أبو عبدالله الصادق عليه السلام بقوله (الجبل الممتد إلى النجف)، ويتصل الفرات بها من جهات مختلفة لذا جاء التعبير عن الربوة مرة بالكوفة أو الحيرة أو كربلاء لتواصل هذه الحواضر بعضها مع بعض بسلسلة جبلية يظهرها ويستكشف معالمها الرسم الجغرافي وترى أن هذه المدن تقع عند حافة هذه السلاسل فالنجف تقع في اعلى منطقة لهذه السلسلة وتشكل الحيرة مكانا يشبه لساناً يمتد بينهما (بين النجف والكوفة) لتظهر كلها بصورة مثلث قاعدته من طرف الحيرة ومن الطرف الآخر الكوفة ورأسه هضبة النجف التي تعلوها ثلاثة تلال يتوسطها قبر الإمام علي عليه السلام وتتصل حافة هذه الهضبة مع امتداد الجبال المسماة بـ(طار النجف) وصولاً والتقاءً بجبال أو (طار كربلاء) (٧١).

إذاً فليس ثمة تباين واختلاف في اشارة أهل البيت عليهم السلام إلى أن موضع ولادة عيسى عليه السلام كان في كربلاء، التي يعبر عنها في كثير من الروايات بأنها البقعة المباركة (٧٢)، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «شاطئ الوادي الايمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة كربلاء»(٧٣).

وما من نبي إلّا وزار كربلاء ولعن قتلة أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام فقد روي أن «أوَّل من لعن قاتل الحسين بن عليّ عليهما السلام إبراهيم خليل الرَّحمن، لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمَّ لعنه موسى بن عِمرانَ، وأمر أُمّته بذلك، ثمَّ لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك، ثمَّ لعنه عيسى، وأكثر أن قال : يا بني

إسرائيل العنوا قاتِله، وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه، فإنَّ الشَّهيد معه كالشَّهيد مع الأنبياء، مقبل غير مُدبر، وكأنّي أنظر إلى بُقعته، وما مِن نبيٍّ إلاّ وقد زارَ كربلاء ووقف عليه وقال: إنّك لبقعة كثيرة الخير، فيك يدفن القَمَر الأزهر"»(٧٤)، ولعل من ينكر زيارة عيسى عليه السلام لأرض الطف، لا يخرج عن انكار احياء الميت وشفاء الأكمه والأبرص، هذا ما يراه المفكر النصراني انطون بارا ويضيف انه ليس من العسير أن المسيح عليه السلام يمر بكربلاء ويتنبأ بمن يُصرع على أرضها من الشهداء والمصطفين بعد قرون، أوليس الأنبياء اولاد علّات والشهداء والمصطفون إخوان في أسرة واحدة أعدها الله تعالى لتحقيق وعده للبشر، وهل من الإيمان أن يخوض بعضهم في انكار هذه التجليات الإلهية ويفسرها بمنطقهم البشري القاصر، ورؤاهم العاجزة؟ (٧٥).

ومن يتأمل بخصوصيات العلاقة بين سيد الشهداء عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام ومن سار على نهجه من النصارى يلمس ذكراً للإمام عليه السلام وشهادته ما قبل عاشوراء وكربلاء، ومعها وبعدها، ولا عجب في ذلك ولا غرابة في تمثّل الحسين عليه السلام ومشابهته للسيد المسيح عليه السلام في الذبِّ عن حرمة الدين والتضحية دونه، واعلاء جوهر الدين والحفاظ على سرّ خلوده، فالموقف الحسيني مثّل للكتابيين بعداً رسالياً لم يكن بمعزل عن الأنبياء ورسالاتهم، بل هو عينها وفي عمق جوهرها ولبابها.

ولعل في حديث السيد المسيح عليه السلام والاشارة إلى ما يجري على الامام الحسين عليه السلام (٧٦) امتداداً رسالياً كشف عنه أهل البيت ليكون مناط تعضيد لوحدة الرسالات وتماثل مواقفها وتشابه أهلها النجباء الذين اختارهم الله على علم على العالمين، وانتخبهم من خلقه أجمعين فعن ابن عباس قال: «كنت مع أميرالمؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو شط الفرات، قال

بأعلى صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ فقلت له: ما أعرفه، يا أمير المؤمنين. فقال علي عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي. قال: فبكى طويلا حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره، وبكينا معا، وهو يقول: أوه أوه، مالي ولآل أبي سفيان، مالي ولآل حرب، حزب الشيطان، وأولياء الكفر، صبرا ـ يا أبا عبد الله ـ فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. ثم دعا بماء فتوضأ وضوءه للصلاة وصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم ذكر نحو كلامه الاول، إلا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه فقال: يا ابن عباس. فقلت: ها أنا ذا. فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيرا، يا أمير المؤمنين. قال: رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض، قد تقلدوا سيوفهم، وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الارض خطة، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الارض تضطرب بدم عبيط، وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول، فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة ـ يا أبا عبد الله ـ إليك مشتاقة. ثم يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر، فقد أقر الله به عينك يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم انتبهت هكذا. والذي نفس علي بيده، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلى الله عليه وآله أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلا من ولدي وولد فاطمة، وأنها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس. ثم قال: يا ابن عباس، اطلب لي حولها بعر الظباء، فوالله ما كذبت ولا كذبت، وهي مصفرة، لونها لون الزعفران. قال ابن عباس:

فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي. فقال علي عليه السلام: صدق الله ورسوله. ثم قام عليه السلام يهرول إليها، فحملها وشمها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم ـ يا بن عباس ـ ما هذه الابعار؟ هذه قد شمها عيسى بن مريم عليهما السلام، وذلك أنه مر بها ومعه الحواريون فرأى ها هنا الضباء مجتمعة وهي تبكي، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى. فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا. قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الارض شوقا إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الارض. ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران(٧٧) فشمها، وقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها، اللّهُمَّ فأبقها أبدا حتى يشمها أبوه فتكون له عزاء وسلوة، قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا، وقد اصفرت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء. ثم قال بأعلى صوته: يا رب عيسى بن مريم، لا تبارك في قتلته، والمعين عليه، والخاذل له، ثم بكى بكاء طويلا وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلا، ثم أفاق، فأخذ البعر فصره في ردائه، وأمرني أن أصرها كذلك، ثم قال: يا بن عباس، إذا رأيتها تنفجر دما عبيطا ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها ودفن. قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أشد من حفظي لبعض ما افترض الله عزوجل علي، وأنا لا أحلها من طرف كمي، فبينما أنا نائم في البيت إذ انتبهت فإذا هي تسيل دما عبيطا، وكان كمي قد امتلا دما عبيطا، فجلست وأنا باك، وقلت: قد قتل والله

الحسين، والله ما كذبني علي قط في حديث حدثني، ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره. ففزعت وخرجت، وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باك، فقلت: قد قتل والله الحسين، وسمعت صوتا من ناحية البيت، وهو يقول:

**اصبروا آل الرسول    قتل الفرخ النحول**

**نزل الروح الامين    ببكـــاء وعـويل**

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت، فأثبت عندي، تلك الساعة، وكان شهر المحرم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة، ولا ندري ما هو، فكنا نرى أنه الخضر عليه السلام»[٧٨] وتجسد الموقف الرسالي في يوم عاشوراء المماثل والمشابه لموقف السيد المسيح ـ وهو اعتقاد باحث نصراني[٧٩] قارن بين كلام الامام ونبي الله عيسى عليه السلام في لبّ صراعهما مع الباطل وفداء الرسالة ـ في الدفاع عن الحق والذبّ عن حقيقة الاسلام والقرآن؛ لذا كان الامام في خطابه العاشورائي يقول: «ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه» وهو صدى قول الله تعالى في عيسى عليه السلام وقومه: ﴿**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**﴾ (مريم: ٣٤)، فالقضية المحورية في فداء عيسى، وشهادة الحسين هي إقامة الحق الذي نبذه اعداء الرسالات طلباً للفساد والظلم، وإبطالاً للصلاح والعدل يقول الامام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية: «وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما

خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي ﷺ أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»[٨٠] وفي المقابل ترى السيد المسيح عليه السلام يرد على سؤال اليهود عندما قال لهم: « الحق يحرركم، كيف تقول انت انكم تصيرون احراراً، ولم نستعبد لأحد قطّ؟ فأجابهم: الحق الحق اقول لكم... إن كل من يعمل الخطيئة هو عبد الخطيئة»، وفي الآية(٤٠) من الاصحاح الثامن كذلك يقول السيد المسيح عليه السلام: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني... وانا الانسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله هذا لم يعمله إبراهيم... أنتم تعملون أعمال أبيكم... انتم من أبٍ هو ابليس ذاك كان قاتّلا للناس من البدء... ولم يثبت في الحق ... لأنه ليس فيه الحق، وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي ... الذي من الله، يسمع كلام الله ... لذا أنتم لستم تسمعون ... لأنكم لستم من الله» وقال ايضاً مخاطباً اليهود والذين جاؤوا ليعتقلوه: «أعلى لص خرجتم تحملون السيوف والعصي؟، كنت كل يوم بينكم في الهيكل، فلم تبسطوا أيديكم إلى، ولكن تلك ساعتكم وهذا سلطان الظلام»[٨١] وقال: «ألم يعطكم موسى الشريعة، وما من أحد منكم يعمل بأحكام الشريعة، لماذا تريدون قتلي»[٨٢].

ولعل في مضامين هذا الكلام بحسب ما اعتقد شبهاً وتقارباً من قول الإمام الحسين عليه السلام كذلك في وصف اعداء الرسالة واعوان الظلم « وقد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»[٨٣].

ولذا يخلص الدكتور استانبوليان من خلال المقارنة بين كلام الإمام

الحسين عليه السلام والسيد المسيح عليه السلام إلى انطباق دلالة الآية القرآنية ورمزيتها بحقّ نبي الله عيسى عليه السلام على الإمام الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً**﴾ (النساء: ١٥٧)، ليصل إلى عالمية وعظمة الإمام الحسين عليه السلام وصلة نهضة وعلاقتها بالكتب السماوية السابقة ويختم كلامه بقوله «لوددنا... لوكان لدينا عدة أرواح لنفديك بها جميعاً»(٨٤).

هذا ملمح من عرصات عاشوراء الذي يتوحد مع الفداء المسيحي، وهوركن أساسي في الرسالة العيسوية وقد تجسدت في شهادة الإمام الحسين عليه السلام الطريق «الذي لا يقدم عليه إلاّ المبشرون بالأديان السماوية، أو المتصدّون لانحرافها، وكان الحسين عليه السلام واحداً منهم»(٨٥) ؛من هنا لنا أن نقيس هذا الفداء والتضحية ليس بمقدار ما قدمت من الأرواح الطاهرة، والنفوس الكريمة المختارة التي هي من نفس روح اكرم الأنبياء فحسب، بل لابد من مقياس آخر هو خلودها بما قدمته وما تزال من عطاء ومواهب تجدد في كل يوم، فإذا كانت تضحيات الأنبياء والرسل السابقين بعيدة المنال عنا، فمشهد الفداء الحسيني بكل ابعاده حاضر يجسد مواقف الأنبياء والرسل كلهم بوصفه الإمام عليه السلام الوارث للرسالات والأنبياء وهو حي مشخص فيما بيننا نستلهم منه كلّ يوم بشارة السماء(٨٦).

وإذا كانت كلمات السيد المسيح عليه السلام وكلماته وبكاؤه على سيد الشهداء عليه السلام معلماً من معالم تلاقي الرسالات، فإن من اهل الكتاب من سار على نهج السيد المسيح عليه السلام عندما وعى مظهراً من مقام الإمام عليه السلام، وإذا كان حق للكتابيين أن يفخروا بشيء تجاه أهل البيت عليهم السلام فلهم أن يُفاخروا بمواقف وهب بن عبدالله

الكلبي[٨٧] الذي نصر الإمام الحسين بلسانه ويده وتجانست دماؤه مع دماء اصحاب الحسين عليه السلام الميامين في طف عاشوراء، وللكتابيين كذلك أن يفخروا بالراهب الذي احتضن رأس أبي عبدالله عليه السلام عندما نزلت سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله في دير من أديرة الشام[٨٨] وكذا الامر لمن وقف من الكتابيين بمحضر الطاغية يزيد فأخبره بعظم جرمه بقتله سيد الشهداء وأهل الكتاب يقدسون حافر حمار عيسى في جزيرة من جزر الارض إلى وقته [٨٩].

ومن الجدير بالذكر أنّ للإمام الحسين عليه السلام سنة رسالية إلهية أخرى جرت على غرار سنة الله تعالى في النبوة والإمامـة من بعد موسى وهارون عليهما السلام، ولعلك لا تعدم أن تجد التشابه بين المصطَفين للرسالة (موسى وهارون)، والمجتَبين للإمامة (الحسن والحسين) فهم موضع العناية والاختيار الإلهي، روي عن هشام بن سالم قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: الحسن أفضل أم الحسين؟ فقال: الحسن أفضل من الحسين. [قال:] قلت: فكيف صارت الامامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل سنة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام، ألا ترى أنهما كانا شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الامامة وإن الله عزوجل جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون عليهما السلام، قلت: فهل يكون إمامان في وقت واحد؟ قال: لا، إلا أن يكون أحدهما صامتاً مأموماً لصاحبه، والآخر ناطقاً إماماً لصاحبه، فأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا. قلت: فهل تكون الامامة في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام؟ قال: لا إنما هي جارية في عقب الحسين عليه السلام كما قال الله عزوجل: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾ ثم هي جارية في الاعقاب وأعقاب الاعقاب إلى يوم القيامة»[٩٠]،

ولا أحسب تمثيلاً ومقاربةً رساليةً تنبئُك دلالة المشابهة بين أهل البيت عليهم السلام، وأنبياء أهل الكتاب مثل جريان السنة الربانية الواحدة في السابقين اللاحقين من عباده المخلَصين ليُعلم مقام الأنبياء والأوصياء من السماء، فعلى الرغم من اختلاف الزمان والمكان والعقائد والتشريعات إلا أنها تصدر من عين صافية واحدة.

**ه) الإمام المهدي (عج) وسنن الأنبياء عليهم السلام (الإيمان بالمنقذ في آخر الزمان):**

اتفقت الاديان السماوية على وجود المنقذ في آخر الزمان، ولعلها تقاربت في الاصطلاح عليه مرة بالمنقذ، وأخرى بالمصلح العالمي، وعلى الرغم من اتفاق بشارات الاديان على فكرته، إلا أنها اختلفت في مصاديقه، فهو عند المسلمين، ولاسيما الشيعة الإمامية الإمام المهدي المنتظر الموعود الذي سيملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد أن يسود فيها الظلم والطغيان لحد تفقد فيه البشرية انسانيتها، وهو عند النصارى السيد المسيح الذي يعود في آخر الزمان ليقود الأمن والسلام في العالم[٩١].

وليس من وكد البحث الوقوف عند ذلك طويلاً بقدر اهتمامه بتلاقي مصاديق هذه النظريات للأديان السماوية في اتجاه واحد، فيكون الامام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والسيد المسيح عليه السلام آمّاً ومَأمُوماً، يقيمان الصلاة لرب العالمين، وهو قول الباقر عليه السلام «حتى ينزل عيسى بن مريم من السماء، ويقتل الله الدجال على يده، ويصلي بهم رجل منا أهل البيت. ألا ترى أن عيسى يصلي خلفنا وهونبي، ألا ونحن أفضلُ منه»[٩٢].

وفي روايات أخر يطلب الإمام عليه السلام من النبي عيسى التقدم لإمامة الصلاة فيرفض قائلاً :إن الصلاة أقيمت لأجلك، فيتقدم الامام المهدي عليه السلام ويصلي خلفه عيسى عليه السلام؛ ليدل على تكامل الرسالات وخاتمية الرسالة المحمدية، وهي إشارة رسالية انسانية لمن يعتقد بتآلف الأديان ومرجعيتها الواحدة وتوجهها الواحد لله تبارك شانه(٩٣)، ولعل جميع أقوام البشر وأممها وخصوصاً أهل الكتاب يقولون بوجود الامام عليه السلام اليهود والنصارى والمجوس، وغيرهم كثير من اصحاب الملل وقد ورد انه في كتبهم(٩٤).

وعلى كل حال فمن ملامح مشابهة الإمام المهدي للأنبياء والأوصياء ذكرهم على لسانه عليه السلام والتذكير بهم في تواصلهم مع الرسالة الخاتمة حتى قيامه عليه السلام، منها في الخطبة التي يخطبها في الكعبة حيث يسند ظهره المقدس إلى الكعبة الشريفة ويقول من بعض كلامه عليه السلام: «..معاشر الخلائق الا من اراد ان ينظر الى ابراهيم واسماعيل فها انا ابراهيم ومن اراد ان ينظر الى موسى ويوشع فها انا موسى ومن اراد ان ينظر الى عيسى وشمعون فها انا عيسى ومن اراد أن ينظر الى محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين اليا فها انا محمد ومن اراد ان ينظر الى الائمة من ولد الحسين فها انا هم واحدا بعد واحد فها انا هم فلينظر إلي ويسالني فاني نبي بما نبؤوا به وما لم ينبؤوا الا من كان يقرأ الصحف والكتب فليسمع الي. ثم يبتدئ بالصحف التي انزلها الله على آدم وشيث فيقرأها فتقول امة آدم هذه والله الصحف حقا ولقد قرأ ما لم نكن نعلمه منها وما اخفي عنا وما كان اسقط وبدل وحرف ويقرأ صحف نوح وصحف ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور فتقول امتهم هذه والله كما نزلت والتوراة الجامعة والزبور التام والانجيل الكامل وانها اضعاف ما قرأناه ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون هذا والله القرآن حقا الذي انزله الله على محمد فما اسقط

ولا بدل ولا حرف ولعن الله من اسقطه وبدله وحرفه...»[٩٥]، فتلازم قيام الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) مع الأنبياء عليهم السلام يؤكد تواصل الوصية والرسالة الإلهية من بدء الخليقة حتى ما شاء الله تعالى، وهذه الحقيقة تعضدها المزايا التقاربية، والصفات التماثلية للإمام عليه السلام مع الأنبياء السابقين عليهم السلام، وتطابق سننه عليه السلام مع سننهم وهو ما نص عليه أجداده أئمة أهل البيت عليهم السلام في مواقف متعددة منها قول الإمام علي بن الحسين عليه السلام «في القائم منا سنن من الأنبياء سنّة من أبينا آدم عليه السلام، وسنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد صلوات الله عليهم، فأما من آدم ونوح فطول العمر وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى، فالخوف والغيبة وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد صلى الله عليه وآله فالخروج بالسيف»[٩٦].

ودلالة التشابه بين الإمام عليه السلام مع من سبق من الأنبياء إنما هي توجيه للأنظار في تكامل السنن، والصفات الرسالية في خاتم الاوصياء من أمناء آخر الأنبياء صلى الله عليه وآله، وتحقق مصداق التماثل تصريح بالمرجعية الواحدة للرسالات وتواصلها من جهة، وترتب مزية الأفضلية لمقام من يجمع صفات الأنبياء عليهم السلام على من يتصف بصفه دون اخرى، وجميعها شاخصة في الاشارة على تحمله اعباء الأمانة العظمى في اختزال معاناة السابقين بكل توصيفاتها وقيامه عليه السلام بمهمة رسالية تمت لسابقها بأوثق الصلات.

ومن تمام المعنى الاشارة إلى قول الإمام الحسين عليه السلام في القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف): «في التاسع من ولدي سنّة من يوسف، وسنة من موسى بن عمران عليه السلام، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تعالى أمره في ليلة واحدة» [٩٧].

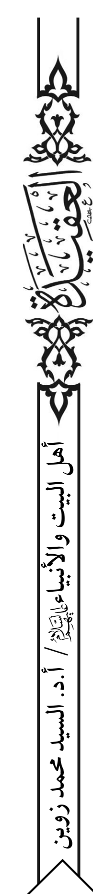
هذا ولم يخلُ تراث الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من ذكر الأنبياء والأوصياء على لسانه، فضلاً عن اجابته على رسائل وكتب وأسئلة سفرائه[٩٨]، وأحسب ان تلاقي الامام المهدي عليه السلام مع الأنبياء في ثنائيات صفاتية يؤدي بنا إلى القول بتواشج العلاقة بين رمزية ثنائيات اخر كالكعبة والقدس أو جلاء صورة الإسلام الاصيل مع المسيحية الصافية النقية والتي سوف يجسدها المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، أو المخلّص العالمي في توحد الاديان الإلهية فيه تجاه الخالق الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ؛وهنا يكشف عن دعوة الأنبياء إلى التوحيد الخالص[٩٩]، فضلاً عن ذلك فقد روت الإمامية أن الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وهو مصداق الوراثة الإلهية للأديان على الارض سوف يستخرج التوراة وسائر كتب الله سبحانه وتعالى في زمانه، وأنه عليه السلام سوف يحكم بحكم آل داوود ولا يسأل عن البينة؛ لما يؤتاه من العلم عليه السلام [١٠٠]، وفيه إشارة لقضاء جده الإمام علي عليه السلام وقوله في الحكم بين أهل التوراة والانجيل والزبور.

*** هوامش البحث ***

١. جاء في بعض كلام اهل البيت عليهم السلام: «عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن أثلاثا: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام» الكافي / ٢ / ٦٢٧ .

٢. ظ/ علي سبيل المثال: كتاب الحجة وباب ان الارض لا تخلوص حجة/ الكافي/ ١٢٨، ١٣٦، وباب أن الأئمه ورثوا علم النبي وجمع الأنبياء، والأوصياء الذين من قبلهم/ الكافي/١/١٧٤، وظ كذلك باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأنّ الارض لا تخلو من حجه لله تعالى على خلقه إلى يوم القيامة / كمال الدين وتمام النعمة/١/٢٠٣.

٣. الصراط المستقيم/ ٢/ ١٥٣.
٤. ينابيع المودة: القندوزي الحنفي: ٣٦٢/١، ظ: في هذا المجال: باب علم الكتاب عند علي عليه السلام، بحارالانوار/٤٢٩/٣٥. ولك أن تنظر في هذا السبيل بعض/ المصادر الآتية: بصائر الدرجات/١٥٥، ٤٨٩، الكافي/٢٢٥/١، ٢٣١، ٢٩٣ شرح أصول الكافي/ ١٣٠/٦، وسائل الشيعة /٢٩٧/٢٠، الغيبة / النعماني/٣٢٥، ينابيع المعاجز/٣٩ بحارالانوار/٢٢٥/١٣، ١٣٧/١٧، ١٤٣، ١٨٥/٢٦، ٤٠/ ٢١٨، ٢٦٠/٤٧، ٢٩٨، ٢٤١/٥٧.
٥. الكافي/٥٥٤/١، ظ كذلك: المهذب البارع / ١١/٥، الوسائل / ٢٠ /٣٥٧.
٦. الأمالي / الطوسي / ٥٤٠، معاني الأخبار / ٣٣٤، عوالي اللئالي / ٩٢/١، الجواهر السينة / ٢٥، المحتضر /١٦٠.
٧. تحف العقول / ٨
٨. التوحيد / الصدوق / ٤٠٦.
٩. وسائل الشيعة / ٢١/ ٥٣١.
١٠وسائل الشيعة / ١٥ / ٣١٥.
١١. وسائل الشيعة / ٧ / ١٤٩.
١٢. وسائل الشيعة /٦٠/٧.
١٣. ظ / الدعاء في القرآن الكريم / دعاء الأنبياء.
١٤. الكافي / ٤٤/١، ظ كذلك الرواية: أرشاد الأذهان / ١٦/١، تحف العقول / ٣٩٣، عدة الداعي / ٦٥، منية المريد / ١٤٦، الجواهر السنية / ١١٠، بحارالانوار ٢/ ٢٨.
١٥. التوحيد / الصدوق / ٢٧٥، وأصل المناظرة التي جرت بينهما رويت عن«يونس بن عبد الرحمن، عن هشام بن الحكم، عن جاثليق من جثالقة النصارى يقال له: بريهة، قد مكث جاثليق النصرانية سبعين سنة، وكان يطلب الاسلام ويطلب من يحتج عليه ممن يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته، قال: وعرف بذلك حتى اشتهر في النصارى والمسلمين واليهود والمجوس حتى افتخرت به النصارى وقالت: لو لم يكن في دين النصرانية إلا بريهة لاجزأنا، وكان طالباً للحق والاسلام مع ذلك، وكانت معه امرأة تخدمه، طال مكثها معه، وكان يسر إليها ضعف النصرانية وضعف حجتها، قال: فعرفت ذلك منه، فضرب بريهة الامر ظهرا لبطن وأقبل يسأل فرق المسلمين والمختلفين في الاسلام من أعلمكم؟ وأقبل يسأل عن أئمة المسلمين وعن صلحائهم وعلمائهم، وأهل الحجى منهم، وكان يستقرئ فرقة فرقة لا يجد عند القوم شيئا، وقال: لو كانت أئمتكم أئمة على الحق لكان عندكم بعض الحق، فوصفت له الشيعة، ووصف له هشام بن الحكم. فقال يونس بن عبد الرحمن: فقال لي هشام: بينما أنا على دكاني على باب الكرخ جالس وعندي قوم يقرؤون علي القرآن فإذا أنا بفوج النصاري



معه مابين القسيسين إلى غيرهم نحو من مائة رجل عليهم السواد والبرانس، والجاثليق الاكبر فيهم بريهة حتى نزلوا حول دكاني، وجُعل لبريهة كرسي يجلس عليه فقامت الاساقفة والرهابنة على عصيهم، وعلى رؤوسهم برانسهم، فقال بريهة: ما بقي من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم بالكلام إلا وقد ناظرته في النصرانية فما عندهم شيء وقد جئت اناظرك في الاسلام، قال: فضحك هشام فقال: يا بريهة إن كنت تريد مني آيات كآيات المسيح فليس أنا بالمسيح ولا مثله ولا ادانيه، ذاك روح طيبة خميصة مرتفعة، آياته ظاهرة، وعلاماته قائمة، قال بريهة: فأعجبني الكلام والوصف. قال هشام: إن أردت الحجاج فههنا، قال بريهة: نعم فإني أسألك ما نسبة نبيكم هذا من المسيح نسبة الابدان؟ قال هشام: ابن عم جده (لأمّه) لأنّه من ولد إسحاق ومحمد من ولد إسماعيل، قال بريهة، وكيف تنسبه إلى أبيه؟ قال هشام: إن أردت نسبه عندكم أخبرتك، وإن أردت نسبه عندنا أخبرتك، قال بريهة: اريد نسبه عندنا، وظننت أنه إذا نسبه نسبتنا أغلبه، قلت: فانسبه بالنسبة التي ننسبه بها، قال هشام: نعم، تقولون: إنه قديم من قديم، فأيهما الاب وأيهما الابن قال بريهة: الذي نزل إلى الارض الابن، قال هشام: الذي نزل إلى الارض الاب قال بريهة: الابن رسول الاب، قال هشام: إن الاب أحكم من الابن لان الخلق خلق الاب، قال بريهة: إن الخلق خلق الاب وخلق الابن، قال هشام: ما منعهما أن ينزلا جميعا كما خلقا إذا اشتركا؟ ! قال بريهة: كيف يشتركان وهما شيء واحد إنما يفترقان بالاسم، قال هشام: إنما يجتمعان بالاسم، قال بريهة: جهل هذا الكلام، قال هشام: عرف هذا الكلام، قال بريهة: إن الابن متصل بالاب، قال هشام: إن الابن منفصل من الاب، قال بريهة: هذا خلاف ما يعقله الناس، قال هشام: إن كان ما يعقله الناس شاهدا لنا وعلينا فقد غلبتك لان الاب كان ولم يكن الابن فتقول: هكذا يا بريهة؟ قال: ما أقول: هكذا، قال: فلم استشهدت قوما لا تقبل شهادتهم لنفسك، قال بريهة: إن الاب اسم والابن اسم يقدر به القديم قال هشام: الاسمان قديمان كقدم الاب والابن؟ قال بريهة: لا ولكن الاسماء محدثة قال: فقد جعلت الاب ابنا والابن أبا، إن كان الابن أحدث هذه الاسماء دون الاب فهو الاب، وإن كان الاب أحدث هذه الاسماء دون الابن فهو الاب والابن أب وليس ههنا ابن، قال بريهة: إن الابن اسم للروح حين نزلت إلى الارض، قال هشام: فحين لم تنزل إلى الارض فاسمها ما هو؟ قال بريهة: فاسمها ابن نزلت أو لم تنزل: قال هشام: فقبل النزول هذه الروح كلها واحدة واسمها اثنان، قال بريهة: هي كلها واحدة روح واحدة، قال: قد رضيت أن تجعل بعضها ابنا وبعضها أبا، قال بريهة: لا لان اسم الاب واسم الابن واحد، قال هشام: فالابن أبو الأب، والاب أبو الابن، والابن واحد، قالت الاساقفة بلسانها لبريهة: ما مر بك مثل ذا قط تقوم، فتحير بريهة وذهب ليقوم فتعلق به هشام، قال: ما يمنعك من الاسلام؟ أفي قلبك حزازة؟ فقلها وإلا سألتك عن

النصرانية مسألة واحدة تبيت عليها ليلك هذا فتصبح وليس لك همة غيري، قالت الاساقفة: لاترد هذه المسألة لعلها تشككك قال بريهة: قلها يا أبا الحكم. قال هشام: أفرأيتك الابن يعلم ما عند الاب؟ قال: نعم، قال: أفرأيتك الاب يعلم كل ما عند الابن؟ قال: نعم، قال: أفرأيتك تخبر عن الابن أيقدر على حمل كل ما يقدر عليه الاب؟ قال: نعم، قال: أفرأيتك تخبر عن الاب أيقدر على كل ما يقدر عليه الابن؟ قال: نعم، قال هشام: فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه وهما متساويان وكيف يظلم كل واحد منهما صاحبه؟ قال بريهة: ليس منهما ظلم، قال هشام: من الحق بينهما أن يكون الابن أب الاب والاب ابن الابن، بت عليها يا بريهة، وافترق النصارى وهم يتمنون أن لا يكونوا رأوا هشاما ولا أصحابه. قال: فرجع بريهه مغتما مهتما حتى صار إلى منزله فقالت امرأته التي تخدمه: مالي أراك مهتما مغتما. فحكى لها الكلام الذي كان بينه وبين هشام، فقالت لبريهة: ويحك أتريد أن تكون على حق أو على باطل؟ ! فقال بريهة: بل على الحق، فقالت له: أينما وجدت الحق فمل إليه، وإياك واللجاجة فان اللجاجة شك والشك شؤم وأهله في النار، قال: فصوب قولها وعزم على الغدو على هشام. قال: فغدا عليه وليس معه أحد من أصحابه، فقال: يا هشام ألك من تصدر عن رأيه وترجع إلى قوله وتدين بطاعته؟ قال هشام: نعم يا بريهة، قال: وما صفته؟ قال هشام: في نسبه أو في دينه؟ قال: فيهما جميعا صفة نسبه وصفة دينه، قال هشام: أما النسب خير الانساب : رأس العرب وصفوة قريش وفاضل بني هاشم كل من نازعه في نسبه وجده أفضل منه لان قريشا أفضل العرب وبني هاشم أفضل قريش، وأفضل بني هاشم خاصهم ودينهم وسيدهم، وكذلك ولد السيد أفضل من ولد غيره وهذا من ولد السيد، قال: فصف دينه، قال هشام: شرائعه أو صفة بدنه وطهارته؟ قال: صفة بدنه وطهارته، قال هشام: معصوم فلا يعصي، وسخي فلا يبخل، شجاع فلا يجبن، وما استودع من العلم فلا يجهل، حافظ للدين قائم بما فرض عليه، من عترة الأنبياء، وجامع علم الأنبياء، يحلم عند الغضب، وينصف عند الظلم، ويعين عند الرضا، وينصف من الولي والعدو، ولا يسأل شططا في عدوه، ولا يمنع إفادة وليه، يعمل بالكتاب ويحدث بالاعجوبات، من أهل الطهارات، يحكي قول الائمة الاصفياء، لم تنقض له حجة، ولم يجهل مسألة، يفتي في كل سنة، ويجلو كل مدلهمة. قال بريهة: وصفت المسيح في صفاته وأثبته بحججه وآياته، إلا إنّ الشخص بائن عن شخصه والوصف قائم بوصفه، فإن يصدق الوصف نؤمن بالشخص، قال هشام: إن تؤمن ترشد وإن تتبع الحق لا تؤنب. ثم قال هشام: يا بريهة ما من حجة أقامها الله على أول خلقه إلا أقامها على وسط خلقه وآخر خلقه فلا تبطل الحجج، ولا تذهب الملل، ولا تذهب السنن. قال بريهة: ما أشبه هذا بالحق وأقربه من الصدق، وهذه صفة الحكماء يقيمون من الحجة ما ينفون به الشبهة، قال هشام: نعم، فارتحلا حتى أتيا المدينة والمراة معهما وهما

يريدان أبا عبد الله عليه السلام فلقيا موسى بن جعفر عليهما السلام، فحكى له هشام...» ، وانظر كذلك: الكافي: ١ /٢٧٧، مدينة المعاجز : ٣٨٠/٦، بحارالانوار / ٤٨ / ١٤ وغيرها كثير.

١٦. ظ: عيون أخبار الرضا: ٢ /١٣٨، الاحتجاج: ٢ /٢٠١، الصراط المستقيم، الجواهر السنية / ٥٣، التوحيد / ٤٢٧، التوحيد ٩ وغيرها كثير.

١٧. الأمالي، الطوسي: ٥٢٤، كذلك الرواية بصيغ وألفاظ ومناسبات متعددة يتأكد أنه عليه السلام احتج بها اكثر من مرة على اهل زمانه. بياناً لعلمه وصلة ووراثة لعلم الأنبياء ورسالاتهم وكتبهم، ظ / الأمالي / الصدوق / ٤٢٢، التوحيد / ٣٠٥، خصائص الائمة / ٥٥، روضة الواعظين / ١١٨، كتاب سليم، ٣٣٢، نوادر المعجزات / ٤٨، شرح الاخبار / ٢/ ٣١١، الفصول المختارة / ٧٧، ٢٢٢، المسائل العكبرية / ١٢٣، عيون المعجزات / ٣١، الاحتجاج / ١/ ٣٩١، مناقب آل أبي طاب / ٣١٧/١، العمدة/٢٠٩. الطرائف /٥١٧، الصراط المستقيم / ١/ ٢١٧، مدينة المعاجز / ٤٧٧/١ وغيرها.

١٨. ظ/ في هذا الشأن وإخبار علي عليه السلام بافتراق الاديان وحيثياتها: الفضائل / ١٤٠، الصراط المستقيم / ٣٧/٢ وغيرها كثير.

١٩. هذه العبارة المشهورة عن أميرالمومنين عليه السلام جاءت احتجاجاً على أهل زمانه ـ وقد ضيعوا مقامه واحتلوا مكانه ـ بمقامه الإلهي الرسالي، ويبدوأنها جاءت في اكثر من احتجاج واعيدت على الناس بلسانه اكثر من مرة في اكثر من زمان ومكان، ولك أن تنظر في: نهج البلاغة/ ١٣٠، بصائر الدرجات / ٣٢، الكافي /٣٩٩/١، عيون أخبار الرضا عليه السلام / ٧٣/١، الأمالي، الصدوق / ٩٦، ٤٢٢، التوحيد / ٩٢، خصائص الأئمة / ٦٢، روضه الواعظين / ٣٢، وسائل الشيعه /١٢٨/١٥، ٤٨٦/٢٠، ٦٩/٢٧ وغيرها كثير.

٢٠. كتاب سليم بن قيس، ٤٦٢.

٢١. روضة الواعظين / ٣٢٣ .

٢٢. البحار / ٩٧ / ٣٧٥

٢٣. مصباح المتهجد/٧٢٠ .

٢٤. ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: ما أوذي نبي مثلها أُوذيت وعن تفاضل الأنبياء، ظ/ المحتضر / ١٥٧، الجواهر السنية / ٦٨، ٢٤٨. وانظر حوار علي عليه السلام مع اليهودي الكتابي برواية الامام موسى بن جعفر عليه السلام في خصوصية النبي عن الأنبياء الاحتجاج ٣١٤/١، وجاء فيه «روي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: ان يهوديا من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء عليهم السلام وعرف دلائلهم، جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم علي بن ابي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وابو سعيد الجهني. فقال: يا امة محمد ما تركتم لنبي درجة، ولا لمرسل فضيلة، الا انحلتموها

نبيكم، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه؟ فكاع القوم عنه، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: نعم ما أعطى الله نبيا درجة، ولا مرسلا فضيلة الا وقد جمعها لمحمد صلى الله عليه وآله وزاد محمدا على الأنبياء اضعافا مضاعفة. فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبي؟ قال له: نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقر الله به عين المؤمنين، ويكون فيه ازالة لشك الشاكين في فضائله صلى الله عليه وآله، انه كان إذا ذكر لنفسه فضيلة قال: " ولا فخر " وانا أذكر لك فضائله غير مزر بالأنبياء، ولا منتقص لهم، ولكن شكرا لله على ما اعطى محمدا صلى الله عليه وآله مثل ما أعطاهم، وما زاده الله وما فضله عليهم. قال له اليهودي: اني أسألك فأعد له جوابا. قال له علي عليه السلام: هات. قال اليهودي: هذا آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكته، فهل فعل لمحمد شيئا من هذا؟ فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، أسجد الله لآدم ملائكته فان سجودهم له لم يكن سجود طاعة، وانهم عبدوا آدم من دون الله عزوجل، ولكن اعترافا بالفضيلة، ورحمة من الله له، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من هذا، ان الله عزوجل صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه فهذه زيادة له يا يهودي. قال له اليهودي: فان آدم عليه السلام تاب الله عليه بعد خطيئته؟ قاله له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد نزل فيه ما هو أكبر من هذا من غير ذنب أتى، قال الله عزوجل: " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " (١) ان محمدا غير موافٍ يوم القيامة بوزر، ولا مطلوب فيها بذنب. قال اليهودي: فان هذا ادريس رفعه الله عزوجل مكانا عليا، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو افضل من هذا ان الله جل ثناؤه قال فيه: " ورفعنا لك ذكرك " (٢) فكفى بهذا من الله رفعة، ولئن أطعم ادريس من تحف الجنة بعد وفاته، فان محمدا اطعم في الدنيا في حياته: بينما يتضور جوعا فأتاه جبرئيل عليه السلام بجام من الجنة فيه تحفة، فهلل الجام وهللت التحفة في يده، وسبحا، وكبرا، وحمدا، فناولها أهل بيته، ففعلت الجام مثل ذلك، فهم أن يناولها بعض أصحابه فتناولها جبرئيل عليه السلام وقال له: كلها فانها تحفة من الجنة أتحفك الله بها، وانها لا تصلح الا لنبي أو وصي نبي، فأكل منها صلى الله عليه وآله واكلنا معه، واني لأجد حلاوتها ساعتي هذه. قال اليهودي: فهذا نوح عليه السلام صبر في ذات الله تعالى، واعذر قومه إذ كذب؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله صبر في ذات الله عزوجل فأعذر قومه إذ كُذِّب، وشُرِّد، وحُصب بالحصى، وعلاه أبو لهب بسلا ناقة وشاة، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال، ان شق الجبال وانته إلى امر محمد فأتاه فقال: اني امرت لك بالطاعة فان أمرت أن اطبق عليهم الجبال فأهلكتهم بها، قال صلى الله عليه وآله: " انما بعثت رحمة رب اهد امتي فانهم لا يعلمون " ويحك يا يهودي ان نوحا لما شاهد غرق قومه رق عليهم رقة القرابة، واظهر عليهم شفقة، فقال: " رب ان ابني من اهلي " فقال الله تعالى: " انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح " أراد جل ذكره أن يسليه بذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله لما غلبت

عليه من قومه المعاندة شهر عليهم سيف النقمة، ولم تدركه فيهم رقة القرابة، ولم ينظر إليهم بعين رحمة. فقال اليهودي: فان نوحا دعا ربه، فهطلت السماء بماء منهمر؟ قال له عليه السلام: لقد كان كذلك، وكانت دعوته دعوة غضب، ومحمد صلى الله عليه وآله هطلت له السماء بماء منهمر رحمة، وذلك انه صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة أتاه أهلها في يوم جمعة فقالوا له: يارسول الله صلى الله عليه وآله احتبس القطر، واصفر العود، وتهافت الورق، فرفع يده المباركة حتى رأي بياض ابطه، وما ترى في السماء سحابة، فما برح حتى سقاهم الله حتى ان الشاب المعجب بشبابه لهمته نفسه في الرجوع إلى منزله فما يقدر على ذلك من شدة السيل، فدام اسبوعا، فأتوه في الجمعة الثانية فقالوا: يارسول الله تهدمت الجدر، واحتبس الركب والسفر، فضحك صلى الله عليه وآله وقال: هذه سرعة ملالة ابن آدم، ثم قال: " اللّهُمَّ حوالينا ولا علينا اللّهُمَّ في اصول الشيح ومراتع البقع " فرأي حوالي المدينة المطر يقطر قطرا، وما يقع بالمدينة قطرة، لكرامته صلى الله عليه وآله عزوجل. قال له اليهودي: فان هذا هود قد انتصر الله من أعدائه بالريح، فهل فعل لمحمد صلى الله عليه وآله شيئا من هذا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من هذا ان الله عزوجل قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحا تذروا الحصى، وجنودا لم يروها، فزاد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله بثمانية آلاف ملك، وفضله على هود، بان ريح عاد ريح سخط، وريح محمد ريح رحمة، قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها " قال له اليهودي: فهذا صالح أخرج الله له ناقة جعلها لقومه عبرة؟ قال علي عليه السلام لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من ذلك، ان ناقة صالح لم تكلم صالحا، ولم تناطقه ولم تشهد له بالنبوة، ومحمد صلى الله عليه وآله بينما نحن معه في بعض غزواته إذا هو ببعير قد دنا، ثم رغا فانطقه الله عز وجل فقال: " يارسول الله فلانٌ استعملني حتى كبرت، ويريد نحري، فانا استعيذ بك منه " فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صاحبه فاستوهبه منه، فوهبه له وخلاه، ولقد كنا معه فإذا نحن بأعرابي معه ناقة له يسوقها، وقد استسلم للقطع لمازور عليه من الشهود فنطقت الناقة فقالت: " يارسول الله ان فلانا مني برئ، وان الشهود يشهدون عليه بالزور، وان سارقي فلان اليهودي ". قال له اليهودي: فان هذا ابراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى وأحاطت دلالته بعلم الايمان؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك واعطى محمدا أفضل منه، وتيقظ ابراهيم وهو ابن خمسة عشر سنة ومحمد ابن سبع سنين، قدم تجار من النصارى فنزلوا بتجارتهم بين الصفا والمروة، فنظر إليه بعضهم فعرفه بصفته ورفعته، وخبر مبعثه وآياته، فقالوا: يا غلام ما اسمك؟ قال: محمد قالوا: ما اسم أبيك؟ قال: عبد الله قالوا: ما اسم هذه؟ واشاروا بأيديهم إلى الأرض قال: الأرض قالوا، وما اسم هذه؟ واشاروا بأيديهم إلى السماء قال: السماء قالوا: فمن ربهما؟ قال: الله. ثم انتهرهم وقال: أتشككوني في الله عزوجل؟ ! ويحك يا يهودي لقد تيقظ

بالاعتبار على معرفة الله عزوجل مع كفر قومه إذ هو بينهم: يستقسمون بالازلام، ويعبدون الأوثان، وهو يقول: لا إله إلا الله. قال له اليهودي: فان ابراهيم عليه السلام حجب عن نمرود بحجب ثلاث؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله حجب عمن أراد قتله بحجب خمس، فثلاثة بثلاثة واثنان فضل، قال الله عزوجل ـ وهو يصف امر محمد صلى الله عليه وآله ـ : " وجعلنا من بين أيديهم سدا " فهذا الحجاب الأول "ومن خلفهم سدا " فهذا الحجاب الثاني " فأغشيناهم فهم لا يبصرون " فهذا الحجاب الثالث ثم قال: " إذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا " فهذا الحجاب الرابع ثم قال: " فهي إلى الأذقان فهم مقمحون " فهذه حجب خمس. قال له اليهودي: فان هذا ابراهيم قد بهت الذي كفر ببرهان نبوته؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله أتاه مكذب بالبعث بعد الموت وهو: ابي بن خلف الجمعي معه عظم نخر ففركه ثم قال: يا محمد " من يحيي العظام وهي رميم "؟ فانطق الله محمدا بمحكم آياته، وبهته ببرهان نبوته، فقال: " يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق علي " فانصرف مبهوتا. قال له اليهودي: فهذا ابراهيم جذ أصنام قومه غضبا لله عزوجل؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله قد نكس عن الكعبة ثلثمائة وستين صنما، ونفاها عن جزيرة العرب، واذل من عبدها بالسيف. قال له اليهودي: فان ابراهيم قد اضجع ولده وتله للجبين؟ فقال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد اعطي ابراهيم بعد الاضطجاع الفداء، ومحمد اصيب بافجع منه فجيعة انه وقف على عمه حمزة أسد الله، وأسد رسوله وناصر دينه، وقد فرق بين روحه وجسده، فلم يبن عليه حرقة، ولم يفض عليه عبرة، ولم ينظر إلى موضعه من قلبه وقلوب أهل بيته ليرضي الله عزوجل بصبره ويستسلم لأمره في جميع الفعال، وقال صلى الله عليه وآله: لولا ان تحزن صفية لتركته حتى يحشر من بطون السباع، وحواصل الطير، ولو لا ان يكون سنة بعدي لفعلت ذلك. قال له اليهودي: فان ابراهيم عليه السلام قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر فجعل الله عزوجل عليه النار بردا وسلاما فهل فعل بمحمد شيئا من ذلك؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله لما نزل بخيبر سمته الخيبرية فصير الله السم في جوفه بردا وسلاما إلى منتهى أجله، فالسم يحرق إذا استقر في الجوف كما ان النار تحرق، فهذا من قدرته لا تنكره. قال له اليهودي: فان هذا يعقوب عليه السلام اعظم في الخير نصيبه إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه، ومريم بنت عمران من بناته؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعظم في الخير نصيبا إذ جعل فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين من حفدته. قال له اليهودي: فان يعقوب عليه السلام قد صبر عليه فراق ولده حتى كاد يحرض من الحزن. قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، حزن يعقوب حزنا بعده تلاق، ومحمد صلى الله عليه وآله قبض ولده ابراهيم عليه السلام قرة عينه في حياته منه، فخصه بالاختيار، ليعظم له الادخار فقال صلى الله عليه وآله: يحزن النفس، ويجزع القلب، وانا عليك يا ابراهيم

لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرب، في كل ذلك يؤثر الرضا عن الله عزوجل، والاستسلام له في جميع الفعال. قال له اليهودي: فان هذا يوسف قاسى مرارة الفرقة، وحبس في السجن توقيا للمعصية، والقي في الجب وحيدا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله قاسى مرارة الغربة، وفراق الأهل والأولاد والمال، مهاجرا من حرم الله تعالى وأمنه، فلما رأى الله عزوجل كآبته واستشعاره والحزن، أراه تبارك اسمه رؤيا توازي رؤيا يوسف في تأويلها، وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال: " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون " ولئن كان يوسف عليه السلام حبس في السجن، فلقد حبس رسول الله نفسه في الشعب ثلاث سنين، وقطع منه أقاربه وذوو الرحم والجأوه إلى اضيق المضيق، ولقد كادهم الله عز ذكره له كيدا مستبينا، إذ بعث اضعف خلقه فاكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه، ولئن كان يوسف القي في الجب، فلقد حبس محمد نفسه مخافة عدوه في الغار حتى قال لصاحبه لا تحزن ان الله معنا، ومدحه إليه بذلك في كتابه. فقال له اليهودي: فهذا موسى بن عمران آتاه الله عزوجل التوراة التي فيها حكمه؟ قال له علي عليه السلام: فلقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو افضل منه اعطي محمد البقرة وسورة المائدة بالانجيل، وطواسين وطه ونصف المفصل والحواميم بالتوراة، واعطي نصف المفصل والتسابيح بالزبور، واعطي سورة بني اسرائيل وبراءة بصحف ابراهيم وموسى عليهما السلام، وزاد الله عزوجل محمدا السبع الطوال وفاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم واعطي الكتاب والحكمة. قال له اليهودي: فان موسى ناجاه الله على طور سيناء؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد اوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله عند سدرة المنتهى، فمقامه في السماء محمود، وعند منتهى العرش مذكور. قال اليهودي: فلقد ألقى الله على موسى بن عمران محبة منه؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، وقد اعطي محمد صلى الله عليه وآله ما هو أفضل من هذا، لقد القى الله محبة منه فمن هذا الذي يشركه في هذا الاسم إذ تم من الله به الشهادة فلا تتم الشهادة إلا ان يقال: " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " ينادى به على المنابر فلا يرفع صوت بذكر الله الا رفع بذكر محمد صلى الله عليه وآله معه. قال له اليهودي: فلقد أوحى الله إلى ام موسى لفضل منزلة موسى عليه السلام عند الله قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد لطف الله جل ثناؤه لأم محمّد صلى الله عليه وآله بان أوصل إليها اسمه، حتى قالت: أشهد والعالمون: ان محمدا رسول الله منتظر وشهد الملائكة على الأنبياء انهم اثبتوه في الاسفار، وبلطف من الله ساقه إليها، وأوصل إليها اسمه لفضل منزلته عنده، حتى رأت في المنام انه قيل لها: ان ما في بطنك سيد، فإذا ولدته فسميه محمدا، فاشتق الله له اسما من أسمائه، فالله المحمود وهذا محمد قال له اليهودي: فان هذا موسى بن عمران قد أرسله الله إلى فرعون وأراه الآية الكبرى؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ارسل إلى فراعنة شتى، مثل أبي جهل بن

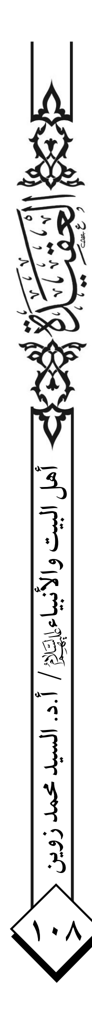
هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، وابى البخترى، والنضر بن الحرث، وابي بن خلف، ومنبه ونبيه ابني الحجاج، والى الخمسة المستهزئين: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحرث بن أبي الطلالة، فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق. قال له اليهودي: لقد انتقم الله عزوجل لموسى من فرعون؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد انتقم الله جل اسمه لمحمد صلى الله عليه وآله من الفراعنة، فأمّا المستهزؤن فقال الله: " انا كفيناك المستهزئين " فقتل الله خمستهم كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد، فاما الوليد بن المغيرة: فمر بنبل لرجل من جزاعة قد راشه ووضعه في الطريق فأصابه شظية منه فانقطع اكحله حتى أدماه، فمات وهو يقول: " قتلني رب محمد " وأما العاص بن الوائل السهمي: فانه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده تحته حجر، فسقط فتقطع قطعة قطعة، فمات وهو يقول: (قتلني ربّ محمد) واما الأسود بن عبد يغوث: فانه خرج يستقبل ابنه زمعة، فاستظل بشجرة، فأتاه جبرئيل فأخذ رأسه فنطح به الشجرة، فقال لغلامه: امنع هذا عني فقال: ما أرى أحدا يصنع شيئا الا نفسك، فقتله وهو يقول: " قتلني رب محمد " واما الأسود بن الحرث: فان النبي صلى الله عليه وآله دعا عليه ان يعمي الله بصره، وان يثكله ولده، فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع أتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي، فبقي حتى أثكله الله ولده، وأما الحرث بن أبي الطلالة: فانه خرج من بيته في السموم فتحول حبشيا، فرجع إلى أهله فقال: انا الحرث، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: " قتلني رب محمد ". وروي ان الأسود بن الحرث أكل حوتا مالحا فأصابه غلبة العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه، فمات وهو يقول: " قتلني رب محمد " كل ذلك في ساعة واحدة، وذلك انهم كانوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فان رجعت عن قولك والا قتلناك، فدخل النبي صلى الله عليه وآله منزله فاغلق عليه بابه مغتما لقولهم، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال: يا محمد السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول لك: " اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " يعني أظهر أمرك لأهل مكة، وادعهم إلى الايمان، قال، يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما اوعدوني؟ قال له: " انا كفيناك المستهزئين " قال: يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي قال: كفيتهم، وأظهر أمره عند ذلك، واما بقية الفراعنة: قتلوا يوم بدر بالسيف، فهزم الله الجميع وولوا الدبر. قال له اليهودي: فان هذا موسى بن عمران قد اعطي العصا فكان تحول ثعبانا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله ما هو أفضل من هذا، ان رجلا كان يطالب أبا جهل بدين ثمن جزور قد اشتراه، فاشتغل عنه وجلس يشرب، فطلبه الرجل فلم يقدر عليه، فقال له بعض المستهزئين: من تطلب؟ فقال: عمرو بن هشام ـ يعني أبا جهل ـ لي عليه دين، قال، فأدلك على من يستخرج منه الحقوق؟ قال: نعم. فدله على النبي صلى الله عليه وآله وكان أبو جهل

يقول: ليت لمحمد الي حاجة فاسخر به وأرده، فأتى الرجل النبيﷺ فقال: يا محمد بلغني ان بينك وبين عمرو بن هشام حسن صداقة، وانا أستشفع بك إليه، فقام معه رسول الله ﷺ فأتى بابه، فقال له، قم يا أبا جهل فأد إلى الرجل حقه، وانما كناه بأبي جهل ذلك اليوم، فقام مسرعا حتى أدى إليه حقه، فلما رجع إلى مجلسه قال له بعض اصحابه: فعلت ذلك فرقا من محمد قال: ويحكم اعذروني، انه لما أقبل رأيت عن يمينه رجالا معهم حراب تتلألأ، وعن يساره ثعبانين تصطك أسنانهما، وتلمع النيران من أبصارهما، لو امتنعت لم آمن ان يبعجوا بالحراب بطني وتقضمني الثعبانان، هذا اكبر مما اعطي موسى، وزاد الله محمدا ثعبانا وثمانية املاك معهم الحراب، ولقد كان النبي ﷺ يؤذي قريشا بالدعاء، فقام يوما فسفه أحلامهم، وعاب دينهم، وشتم أصنامهم، وضلل آبائهم، فاغتموا من ذلك غما شديدا، فقال أبو جهل: والله للموت خير لنا من الحياة، فليس فيكم معاشر قريش أحد يقتل محمدا فيقتل به، قالوا: لا. قال، فأنا أقتله فإن شاءت بنو عبدالمطلب قتلوني به، والا تركوني، قال: انك ان فعلت ذلك اصطنعت إلى أهل الوادي معروفا لا تزال تذكر به، قال: انه كثير السجود حول الكعبة فإذا جاء وسجد أخذت حجرا فشدخته به فجاء رسول الله ﷺ فطاف بالبيت اسبوعا، ثم صلى وأطال السجود، فأخذ أبو جهل حجرا فأتاه من قبل رأسه، فلما ان قرب منه أقبل فحل قبل رسول الله ﷺ فاغرا فاه نحوه، فلما أن رآه أبو جهل فزع منه وارتعدت يده، وطرح الحجر فشدخ رجله، فرجع مدمى، متغير اللون، يفيض عرقا، فقال له أصحابه: ما رأيناك كاليوم؟ ! قال: ويحكم اعذروني، فانه أقبل من عنده فحل فاغرا فاه فكاد يبتلعني، فرميت بالحجر فشدخت رجلي، قال اليهودي: فان موسى قد اعطي اليد البيضاء، فهل فعل بمحمد شيئا من ذلك؟ قال له علي عليه السلام ، لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه اعطي ما هو أفضل من هذا، ان نورا كان يضئ عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره حيثما جلس، وكان يراه الناس كلهم. قال له اليهودي: فان موسىعليه السلام قد ضرب له طريق في البحر، فهل فعل بمحمد شيء من هذا؟ فقال له علي عليه السلام ، لقد كان كذلك، ومحمد أعطي ما هو أفضل هذا، خرجنا معه إلى حنين فإذا نحن بواد يشخب، فقدرناه فإذا هو أربعة عشر قامة، فقالوا: يارسول الله العدو من ورائنا والوادي امامنا، كما قال أصحاب موسى: " انا لمدركون " فنزل رسول الله ثم قال: " اللَّهُمَّ انك جعلت لكل مرسل دلالة، فأرني قدرتك " وركب صلوات الله عليه، فعبرت الخيل لا تندى حوافرها، والابل لاتندى أخفافها، فرجعنا فكان فتحنا. قال له اليهودي: فان موسى عليه السلام قد اعطي الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال علي عليه السلام : لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ لما نزل الحديبية وحاصره أهل مكة، قد أعطي ما هو أفضل من ذلك، وذلك: ان اصحابه شكوا إليه الظمأ وأصابهم ذلك حتى التقت خواصر الخيل، فذكروا له ﷺ، فدعا بركوة يمانية ثم نصب يده المباركة فيها، فتفجرت من بين أصابعه عيون الماء، فصدرنا

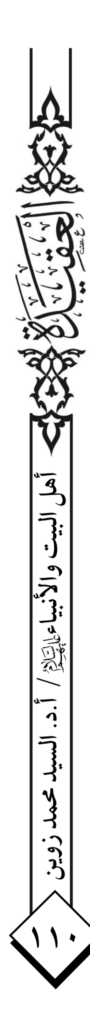
وصدرت الخيل رواء، وملأنا كل مزادة وسقاء، ولقد كنا معه بالحديبية فإذا ثم قليب جافة، فاخرج صلى الله عليه وآله سهما من كنانته فناوله البراء بن عازب وقال له ! اذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه فيها، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عينا من تحت السهم، ولقد كان يوم الميضاة عبرة وعلامة للمنكرين لنبوته، كحجر موسى حيث دعا بالميضاة فنصب يده فيها ففاضت الماء وارتفع، حتى توضأ منه ثمانية آلاف رجل فشربوا حاجتهم، وسقوا دوابهم، وحملوا ما أرادوا. قال اليهودي: فان موسى عليه السلام اعطي المن والسلوى فهل اعطي لمحمد نظير هذا قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو افضل من هذا، ان الله عزوجل احل له الغنائم ولامته، ولم تحل الغنائم لأحد غيره قبله، فهذا افضل من المن والسلوى، ثم زاده ان جعل النية له ولامته بلا عمل عملا صالحا ولم يجعل لأحد من الامم ذلك قبله، فإذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر. قال له اليهودي: ان موسى عليه السلام قد ضلل عليه الغمام؟ قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك، وقد فعل ذلك بموسى في التيه، واعطي محمد صلى الله عليه وآله افضل من هذا، ان الغمامة كانت تظله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره واسفاره، فهذا افضل مما اعطي موسى. قال له اليهودي: فهذا داود عليه السلام قد لين الله له الحديد، فعمل منه الدروع؟ قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله قد اعطي ما هو أفضل من هذا، انه لين الله له الصم الصخور الصلاب وجعلها غارا، ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتى صارت كهيئة العجين، وقد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته. قال له اليهودي: هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبل معه لخوفه قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من هذا، انه كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره وجوفه ازيز كازيز المرجل على الاثافي من شدة البكاء، وقد آمنه الله عز وجل من عقابه، فاراد أن يتخشع لربه ببكائه فيكون اماما لمن اقتدى به، ولقد قام صلى الله عليه وآله عشر سنين على اطراف اصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل اجمع، حتى عوتب في ذلك فقال الله عزوجل: " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى " بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يارسول الله أليس الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى أفلا اكون عبدا شكورا؟ ولئن سارت الجبال وسبحت معه لقد عمل بمحمد صلى الله عليه وآله ما هو أفضل من هذا: إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له: " قر فانه ليس عليك الا نبي أو صديق شهيد " فقر الجبل مطيعا لأمره ومنتهيا إلى طاعته، ولقد مررنا معه بجبل وإذا الدموع تخرج من بعضه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : " ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يارسول الله كان المسيح مر بي وهو يخوف الناس من نار وقودها الناس والحجارة، وأنا أخاف ان اكون من تلك الحجارة، قال له: " لا تخف تلك الحجارة الكبريت " فقر الجبل وسكن وهدأ واجاب لقوله صلى الله عليه وآله . قال له اليهودي: فان هذا سليمان اعطي ملكا لا ينبغي لأحد من

بعده؟ فقال علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من هذا انه هبط إليه ملك لم يهبط الى الأرض قبله، وهو: ميكائيل فقال له: يا محمد عش ملكا منعما وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهبا وفضة، ولا ينقص لك مما ادخر لك في الآخرة شئ، فأومى إلى جبرئيل ـ وكان خليله من الملائكة ـ فأشار عليه، ان تواضع فقال له: بل أعيش نبيا عبدا آكل يوما ولا آكل يومين، والحق باخواني من الأنبياء فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر، وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من اولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله عزوجل على العرش، فهذا أفضل مما اعطي سليمان. قال له اليهودي: فان هذا سليمان قد سخرت له الرياح، فسارت به في بلاده غدوها شهر ورواحها شهر؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من هذا: انه اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين الف عام، في اقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش، فدنى بالعلم فتدلى من الجنة رفرف أخضر، وغشى النور بصره فرأى عظمة ربه عزوجل بفؤاده، ولم يرها بعينه، فكان كقاب قوسين بينه وبينها أو أدنى، فأوحى الله إلى عبده ما اوحى، وكان فيما أوحى إليه: الآية التي في سورة البقرة قوله: " لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير " وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله تبارك وتعالى محمدا، وعرضت على الامم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله وعرضها على امته فقبلوها، فلما رأى الله تبارك وتعالى منهم القبول علم انهم لا يطيقونها، فلما ان سار إلى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه، فقال: " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه ـ فأجاب صلى الله عليه وآله مجيبا عنه وعن امته ـ والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله " فقال جل ذكره لهم الجنة والمغفرة على ان فعلوا ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: اما إذا فعلت ذلك بنا، فغفرانك ربنا واليك المصير، يعني المرجع في الآخرة، قال: فاجابه الله عزوجل قد فعلت ذلك بك وبامتك، ثم قال عزوجل: اما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها امتك حق علي ان أرفعها عن امتك وقال: " لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت ـ من خير ـ وعليها ما اكتسبت " من شر فقال النبي صلى الله عليه وآله ـ لما سمع ذلك ـ : اما إذا فعلت ذلك بي وبامتي فزدني قال: سل، قال: " ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا " قال الله عزوجل لست اؤاخذ امتك بالنسيان والخطأ لكرامتك علي، وكانت الامم السالفة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد دفعت ذلك عن امتك وكانت الامم السالفة إذا اخطأوا اخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه، وقد رفعت ذلك عن امتك لكرامتك علي، فقال صلى الله عليه وآله: " اللّهُمَّ إذا

اعطيتني ذلك فزدني " قال الله تبارك وتعالى له: سل، قال: " ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا " يعني بالاصر: الشدائد التي كانت على من كان من قبلنا، فأجابه الله عزوجل إلى ذلك، وقال تبارك اسمه: قد رفعت عن امتك الآصار التي كانت على الامم السالفة كنت لا اقبل صلاتهم الا في بقاع معلومة من الأرض اخترتها لهم وان بعدت، وقد جعلت الأرض كلها لأمّتك مسجدا وطهورا، فهذه من الآصار التي كانت على الامم قبلك فرفعتها عن امتك، وكانت الامم السالفة إذا أصابهم اذى من نجاسة قرضوه من أجسادهم، وقد جعلت الماء لأمّتك طهورا، فهذا من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك، وكانت الامم السالفة تحمل قرابينها على أعناقها إلى بيت المقدس، فمن قبلت ذلك منه ارسلت عليه نارا فاكلته فرجع مسرورا، ومن لم أقبل منه ذلك رجع مثبورا وقد جعلت قربان امتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له اضعافا مضاعفة، ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن امتك وهي من الآصار التي كانت على الامم من كان من قبلك، وكانت الامم السالفة صلواتها مفروضة عليها في ظلم الليل وانصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعتها عن امتك وفرضت صلاتهم في اطراف الليل والنهار، وفي اوقات نشاطهم، وكانت الامم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتا وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن امتك وجعلتها خمسا في خمسة أوقات، وهي احدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة، وكانت الامم السالفة حسنتهم بحسنة وسيئتهم بسيئة وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن امتك وجعلت الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة وكانت الامم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة فلم يعملها لم تكتب له، وان عملها كتبت له حسنة، وان امتك إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وان عملها كتبت له عشرة، وهى من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك، وكانت الامم السالفة إذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، وان عملها كتبت عليه سيئة، وان امتك إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، وهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك، وكانت الامم السالفة إذا اذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب: ان حرمت عليهم بعد التوبة أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن امتك وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم وجعلت عليهم ستورا كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة، ولا اعاقبهم بأن احرم عليهم أحب الطعام إليهم، وكانت الامم السالفة يتوب أحدهم إلى الله من الذنب الواحد مائة سنة، أو ثمانين سنة، أو خمسين سنة، ثم لا اقبل توبته دون ان اعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن امتك، وان الرجل من امتك ليذنب عشرين سنة، أو ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، أو مائة سنة (المثبور الخائب) ثم يتوب ويندم طرفة عين فاغفر



ذلك كلّه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا اعطيتني ذلك كله فزدني قال: سل، قال: " ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به " قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بامتك، وقد رفعت عنهم عظم بلايا الامم، وذلك حكمي في جميع الامم: ان لااكلف خلقا فوق طاقتهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله: " واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا " قال الله عزوجل: قد فعلت ذلك بتائبي امتك ثم قال صلى الله عليه وآله: " فانصرنا على القوم الكافرين " قال الله جل اسمه: ان امتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الاسود، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدمون ولا يستخدمون، لكرامتك علي، وحق علي أن اظهر دينك على الاديان، حتى لا يبقى في شرق الارض وغربها دين الا دينك، ويؤدون إلى أهل دينك الجزية. قال اليهودي: فان هذا سليمان سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء: من محاريب، وتماثيل؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد اعطي محمد صلى الله عليه وآله أفضل من هذا ان الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، ولقد سخرت لنبوة محمد صلى الله عليه وآله الشياطين بالايمان، فاقبل إليه من الجنة التسعة من اشرافهم، واحد من جن نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الا حجة منهم شضاه، ومضاه والهملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاه، وهاضب، وهضب، وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: " واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن " وهم التسعة، فأقبل إليه الجن والنبي صلى الله عليه وآله ببطن النخل فاعتذروا بانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا، ولقد أقبل إليه واحد وسبعون ألفا منهم فبايعوه على الصوم، والصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططا، وهذا أفضل مما اعطي سليمان، فسبحان من سخرها لنبوة محمد صلى الله عليه وآله بعد ان كانت تتمرد، وتزعم ان لله ولداً، ولقد شمل مبعثه من الجن والانس مالا يحصى. قال له اليهودي: هذا يحيى بن زكريا عليه السلام يقال: انه اوتي الحكم صبيا، والحلم، والفهم، وانه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو أفضل من هذا: ان يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمد صلى الله عليه وآله اوتى الحكم والفهم صبيا بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، فلم يرغب لهم في صنم قط، ولم ينشط لأعيادهم، ولم ير منه كذب قط، وكان أمينا، صدوقا، حليما، وكان يواصل الصوم الاسبوع والأقل والأكثر فيقال له في ذلك فيقول: اني لست كأحدهم، اني اظل عند ربي، فيطعمني، ويسقيني، وكان يبكي صلى الله عليه وآله حتى تبتل مصلاه خشية من الله عزوجل من غير جرم. قال له اليهودي فان هذا عيسى بن مريم يزعمون انه: تكلم في المهد صبيا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله سقط من بطن امه واضعا يده اليسرى على الأرض، ورافعا يده اليمنى إلى السماء، يحرك شفتيه بالتوحيد وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه: قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اسطخر وما يليها، ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي صلى الله عليه وآله حتى





فزعت الجن والانس والشياطين، وقالوا حدث في الأرض حدث، ولقد رُئي الملائكة ليلة ولد تصعد، وتنزل، وتسبح، وتقدس، وتضطرب النجوم وتتساقط، علامة لميلاده، ولقد هم ابليس بالظعن في السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا العجائب أرادوا أن يسترقوا السمع، فإذا هم قد حجبوا من السماوات كلها، ورموا بالشهب، دلالة لنبوته صلى الله عليه وآله. قال له اليهودي: فان عيسى عليه السلام يزعمون انه قد ابرأ الاكمه والأبرص بإذن الله؟ فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله اعطي ما هو افضل من ذلك: ابرأ ذا العاهة من عاهته، بينما هو جالس صلى الله عليه وآله إذ سأل عن رجل من أصحابه فقالوا: يارسول الله انه قد صار من البلاء كهيئة الفرخ الذي لا ريش عليه، فأتاه صلى الله عليه وآله فإذا هو كهيئة الفرخ من شدة البلاء، فقال له: قد كنت تدعو في صحتك دعاء؟ قال: نعم كنت اقول: " يا رب ايما عقوبة أنت معاقبي بها في الآخرة فعجلها لي في الدنيا " فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ألا قلت: " اللّهُمَّ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " فقالها الرجل فكأنما نشط من عقال، وقام صحيحا وخرج معنا، ولقد أتاه رجل من جهينة اجذم يتقطع من الجذام فشكا إليه صلى الله عليه وآله، فأخذ قدحا من ماء فتفل عليه، ثم قال: امسح به جسدك ففعل فبرأ حتى لم يوجد عليه شيء، ولقد اتي النبي بأعرابي أبرص فتفل صلى الله عليه وآله من فيه عليه فما قام من عنده الا صحيحاً، ولئن زعمت ان عيسى أبرأ ذا العاهات من عاهاتهم، فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله بينما هو في أصحابه إذ هو بامرأة فقالت: يارسول الله ان ابني قد اشرف على حياض الموت كلما أتيته بطعام وقع عليه التثاؤب، فقام النبي صلى الله عليه وآله وقمنا معه فلما أتيناه قال له: جانب يا عدو الله ولي الله، فأنا رسول الله، فجانبه الشيطان فقام صحيحاً وهو معنا في عسكرنا، ولئن زعمت ان عيسى ابرأ العميان، فان محمداً قد فعل ما هو أكبر من ذلك: ان قتادة بن ربيع كان رجلاً صحيحاً، فلما أن كان يوم احد أصابته طعنة في عينه فبدرت حدقته، فأخذها بيده ثم أتى بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله ان امرأتي الآن تبغضني، فأخذها رسول الله من يده ثم وضعها مكانها فلم تكن تعرف الا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الاخرى، ولقد جرح عبدالله بن عبيد وبانت يده يوم حنين، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فمسح عليه يده فلم تكن تعرف من اليد الاخرى، ولقد أصاب محمد ابن مسلم يوم كعب بن أشرف مثل ذلك في عينه ويده، فمسحه رسول الله صلى الله عليه وآله فلم تستبينا، ولقد أصاب عبدالله بن أنيس مثل ذلك في عينه، فمسحها فما عرفت من الاخرى، فهذه كلها دلالة لنبوته صلى الله عليه وآله. قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون: انه أحيي الموتى بإذن الله؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد سبحت في يده تسع حصيات تسمع نغماتها في جمودها، ولا روح فيها لتمام حجة نبوته، ولقد كلمه الموتى من بعد موتهم، واستغاثوه مما خافوا تبعته، ولقد صلى بأصحابه ذات يوم فقال: ما هاهنا من بني النجار أحد وصاحبهم محتبس على باب

الجنة بثلاثة دراهم لفلان اليهودي، وكان شهيداً، ولئن زعمت ان عيسى كلم الموتى فلقد كان لمحمد ما هو أعجب من هذا: ان النبي لما نزل بالطائف وحاصر أهلها، بعثوا إليه بشاة مسلوخة مطلية بسم، فنطق الذراع منها فقالت: يارسول الله لا تأكلني فإني مسمومة فلو كلمته البهيمة وهي حية لكانت من أعظم حجج الله على المنكرين لنبوته، فكيف وقد كلمته من بعد ذبح وسلخ وشي! ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو بالشجرة فتجيبه، وتكلمه البهيمة، وتكلمه السباع، وتشهد له بالنبوة، وتحذرهم عصيانه، فهذا أكثر مما اعطي عيسى عليه السلام. قال له اليهودي: ان عيسى يزعمون انه أنبأ قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد كان له أكثر من هذا: ان عيسى أنبأ قومه بما كان من وراء الحايط ومحمد أنبأ عن مؤتة وهو عنها غائب ووصف حربهم ومن استشهد منهم وبينه وبينهم مسيرة شهر، وكان يأتيه الرجل يريد أن يسئله عن شيء فيقول صلى الله عليه وآله: تقول أو أقول: فيقول: بل قل يارسول الله فيقول: جئتني في كذا وكذا حتى يفرغ من حاجته، ولقد كان صلى الله عليه وآله يخبر أهل مكة بأسرارهم بمكة حتى لا يترك من أسرارهم شيئا، منها: ما كان بين صفوان بن امية وبين عمير بن وهب، إذ اتاه عمير فقال: جئت في فكاك ابني فقال له: كذبت بل قلت لصفوان بن امية وقد اجتمعتم في الحطيم وذكرتم قتلى بدر وقلتم: والله للموت أهون علينا من البقاء مع ما صنع محمد بنا، وهل حياة بعد أهل القليب، فقلت أنت: لو لا عيالي، ودين علي لأرحتك من محمد، فقال صفوان: علي أن اقضي دينك، وأن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما يصيبهن من خير أو شر، فقلت أنت: فاكتمها علي وجهزني حتى أذهب فأقتله، فجئت لقتلي، فقال: صدقت يارسول الله فانا أشهد: أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، واشباه هذا مما لا يحصى. قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون: انه خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيرا باذن الله؟ فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله قد فعل ما هو شبيه لهذا إذ أخذ يوم حنين حجرا فسمعنا للحجر تسبيحا وتقديسا، ثم قال للحجر: انفلق فانفلق ثلاث فلق، يسمع لكل فلقة منها تسبيحا لا يسمع للاخرى، ولقد بعث إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته، ولكل غصن منها تسبيح وتهليل وتقديس، ثم قال لها: انشقي، فانشقت نصفين، ثم قال لها: التزقي، فالتزقت، ثم قال لها: اشهدي لي بالنبوة فشهدت، ثم قال لها ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ففعلت، وكان موضعها حيث الجزارين بمكة. قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون انه كان سياحا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد كانت سياحته في الجهاد، واستنفر في عشر سنين ما لا يحصى من حاضر وباد، وافنى فئاما من العرب من منعوت بالسيف لا يدارى بالكلام ولا ينام الا عن دم، ولا يسافر الا وهو متجهز لقتال عدوه. قال له اليهودي: فان عيسى يزعمون: انه كان زاهدا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، محمد صلى الله عليه وآله أزهد الأنبياء عليهم السلام: كان له ثلاثة عشر زوجة سوى

من يطيف به من الأماء، ما رفعت له مائدة قط وعليها طعام، ولا أكل خبز برقط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط، توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء مع ما وطئ له من البلاد، ومكن له من غنائم العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد الثلثمائة ألف وأربعمائة ألف ويأتيه السائل بالعشي فيقول: والذي بعث محمدا بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير، ولا صاع من بر، ولا درهم، ولا دينار. قال له اليهودي: فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأشهد أنه ما أعطى الله نبيا درجة ولا مرسلا فضيلة الا وقد جمعها لمحمد صلى الله عليه وآله، وزاد محمدا على الأنبياء أضعاف درجات. فقال ابن عباس لعلي بن أبي طالب عليه السلام: أشهد يا ابا الحسن انك من الراسخين في العلم. فقال ويحك ومالي لا أقول ما قلت في نفس من استعظمه الله عزوجل في عظمته فقال: "وانك لعلى خلق عظيم"».

٢٥. ظ:حديث عيسى عليه السلام عن علي والحسين في قصة كربلاء/كمال الدين وتمام النعمة/ ٥٣٣، الأمالي/ الصدوق/ ٤٧٨، بحارالأنوار/ ٤٤/ ٢٥٢

٢٦. معاني / الاخبار / ٥١.

٢٧. ظ: معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٥ /٢٢٢ +٣٢٠ وانظر مصادره، يقول الشيخ الصدوق «... فكل وصي قام بوصية حجة تقدمه من وقت وفاة آدم عليه السلام إلى عصر نبينا صلى الله عليه وآله كان نبيا، وذلك مثل وصي آدم كان شيث ابنه، وهو هبة الله في علم آل محمد صلى الله عليه وآله وكان نبيا، ومثل وصي نوح عليه السلام كان سام ابنه وكان نبيا، ومثل إبراهيم عليه السلام كان وصيه إسماعيل ابنه وكان نبيا، ومثل موسى عليه السلام كان وصيه يوشع بن نون وكان نبيا، ومثل عيسى عليه السلام كان وصيه شمعون الصفا وكان نبيا، ومثل داود عليه السلام كان وصيه سليمان عليه السلام ابنه وكان نبيا. وأوصياء نبينا صلى الله عليه وآله لم يكونوا أنبياء، لان الله عزوجل جعل محمدا خاتما لهذه الامم كرامة له وتفضيلا، فقد تشاكلت الائمة والأنبياء بالوصية كما تشاكلوا فيما قدمنا ذكره من تشاكلهم فالنبي وصي والامام وصي، والوصي إمام والنبي إمام، والنبي حجة والامام حجة، فليس في الاشكال أشبه من تشاكل الائمة والأنبياء. وكذلك أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بتشاكل أفعال الاوصياء فيمن تقدم وتأخر من قصة يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام مع صفراء بنت شعيب زوجة موسى وقصة أمير المؤمنين عليه السلام وصى رسول الله صلى الله عليه وآله مع عائشة بنت أبى بكر، وإيجاب غسل الأنبياء أوصيائهم بعد وفاتهم... عن عبدالله بن مسعود قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله من يغسلك إذا مت؟ قال: يغسل كل نبي وصيه، قلت: فمن وصيك يارسول الله؟ قال: على بن أبى طالب قلت: كم يعيش بعدك يا رسول الله؟ قال: ثلاثين سنة، فان يوشع بن نون وصى موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحق منك بالامر فقاتلها فقتل مقاتليها وأسرها فأحسن أسرها، وأن

ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفا من امتى فتقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله عزوجل: " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى "، فهذا الشكل قد ثبت بين الائمة والأنبياء بالاسم والصفة والنعت والفعل، وكل ما كان جائزا في الأنبياء فهو جائز يجري في الائمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة..» كمال الدين /٢٦ ـ ٢٧ .

٢٨. بحارالأنوار / ٣٦ /٢٦٣، وجاء « عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد النبيين ووصيي سيد الوصيين وأوصياؤه سادة الاوصياء إن آدم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يجعل له وصيا صالحا فأوحى الله عزوجل إليه أني أكرمت الأنبياء بالنبوة ثم اخترت خلقي فجعلت خيارهم الاوصياء، فقال آدم عليه السلام: يا رب فاجعل وصيي خير الاوصياء، فأوحى الله عزوجل إليه: يا آدم أوص إلى شيث وهو هبة الله بن آدم، فأوصى آدم إلى شيث وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله عزوجل على آدم من الجنة فزوجها شيثا، وأوصى شبان إلى ابنه مجلث، وأوصى مجلث إلى محوق، وأوصى محوق إلى غثميشا، وأوصى غثميشا إلى أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام، وأوصى إدريس إلى ناخور ودفعها ناخور إلى نوح عليه السلام، وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر وأوصى عثامر إلى برعيثاشا، وأوصى برعيثاشا إلى يافث، وأوصى يافث إلى برة، وأوصى برة إلى جفيسة وأوصى جفيسة، إلى عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بثرياء، وأوصى بثرياء إلى شعيب، وأوصى شعيب إلى موسى بن عمران، وأوصى موسى إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع إلى داود وأوصى داود إلى سليمان، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، وأوصى أصحاب آصف بن برخيا إلى زكريا، ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم عليه السلام وأوصى عيسى إلى شمعون ابن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى بردة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إلي بردة وأنا أدفعها إليك يا علي وأنت تدفعها إلى وصيك ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك، واحدا بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الارض بعدك، ولتكفرن بك الامة ولتختلفن عليك اختلافا شديدا، الثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار، والنار مثوى للكافرين. »، كمال الدين وتمام النعمة / ٢١١ .

٢٩. ظ/ كمال الدين وتمام النعمة / ٢٦.

٣٠. ظ الحديث في كتب المسلمين عامة بألفاظ مختلفه منها علي سبيل المثال: روضة الواعظين/١٢٨، المسترشد/٢٧٨، الأمالي/ المفيد/١٤، بحارالانوار/٣٦/٣٩، تأريخ مدينة دمشق/٤٢/٣١٣ الموضوعات /١/١٧، ٣٧، لسان الميزان/٦/٢٤، البداية والنهاية، /٧/٣٩٣،

المناقب/ الخوارزمي/٨٣، ٣١١، ينابيع المودة/٣٦٣/١، ١٨٣/٢، ٤٨٦. وغيرها كثير ولولا الايجاز لأفردت لمناسبات هذا الحديث باباً كاملاً.

٣١. زين الفتي/ العاصمي/١٢٩/١ وما بعدها والكتاب في مجلدين.

٣٢. مناقب آل أبي طالب/٥٧/٣، وظ كذلك: كتاب الاربعين/٣٩٣ وما بعدها الصوارم المهرقة/٢٧٦.

٣٣ . معاني الأخبار / ٣٥١، علل الشرائع /١٧٤ .

٣٤. البحار /٣٣ / ٤٨٠، وغيره .

٣٥. ظ/ الكافي/ ٥٧/٨، التبيان/٩٩٢٠، ينابيع المودة٢٩٢/١ وغير ها كثير

٣٦. الغارات/٦٣/١، وظ/ الحديث كذلك في: الخصال/٥٥٧، ٥٧٥، الأمالي الصدوق/١٥٦، ٧٠٩، خاتمة المستدرك/٣٣٠/٤، كتاب سليم/٤١٢، مناقب أميرالمومنين/ محمدبن سليمان الكوفي/٢٤٩/١، المسترشد/٦٢١، ٦٣٤، الأرشاد/١١٧/١، ١٦٠، كنز الفوائد/٢٨١، الصراط المستقيم/٦٠/٢، ٨٠/٣، بحارالانوار/٣٢٣/٣٥، مجمع الزوائد/١٣١/٩، المعجم الكبير/٣٢٠/١، المناقب الخوارزمي/١٢٩، ينابيع المودة/٢٠٠/١، ٣٩٠ وغيرها كثير.

٣٧. الأمالي/ الشيخ الطوسي/ ٢٥٦، ظ/ كذلك زين الفتي/ ١/ ١٢٦ وانظر مصادره/ظ: بحارالانوار/٢١٩/١٤، تأريخ مدينة دمشق/٢٩٦/٤٢، العمدة/٢١١، مسند أحمد ١٦٠/١، المستدرك/١٣٣/٣، مجمع الزوائد/١٣٣/٩. كتاب سنة/٤٦٣، ٤٧٠ السنن الكبري/١٣٧/٥، خصائص أميرالمومنين/١٠٦، مسند أبي بعلي/٤٠٧/١، كنزل العمال/١٢٥/١٣، شواهد التنزيل/٢٣٨/٢، الدر المنثور/١٣٨/٢، التاريخ الكبير/٢٨٢/٣، ينابيع المودة/٣٢٨/١، ٣٩٦/٢ وغير ها كثير

٣٨. الصراط المستقيم/٦١/٢، عوالي اللئلالي/٨٧/٤، زين الفتي/١٢٦/١ وغيرها اكثر وروي بلفظ (إن فيك مثلاً من عيسى ...)

٣٩. الإمامة والتبصرة: ١٣٤، ظ: كذلك: الكافي: ٥٣٢/١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٥٩/٢، الخصال/٤٧٨ كمال الدين وتمام النعمة/٢٢٠، روضة الواعظين/٧٧، الارشاد/٣٤٥/٢، الاستنصار/١٧، كتاب الغيبة/ الطوسي/١٤١، بحارالانوار/٥٢/١١، ٣٩٢/٣٦، تفسير أبي حمزة الشمالي/١٣٢/إعلام الوري باعلام الهدي/١٦٧/٢.

٤٠. نهج البلاغة /٢/ ٥٧ ــ ٥٨ .

٤١. «ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الانصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها:

أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الالوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو.

وغنيهم مدعو. فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ويستضئ بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا، ولا أدخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا. بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين. ونعم الحكم الله. وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الاطعمة. ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة * وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقمم، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها. أو أترك سدى أو أهمل عابثا، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة. وكأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان. ألا وإن الشجرة البرية أصلب عودا، والروائع الخضرة أرق جلودا، والنباتات البدوية أقوى وقودا وأبطأ خمودا، وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد» نهج البلاغة /٣/٧٠.

٤٢. نهج البلاغة /٢ /٦١.

٤٣. المحاسن/١/١٥٩. والحديث أشهر أن يوثق.

٤٤. ظ/مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب//٣٩، بحارالانوار/٣٩/٤٧ ومابعدها، كذلك ظ/ مشابهة علي لأوصياء الأنبياء/الهداية الكبرى/١٢٣

٤٥. ظ/ لفظ (مريم)/ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وظ كذلك الآيات الآتية التي كنى فيها القرآن عن مريم عليها السلام منها مثلاً: آل عمران/٣٦، ٤٧ المائدة/٧٥، مريم/١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٢، الأنبياء/٩١ وغيرها.

٤٦. مقامات فاطمة الزهراء/٦٠

٤٧. ظ في ذلك مقامات فاطمة الزهراء/٤٢ ومابعدها

٤٨. «عن أم سلمة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضى الله عنها ائتنى بزوجك وابنيه فجاءت بهم فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال اللّهُمَّ ان هؤلاء أهل محمد وفي لفظ آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد قالت أم سلمة رضى الله عنها فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدى وقال انك على خير» الدر المنثور: ٥ / ١٩٨.

٤٩. مقامات فاطمة الزهراء/٢٠، ٣٣، ، وفي هذا الباب الحديث المشهور عن « الإمام العسكري عليه السلام : نحن حجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة عليها السلام حجّة الله علينا» موسوعة الإمام العسكري /٢/٢٦٥ .

٥٠. ظ على سبيل المثال / جامع البيان /٣ /٤٠٧، تفسير القرآن العظيم /ابن ابي حاتم الرازي(٣٢٧هـ) /٢٤/٣، تفسير القرطبي/١٠٤/٤، الكشاف/٢٨٢/١، وغيرها كثير.

٥١. البرهان في تفسير القرآن/٣٠٩/٣ وظ كذلك/ تفسير العياشي /١ / ٢٤٩، الكافي /١ /٢٨٧، بحار انوار /٣٥ /٢١٠، وغيرها .

٥٢. الأمالي/الصدوق/٥٧٥، ظ كذلك/ روضة الواعظين/١٤٩، شرح الاخبار/٥٦/٣، ٥٢٠، مناقب علي بن أبي طالب/ابن المغازي/٢٩٢ والمختصر/١٩٧، سير اعلام النبلاء/١٢٦/٢، الإصابة/ابن حجر/١٠٢/٨، المستدرك/١٥٧/٣.

٥٣. معاني الاخبار/١٠٧، ظ كذلك دلائل الإمامة/١٤٩، شرح الاخبار/٥٢٠/٣

٥٤. ويبدو أن اهل البيت عليهم السلام غالباً ما يوضحون ويظهرون مقام الزهراء في اوساط الناس هدفاً في ترسيخ معرفتها وتجسيد مكانتها الإلهية التي يغفل عنها فعن الصادق عليه السلام قال: «سميت فاطمة محدثة لان الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما كانت تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتي لربك، الآية، وتحدثهم ويحدثونها. فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلك سيدة عالمك، وسيدة نساء الاولين والآخرين » دلائل الامامة/ ٨١، ١٥٢، علل الشرائع /١٨٢/١، بحارالانوار ٢٠٦/١٤، ٧٨/٤٣، تفسير نورالثقلين /٣٣٧/١، الدرالنظيم/٤٥٦

٥٥.البرهان في تفسير القرآن/٢٤٥/٣، ظ كذلك مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام : ٤١، مانزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام : ١٠٤.

٥٦. ظ/الثاقب في المناقب/١٩٠، ظ كذلك الفضائل/١١٩، دلائل الإمامة/١٨٠، اهل البيت في الكتاب المقدس/١١٧، البحار/٤٤

٥٧. ظ/شجرة طوبى/٤٠٤/٢، معجم أحاديث الامام المهدي عليه السلام : ٢٦٠/٤، موسوعة أحاديث اهل البيت عليهم السلام : ٥٩/٧. وكل ذلك لايعني أن قصة شهادة نبي الله يحيي عليه السلام تطابق قصة شهادة الحسين عليه السلام فذلك مما لاسبيل إليه، بشهادة الامام الحسن عليه السلام وقوله للحسين عليه السلام : «لا يوم كيومك أباعبدالله» أمالي الصدوق/١٧، فلم تسبى ليحيى نساء ولم تقتل ذريته واصحابه كالحسين عليه السلام .

٥٨. ظ/الارشاد/١٣٢/٢، مثير الاحزان/٢٩، عوالي اللآلي ٨١/٤، بحارالانوار/٩٠/٤٥، وجاء فيه: «عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين فما نزل منزلا وما ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوما: ومن هوان الدنيا على الله عزوجل أن رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل».

٥٩. كمال الدين وتمام النعمة/٤٦١، دلائل الإمامة/٥١٤، الاحتجاج/٢٧٣/٢، مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب/٢٣٧/٣ مدينة المعاجز/٥٧/٨، بحارالانوار/١٧٨/١٤، تفسير نورالثقلين/٣٢٠/٣ وغيرها كثير.

٦٠. البرهان في تفسير القرآن ٦١٩/٤/١، ظ كذلك/تفسير نورالثقلين/٤٣٠/٤، تفسير كنزالدقائق/١٧١/١١، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة/٤٩٨، الخصال/٥٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٨٧/١.

٦١. بحارالانوار/٢٢٧/٤٤

٦٢. ظ/ مسيحيون وشيعة، عيسي زار أرض الطف/٤١٤، الحسين في الفكر المسيحي المعاصر.

٦٣. مسيحيون وشيعة / عيسى زار ارض الطف/٤١٧ ـ ٤١٦.الحسين في الفكر المسيحي المعاصر/ أقول: هذا اجتهاد جميل في تحليل النص الانجيلي للمفكر النصراني بارا، علماً بأنَّ كثيراً من المسلمين يعتقدون بأنّ هذا النص يشير لإكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله؛ لأن لفظ (المؤيِّد) في الاصل اليوناني للإنجيل جاء بلفظ (باركلتس) أي المعزّي والمؤيد، ظ/المثال نفسه/٤١٧. وحيث لايمكن الفصل بين محمدية الحسين ورساليته التي احيا بها رسالة جدّه فهو امتداد كذلك لرسالة عيسى عليه السلام ، ظ/مسيحيون وشيعة/ ٤٢٥ .

٦٤. ظ/كربلاء القدس الشريف/٤٢٨

٦٥. تهذيب الاحكام/٧٣/٦، وسائل الشيعة/٥١٧/١٤، تفسير إبي حمزة الثمالي/٢٤٢، وغيرها.

* ومعنى المآصر: الحاجز، فاعل من (المصر) وأصل (أصر)، والإصارُ: الطنب، وجمعه (أُصُر) علي فُعُل، والآصرة الحبل الصغير الذي يُشدّ به أسفل الخباء، وأصرني الشيء ياصرني اي حبسني، ويبدو انه حبل يمدُّ علي طريق أو نهر يؤصَرُ به السُّفُن والسابلة: اي يحبس، ليؤخذ منهم العشور/ظ/لسان العرب/سادة (أصر)، تاج العروس (أصر)

٦٦. قصص الأنبياء/الراوندي/٢٦٤، بحارالانوار/٢١٦/١٤.

٦٧. معاني الاخبار/٣٧٣

٦٨. تهذيب الاحكام/٣٨/٦، وسائل الشيعة/٤٠٥/١٤، المزار/الشيخ المفيد/١٦و غيرها

٦٩. بحارالانوار/٢٣٩/١٤

٧٠. بحارالانوار/٢٣٩/١٤

٧١. لزيادة التوضيح بالصورة الجغرافية والتواصل الحضاري بين هذه الحواضر القديمة ظ/ مجلة تراث النجف/ ٢٩، ولعل آثار ذلك ماتزال في الحرم الحسيني الي الآن ظ/أضواء علي ذاكرة المكان (نخلة مريم)/٣١٩

٧٢. ظ/ مختصر بصائر الدراجات/١٨٦، الهداية الكبري/١٢١، ٩٧، كامل الزيارات/١١٠. يقول القرطبي : «و قالوا: لو كان شيئ من الأرض خيراً من المشرق لوضعت مريمعليها السلام عيسىعليه السلام فيه». الجامع لأحكام القرآن/٩٠/١١.

٧٣. تهذيب الاحاكم/٣٨/٦. ظ كذلك/وسائل الشيعة/٤٠٥/١٤.

٧٤. كامل الزيارات/١٤٣، بحارالانوار/٣٠١/٤٤

٧٥. ظ/عيسي زار أرض الطف/٤١٨، الحسين في الفكر المسيحي المعاصر.

٧٦. لايخفى على اللبيب أن التذكير بما يجري على الامام الحسين إنما جاء على ألسنة الأنبياء بما يشكل في ذلك مقاماً رسالياً اشترك في توكيده الأنبياء، ودليل على أنهم ينبعون من فيض واحد. وكان خاتمهم اكثرهم اخباراً وتوجعاً وحزنا لشأنه لقربه الرسالي منه فضلاً عن كونه ابن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله من الصدّيقة الطاهرة.

٧٧. الصيران: جمع صوار ـ كغراب وكتاب ـ ومن معانيها وعاء المسك، كأنه أراد تشبيه البعر بنافجة المسك لطيبها، ويحتمل أن تكون جمع صور ـ بالفتح ـ وأراد به الحشيش الملتف النابت في تلك الارض.

٧٨. الأمالي/الصدوق/٦٩٦، ظ كذلك/كمال الدين وتمام النعمة/٥٣٣، مدينة المعاجز/١٦٧/٢، مسند الامام اعلي/٣٩٢/٨، الفتوح/٥٥٢/٢، موسوعة عبدالله بن عباس/٢٣٤/٥

٧٩. هو الدكتور أوأديس استانبوليان المسيحي الأرمني

٨٠. بحارالانوار ٣٢٩/٤٤، مناقب آل أبي طالب/ابن شهر آشوب/٤١/٣، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٤٥، الفتوح /٢١/٥، وغيرها كثير.

٨١. يوحنا/١٩/٧

٨٢. يوحنا/٢٠/٧

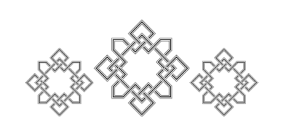
٨٣. البحار /٤٤/ ٣٨٢ .

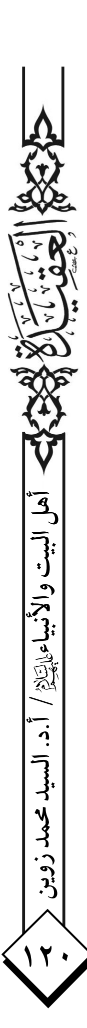
٨٤. ظ/ القرآن والمسيح في وجدان الإمام الحسين عليه السلام : ٦٩٦، ظ كذلك/ الإمام علي مسيح الإسلام/٦٤.

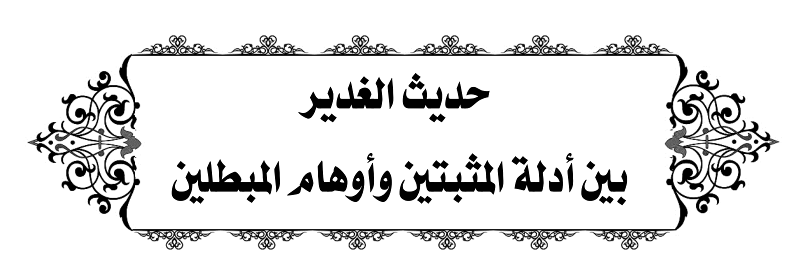
٨٥. الإمام علي مسيح الإسلام: ٦٣.
٨٦. ظ/ المصدر نفسه/٦٩
٨٧. ظ/ مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب/٢٥٠/٣، انصار الحسين/محمد مهدي شمس الدين/١١٠
٨٨. ظ/ مدينة المعاجز/١٠٣/٤
٨٩. ظ/ ينابيع المودة/٢٩/٣، فضائل الخمسة من الصحاح الستة/٢٩٨/٣، الصواعق المحرقة/ ١٩٩/
٩٠. كمال الدين / ٤١٦ .
٩١. ظ/اعلام الهداية/٢٥/١٤، ظ/كذلك الإمام المهدي عند أهل السنة/١٥
٩٢. معجم احاديث الإمام المهدي/ج١٥٤/٧
٩٣. ظ/ اعلام الهداية/٢٢٠/١٤، الامام المهدي من المهد الي الظهور/٥٥٢. وانظر مصادرهما عند المسلمين. تفسير القمي: ١٥٨/١، التبيان، الطوسي: ٣٨٦/٣، روى ابو حمزة الثمالي «عن شهر بن حوشب قال : قال الحجّاج بن يوسف : آية من كتاب اللّه قد أعيتني قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (النساء: ١٥٩) واللّه إنّي لأمرّ باليهوديّ والنصرانيّ فيضرب عنقه ثمّ أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمل، فقلت : أصلح اللّه الأمير ليس على ما أوّلت! قال : فكيف هو؟ قلت : إنّ عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا ولا يبقى أهل ملّة يهوديّ أو نصراني أو غيره إلّا وآمن به قبل موت عيسى ويصلّي خلف المهديّ عليه السلام، قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئت به؟ قال قلت: حدّثني به الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال : جئت والله بها من عين صافية. فقيل لشهر: ما أردت بذلك؟ قال : أردت أن أغيظه»، مقتنيات الدرر: ٣ /٢٢، ظ: بحار الانوار: ١٩٥/٩، ٣٥٠/١٤، معجم أحاديث الامام المهدي، الكوراني: ٨٣/٥، وغيرها.
٩٤. ظ: تذكرة الأئمة، المجلسي، الجزيرة الخضراء: ١٧.
٩٥. الهداية الكبرى: ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
٩٦. كمال الدين وتمام النعمة/٥٥٧، ٣٢٢، ظ كذلك/بحارالانوار/٢١٧/٥١، معجم احاديث الإمام المهدي/ الكوراني/١٩٢/٣ وانظر مصادره
٩٧. كمال الدين وتمام النعمة/٣١٧، ظ كذلك الصراط المستقيم/١٢٩/٢، بحارالانوار/١٣٣/٥١. معجم أحاديث الامام المهدي/الكوراني/١٧٩/٣
٩٨. ظ علي سبيل المثال/ الغيبة/الطوسي/٢٨٨، الاحتجاج/ الطبرسي/٢٨٠، بحارالانوار/١٨١/٢٥ ـ ١٩٤/٥٣، معجم احاديث الإمام المهدي للكوراني/٣٨١، اعلام الهداية/٢٣٥/١٤

٩٩. ظ /شيعة ومسيحيون /٤٢، ٤٢٤ .

١٠٠. «عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام، أنه قال: إذا قام قائمنا أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في خلق الرحمان، البر منهم، والفاجر منهم، من أطاعه أطاع الله، ومن عصاه عصى الله، ويستخرج التوراة والانجيل وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم. وتخرج الارض كنوزها من الذهب والفضة، فيقول: أيها الناس هلموا، فخذوا ما سفكتم فيه الدماء، وقطعتم فيه الارحام، ويعطي ما لم يعطه أحد قبله، ولا يعطه أحد بعده». شرح الأخبار /٣٨٦/٣، ٣٩٧، ٤٠٢، ٥٦٦، ظ/علل الشرائع /١٦١/١، دلائل الإمامة /٤٦٦ / الغيبة /النعماني /٢٣٧، الجرائح والخرائج /٢/ ٨٦٠، البحار /٩/ ١٢٦ .








(الحلقة الأولى)

السيد هاشم الميلاني

**تمهيد:**

لقديماً ما سمعنا المقولة المعروفة القائلة بأنّ: «أعظم خلاف بين الأمّة خلاف الإمامة، إذ ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلّ على الإمامة»[1]. إذ كانت أوّل خلاف حادّ بين الصحابة قبيل رحيل النبي صلى الله عليه وآله؛ تحقّقت بعد أيّامٍ على أرض الواقع من خلال اجتماع السقيفة، حيث كان صدقاً (فلتة) تاريخية حرفت مسار الأمة الإسلامية إلى ما لا يحمد عقباه.

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام شدّة النزاع آنذاك بقوله: «**فَلَمَّا مَضَى** صلى الله عليه وآله **تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأمْرَ مِنْ بَعْدِهِ... فَمَا رَاعَنِي إلا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ يُبَايِعُونَهُ فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإسْلامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله**...**» [2].

وفي نص آخر قال عليه السلام: «**وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى**

يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا...»[٣].

هذان النصان يكشفان لنا بوضوح عظم ما جرى وشدّة الخلاف والنزاع في الأمة الإسلامية الفتيّة حيث قسّمها قسمين، وقد استمر إلى زماننا الحاضر وسيستمر إلى أن يرث الأرض عباد الله الصالحون.

وقد استدلّت كل فرقة على مدعاها بأدلّة مختلفة، من تلك الأدلّة ـ التي دار حولها سجال عميق منذ الصدور ـ حديث الغدير، حيث كان من أواخر النصوص الصريحة الدالّة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد خصّصنا هذا البحث ـ ضمن حلقاته المتتالية ـ لتسليط الضوء على هذا الحديث روايةً وسنداً ودلالةً، مع الإشارة إلى أهم الشبهات المثارة وردّها بالاعتماد على أهم المصادر الكلامية والتفسيرية والروائية عند الفريقين. وسنثبت في الحلقة الأولى ألفاظ نص الغدير عن لسان الرسول الأمين صلى الله عليه وآله برواية الأئمة عليهم السلام والصحابة والتابعين.

ـ ١ ـ

## رواة حديث الغدير[٤]

قد روى حديث الغدير كثير من الصحابة والتابعين، ودُوّن في الجوامع الروائيّة عبر العصور، فأصبح من المتواترات التي لا مرية فيها، ومع قطع النظر عن دلالته، والخلاف القائم بين الشيعة والسنة في تفسيره، فإنّه نجم لامع في سماء فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ويكفي لوحده أن يكون سبباً لتفضيله على جميع الخلق سوى سيّد الخلق، مع قطع النظر عن أمر الإمامة والخلافة الإلهية.

وفيما يلي نورد ألفاظ الحديث، بدءاً من العترة الطاهرة عليهم السلام وانتهاءً إلى الصحابة والتابعين.

■ **ما رواه أهل البيت** عليهم السلام :

**١ ـ الإمام أمير المؤمنين** عليه السلام :

روى الشيخ الصدوق بسنده عن مكحول قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله أنّه ليس فيهم رجل له منقبة إلاّ وقد شركته فيها وفُضّلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرني بهنّ، فقال عليه السلام: ... وأمّا الحادية والخمسون فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أقامني للناس كافة يوم غدير خم فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين (٥).

وروى الإربلي عن كتاب اليواقيت لأبي عمر الزاهد عن ابن عباس قال: نظر عليّ يوماً في وجوه الناس فقال: إنّي لأخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره، ولقد علمتم أنّي أوّلكم إيماناً بالله عز وجل ورسوله ... ووقفته لي يوم غدير خم وقيامه إيايّ معه ورفعه بيدي .... (٦).

روى عماد الدين الطبري بسنده عن أبي إسحاق السبيعي قال: حدّثني الحارث عن عليّ عليه السلام قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي يوم الغدير فقال: اللّهُمَّ والا من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله (٧).

روى سليم بن قيس قال: جاء رجل إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: ...

فأخبرني بأفضل منقبة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: نَصْبه إيّاي بغدير خم، فقام لي بالولاية من الله عز وجل بأمر الله تبارك وتعالى (٨).

روى عبدالله بن أحمد بن حنبل بسنده عن علي: انّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه. قال: فزاد الناس بعد: وال من والاه، وعاد من عاداه (٩).

روى أبو الحسين المؤيّد بالله الهاروني بسنده عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: أليس الله عزّوجلّ يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فرفعها حتّى رُئي بياض إبطيهما فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، فأتاه الناس يهنّئونه فقالوا: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة(١٠).

روى العاصمي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال: نصبني علماً إذا أنا قمت، فمن خالفني فهو ضال(١١).

روى ابن المغازلي بسنده عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه(١٢).

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره(١٣).

وروى نحوه العاصمي(١٤).

وروى نحوه عماد الدين الطبري(١٥).

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن علي بن طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأعن من أعانه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، واخذل عدوّه، وكن له ولولده، واخلفه فيهم بخير، وبارك لهم فيما تعطيهم، وأيّدهم بروح القدس، واحفظهم حيث توجّهوا من الأرض، واجعل الإمامة فيهم، واشكر من أطاعهم، وأهلك من عصاهم، إنّك قريب مجيب (١٦).

روى ابن حجر العسقلاني عن إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا أبو عامر العقدي، عن كثير بن زيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن عليّ قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله حضر الشجرة بخم ثم خرج آخذاً بيد علي فقال: ألستم تشهدون أنّ الله تبارك وتعالى ربكم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تشهدون أنّ الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم ، وأنّ الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كان الله ورسوله مولاه فإنّ هذا مولاه ...(١٧).

وروى أبو جعفر محمد بن سليمان الكوفي بسنده عن عليّ قال: لمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم ... دعا بدوحات ـ يعني شجرات ـ فقمّ ما تحتهنّ، ثم صاح بالناس فاجتمعوا، فقال: ... أيها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فأقامه فرفع يده بيده حتى رُئي ما تحت مناكبهما ـ يعني الإبط ـ ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه .(١٨)

ومن كلامه عليه السلام لمّا عمل على المسير إلى الشام لقتال معاوية: ... يا معشر المهاجرين والأنصار وجماعة من سمع كلامي ... أما سمعتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير في ولايتي وموالاتي؟(١٩).

وفي الكتاب الذي كتبه عليه السلام واستشهد عليه عشرة من أصحابه، ورد فيه: وجاز لي على بني هاشم بقول النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» إلاّ أن تدّعي قريش فضلها على العرب بغير النبي صلى الله عليه وآله ...[20].

**٢ ـ فاطمة الزهراء عليها السلام:**

روى الطبري الإمامي الصغير عن ابن عقدة بسنده بعدما ساق خطبة الزهراء لما منعها أبو بكر فدك إلى أن يقول: ثم ولّت، فتبعها رفاعة بن رافع الزرقي فقال لها: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن تكلّم في هذا الأمر، وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد ما عد لنا به أحداً، فقالت له بردنها: إليك عنّي، فما جعل الله لأحد بعد غدير خم من حجة ولا عذر[21].

وفي لفظ الخصال للصدوق أنّ الأنصار قالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعليّ أحداً، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذراً [22]؟!

وروى الخزّاز القمي بسنده عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلمّا كان في بعض الأيّام أتيت قبر حمزة فوجدتها تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكتت ثم أتيتها فسلّمت عليها وقلت: ... يا سيدتي أنا سائلك عن مسألة تلجلج في صدري، قالت: سل، قلت: هل نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على عليّ بالإمامة ؟ قالت: واعجبا أنسيتم يوم غدير خم ؟! ...[23].

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال لعليّ: من كنت وليّه فعلي وليّه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه [24].

وروى محمد بن عمر بن أحمد المديني الأصبهاني بسنده عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه[٢٥].

٣ ـ الإمام الحسن عليه السلام:

روى الشيخ الطوسي بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين عليهم السلام [ ثم ذكر قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام وخطبته أمام معاوية حيث قال فيها: ] وقد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله حين نصبه بغدير خم وسمعوه، ونادى له بالولاية، ثم أمرهم أن يبلّغ الشاهد منهم الغائب[٢٦].

وروى نحوه أيضاً عن محمد بن عبد الله بن محمد الشيباني الكوفي قال: حدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العَرْزمي، عن أبيه، عن عثمان أبي اليقطان، عن أبي عمر زاذان ...[٢٧].



٤ ـ الإمام الحسين عليه السلام:

روى سليم خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبل موت معاوية بسنة بمنى حيث قال فيها مناشداً من حضر: أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصبه يوم غدير خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلّغ الشاهد الغائب؟! قالوا: اللّهُمَّ نعم[٢٨].

روى محمد بن سليمان الكوفي قال: حدّثنا أحمد بن السّري، قال: حدّثنا أحمد بن حمّاد، عن رجل من بني هاشم يقال له عبد الله بن الحسين قال: جاء رجل إلى الحسين بن علي فقال: حدّثني في علي بن أبي طالب، فقال: ويحك وما عسيت ان أُحدّثك في عليّ وهو أبي ؟ قال: بل تحدّثني، قال: إنّ الله تبارك وتعالى أدّب نبيّه

الآداب كلّها، فلمّا استحكم الآداب فوّض الأمر إليه فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ إنَّ رسول الله ﷺ أدّب علياً بتلك الآداب التي أدّبه بها، فلمّا استحكم الآداب كلّها فوّض الأمر إليه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه(٢٩).

وروى ابن عُقدة قال: حدّثنا الفضل بن يوسف بن يعقوب الجحفي، حدّثنا سعيد بن عثمان، حدّثنا محمد بن الحسين، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ أمر يوم غدير خم بدوحات فقممن، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه(٣٠).

**٥ ـ الإمام السجّاد** عليه السلام :

روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي إسحاق قال: قلت لعلي بن الحسين: ما معنى قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه »؟ قال: أخبرهم أنّه الإمام بعده(٣١).

**٦ ـ الإمام الصادق** عليه السلام :

روى فرات بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: لقد عرّف رسول الله ﷺ عليّاً أصحابه مرّتين: مرّة حين قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...(٣٢).

وروى الصفّار بسنده عنه عليه السلام انّه قال: إنّ عليّاً آية لمحمد، وإنّ محمداً يدعو الى ولاية علي، أما بلغك قول رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه،

اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه(٣٣).

روى الحميري قال: حدّثني هارون بن مسلم، قال: حدّثني مسعدة بن صدقة قال ،: حدّثني جعفر بن محمد، عن أبيه أنَّ إبليس عدوّ الله رنّ أربع رنّات: ... ويوم الغدير (٣٤).

روى الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: بُني الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير (٣٥).

روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبان بن تَغْلِب، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه » فقال: يا أبا سعيد تسأل عن مثل هذا ؟! أعلمهم أنّه يقوم مقامه(٣٦).

روى القاضي النعمان قال: جعفر بن محمد عن أبيه صولات الله عليهما أنّ رجلاً سأله فقال: يا ابن رسول الله بماذا فُضّل عليّ صلوات الله عليه على الناس؟ فقال: بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» فقال الرجل: فهذا حديث معروف عند الناس، يعرفه الخاص والعام، فهل غير ذلك؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك وهل تدري ما يجمعه هذا القول وما يقتضيه؟ إنّ الله عز وجل جعل له به على الأمّة ما جعله لرسول الله صلى الله عليه وآله عليها من السمع والطاعة(٣٧).

### ٧ ـ الإمام الصادق عليه السلام :

روى محمد بن سليمان الكوفي قال: حدّثنا محمد بن منصور، عن عبّاد، عن عمرو بن ثابت قال: سألت جعفراً: أيّ مناقب عليّ أفضل ؟ قال: قول النبي صلى الله عليه وآله:

من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه[٣٨].

وعنه قال: حدّثنا محمد بن منصور، عن علي بن الحسن، عن إبراهيم بن رجاء الشيباني قال: قيل لجعفر بن محمد: ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله لعليّ يوم الغدير «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» ؟!

فاستوى جعفر بن محمد قاعداً ثم قال: سُئل والله عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الله مولاي وأولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا ولي المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومن كنت أولى به من نفسه لا أمر له معي، فعلي بن أبي طالب مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه[٣٩].

وروى أحمد بن الحسين الهاروني نحوه[٤٠].

روى السيد ابن طاوس بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله عليه السلام عرّف أصحابه أمير المؤمنين مرّتين، وذلك أنّه قال لهم: أتدرون من وليّكم بعدي ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ الله تبارك وتعالى قد قال: «فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » يعني أمير المؤمنين وهو وليّكم بعدي. والمرّة الثانية يوم غدير خم حين قال: من كنت مولاه فعلي مولاه[٤١].

روى الصفّار بسنده عن عمرو بن ثابت قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ... لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: لا والله، لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً. قال: ولِمَ ؟! قالوا: إنّا سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك يوم غدير ...[٤٢].

روى الكليني بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾[٤٣] ﴿لَّن تُقْبَلَ

تَوْبَتُهُمْ﴾[٤٤] قال: نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في أوّل الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» ثم آمنوا بالبيعة لأميرالمؤمنين عليه السلام، ثم كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقرّوا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء[٤٥].

روى الشيخ الصدوق بسنده عن عبد الله بن أبي الهذيل: وسألته عن الإمامة فيمن تجب ؟ وما علامة من تجب له الإمامة ؟ فقال: إنّ الدليل على ذلك، والحجة على المؤمنين، والقائم بأمور المسلمين، والناطق بالقرآن، والعالم بالأحكام: أخو نبي الله وخليفته على أمته ... المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول الرسول صلى الله عليه وآله عن الله عز وجلّ: ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأعن من أعانه ...

ثم قال تميم بن بهلول: حدّثني أبو معاوية، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليهما السلام في الإمامة مثله سواء[٤٦].

روى العياشي عن أبي جميلة المفضّل بن صالح عن بعض أصحابه قال: لما خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة بعد صلاة الظهر انصرف على الناس فقال: ... يا أيّها الناس إنّ الله مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه ...[٤٧].

وروى الصدوق قال: حدّثنا أحمد بن يحيى المكتب، قال: حدّثنا أحمد بن محمد الوراق، قال: حدّثني بشر بن سعيد ابن قلبويه المعدّل بالرافقة، قال: حدّثنا عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني، قال: سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير

المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد عليهما السلام ... قال: ... أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يدي علي عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، فجعله مولى المسلمين وإمامهم ؟ ...(٤٨).

روى الصفّار قال: حدثّنا إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقي، عن خلف بن حمّاد، عن محمد بن القبطي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الناس غفلوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام يوم غدير خم ...(٤٩).

روى الكليني قال: [ حدثنا عدّة من أصحابنا عن] سهل بن زياد، عن عبدالرحمن بن سالم، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر ؟ قال: نعم أعظمها حرمة، قلت: وأيّ عيد هو جعلت فداك ؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ...(٥٠).

وروى نحوه الطوسي عن زياد بن محمد، والصدوق عن الصفار قال: حدّثنا محمد بن عيسى اليقطيني، عن علي بن سليمان بن يوسف البزاز، عن القاسم بن يحي، عن جدّه الحسن بن راشد(٥١).

وروى الكليني قال: [ حدّثنا ] عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يستحب الصلاة في مسجد الغدير، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو موضع أظهر الله عز وجل فيه الحق .(٥٢)

**٨ ـ الإمام الكاظم عليه السلام :**

روي في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام عن موسى بن

جعفرعليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أوقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير موقفه المشهور، ثم قال: يا عباد الله انسبوني، فقالوا: أنت محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثم قال: أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: مولاكم أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، فنظر إلى السماء وقال: اللّهُمَّ اشهد. يقول هو صلى الله عليه وآله ذلك وهم يقولون ذلك ثلاثاً، ثم قال: ألا من كنت مولاه وأولى به فهذا عليّ مولاه وأولى به، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

ثم قال: قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام فبايع له بإمرة المؤمنين، ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام فبايع له بإمرة المؤمنين، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة، ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلّهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطّاب فقال: بخ بخ لك يا ابن أبي‌طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، ثم تفرّقوا عن ذلك وقد وُكدّت عليهم العهود والمواثيق...[٥٣].

### ٩ ـ الإمام الهادي عليه السلام :

روى الشيخ الطوسي بسنده عن إسحاق بن عبدالله العلوي العُريضي، قال: وحكّ في صدري ما الأيّام التي تصام؟ فقصدت مولانا أبا الحسن علي بن محمدعليهما السلام وهو بصريا ولم أبد ذلك لأحد من خلق الله، فدخلت عليه فلمّا بصر بي قال عليه السلام : يا أبا إسحاق جئت تسألني عن الأيام التي يصام فيهنّ وهي أربعة ... ويوم الغدير، فيه أقام رسول الله صلى الله عليه وآله أخاه علياً عليه السلام علماً للناس وإماماً من بعده ...[٥٤].

وروى الطبرسي في الاحتجاج قال: وممّا أجاب به أبو الحسن علي بن محمد

العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال: ... ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أبانه من أصحابه بهذه اللفظة: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه ...(٥٥).

### ١٠ ـ الإمام الحسن العسكري عليه السلام :

روى الإربلي عن كتاب الدلائل للحميري قال: حدّثني الحسن بن ظريف قال: كتبت إلى أبي محمد أسأله ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا مولاه » قال: أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفُرقة(٥٦).

■ **ما روي عن الصحابة:**

### ١١ ـ أبيّ بن كعب بن قيس، أبو المنذر الخزرجي الأنصاري:

روى الطبري في كتابه مناقب أهل البيت قال: حدّثنا هنّاد، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب [حديث الاثني عشر صحابياً الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر واعترضوا عليه وهو على المنبر وفيهم أبيّ بن كعب حيث قال:] معاشر المسلمين، تشهدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رقى المنبر يوم غدير خم، وأقام علياً إلى جانبه وأخذ بيده اليمنى، وشالا بأيديهما حتى رأى الناس بياض إبطيهما، ثم قال: معاشر الناس ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا: اللّٰهُمَّ نعم، فقال: ألا من كنت نبيّه فهذا عليّ وليّه، ومن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله ...(٥٧).

ورواه ابن حاتم الشامي بلفظ آخر حيث قال: وقام أبيّ بن كعب رحمه الله فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معشر قريش، إنّي لا أعظكم بأكثر ممّا وعظكم به رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أقول لكم أكثر ممّا قال، على أنّا رأينا رسول الله صلى الله عليه وآله قد أقام علياً ولياً ومولى وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقالت طائفة منّا: إنّما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يُعلم من هو من مواليه وعبيده أنّ علياً مولاه، وقالت طائفة أخرى: ما أقامه إلاّ إماماً علماً. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلينا كهيئة المغضب ويده في يد علي ويقول: «من كنت مولاه فهذا مولاه وإمامه وحجة الله عليه» ...(٥٨).

وروى نحوه ابن جبر عن جدّه أبي عبدالله الحسين بن جبر في كتابه «الاعتبار في إبطال الاختيار» مسنداً إلى أبان بن عثمان عن الإمام الصادق عليه السلام(٥٩).

وروى السيد ابن طاوس بسنده عن علي عليه السلام قال: لما خطب أبو بكر قام أبيّ بن كعب يوم جمعة، وكان أوّل يوم من شهر رمضان، فقال: يا معشر المهاجرين الذين هاجروا واتبعوا مرضات الرحمن ... تناسيتم أم نسيتم ؟! أم بدّلتم أم غيّرتم ؟ أم خذلتم أم عجزتم؟ ألستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام فينا مقاماً أقام لنا علياً عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت أنا نبيّه فهذا أميره ؟...(٦٠).

### ١٢ ـ أسامة بن زيد بن حارثة، أبو محمد الكلبي:

روى الطبرسي عن الإمام الباقر عليه السلام كتاب أسامة إلى أبي بكر لما استدعاه أبو بكر، فكتب إليه: «فقد علمت ما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى(٦١).

### ١٣ ـ أسعد بن زرارة بن عُدَس، أبو أُمامة الخزرجي الأنصاري:

روى الخطيب البغدادي بسنده عن ابن عقدة قال: حدّثنا محمد بن المفضّل بن إبراهيم الأشعري، حدّثنا أبي، حدّثنا مثنّى بن القاسم الحضرمي، عن هلال أبي أيوب بن مِقلاص الصيرفي، عن أبي كثير الأنصاري، عن عبد الله بن أسعد بن زرارة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه(٦٢).

### ١٤ ـ الأشعث [معدي كرب] بن قيس بن معدي كرب الكندي:

كان من الذين كتم الشهادة حينما ناشده أمير المؤمنين عليه السلام مع ثلاثة آخرين ليشهدوا بسماع حديث الغدير، وسيأتي في حديث المناشدة.

### ١٥ ـ أنس بن مالك بن النضر، أبو حمزة الخزرجي الأنصاري:

يروي عنه:

١ ـ حُميد الطويل البصري.

٢ ـ علي بن زيد بن جدعان البصري.

٣ ـ كثير بن سُليم المدائني.

٤ ـ مسلم بن كيسان الكوفي.

٥ ـ يَغْنَم بن سالم البصري.

١ ـ أمّا رواية حُميد الطويل عن أنس فهي ما رواها ابن المغازلي بسنده في ذكر قضية المباهلة ومؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، وترك عليّ عليه السلام حيث لم يؤاخ بينه وبين أحد، ورجوع علي عليه السلام باكياً، إلى أن يقول له النبي صلى الله عليه وآله: إنّما ادخرتك لنفسي، ألا يسّرك أن تكون أخا نبيّك؟ قال: بلى يا رسول الله أنّى لي

بذلك؟ فأخذ بيده فأرقاه المنبر فقال: اللّهُمَّ إنّ هذا منّي وأنا منه، ألا إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه. قال: فانصرف عليّ قرير العين، فأتبعه عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم.

هذه الرواية رواها عن ابن المغازلي كلّ من ابن البطريق في العمدة: ١٦٩ ح٢٦٢، والإربلي في كشف الغمة ١: ٣٣٥، [ عن العمدة ]، وشاذان بن جبرئيل القمي في الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٧٦ ح٦٢، وابن جَبْر في نهج الإيمان: ٤٢٦، والسيد ابن طاوس في الطرائف: ١٤٨ ح٢٢٤، والعلاّمة الحلّي في كشف اليقين: ٢٠٦.

٢ ـ أمّا رواية علي بن زيد بن جُدعان فهي ما رواها الخطيب البغدادي بسنده عن أنس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٧٧ رقم ٣٩٠٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٣٥ ح٨٧٤٢.

٣ ـ أما رواية كثير بن سُليم فقد رواها محمد بن سليمان الكوفي بسنده عن أنس قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي يوم غدير خم بالجحفة، ثم رفع إبطه فرأينا بياض إبطيهما جميعاً، فقال: أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى، قال: ومن أهاليكم وأولادكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله .

قال: فقام إليه عمر بن الخطّاب فقال: بخ بخ يا بن أبي طالب أصبحت مولانا ومولى كلّ مؤمن.

راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤٣٠ ح٩١٣، ونحوه أيضاً ٢: ٥١٦ ح١٠٢٠.

٤ ـ أمّا رواية مسلم بن كيسان فهي ما رواها الشيخ الطوسي بسنده عن أنس قال: إنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

راجع: الأمالي للطوسي: ٣٣٢ ح٦٦٤، عنه المجلسي في البحار ٣٧: ١٢٥ ح٢٣، ونحوه الآجري في الشريعة ٣: ٢١٩ ح١٥٨٣، ومحمد بن عمرو البختري فيما ورد في مجموع مصنّفاته: ١١٦ ح١٥.

٥ ـ أمّا حديث يَغْنَم بن سالم فهو ما رواه الشيخ الصدوق بسنده قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم وهو آخذ بيد عليّ: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

راجع: معاني الأخبار: ٦٧ ح٨، عنه المجلسي في البحار ٣٧: ١٢٣ ح١٧.

ولا يخفى أنّه كان من الذين كتموا الشهادة حينما ناشد أمير المؤمنين الصحابة ودعا على من لم يشهد، ثم بعد ما أصابته الدعوة طفق ينقل فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

راجع: كتمان الشهادة.

## ١٦ ـ البراء بن عازب بن الحارث، أبو عُمارة الأوسي الأنصاري:

يروي عنه:

١ ـ عَديّ بن ثابت الكوفي.

٢ ـ عَمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي.

١ ـ أمّا رواية عَدي بن ثابت الكوفي فهي ما رواها ابن أبي شيبة عن البراء قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، قال: فنزلنا بغدير خم، قال: فنودي الصلاة جامعة، وكُسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة، فصلّى الظهر فأخذ بيد علي فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد عليّ فقال: اللّهُمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة .

راجع: المصنّف ١٧: ١٢٨ ح٣٢٧٨١ .

ورواية عَديّ بن ثابت وردت في مصادر متعدّدة وبألفاظ مختلفة، فقد رواها البلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٥٦، والكوفي في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٤٤١ ح٩٢٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٢٢٠ ح٨٧١٥، والذهبي في طريق حديث من كنت مولاه: ٨٨ ح٩٦ وتاريخ الإسلام ٢: ٣٥٩، وابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٣٤٩، والسيرة النبوية ٤: ٣٥٠، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣٠: ٤٣٠ ح١٨٤٧٩ ـ ١٨٤٨٠ وفضائل الصحابة ٢: ٥٩٦ ـ ٥١٧ ح١٠١٦، وابن البطريق في العمدة: ٩٢ ح١١٣ عن أحمد، وابن المغازلي في كفاية الطالب: ٨، وابن ماجة في سننه ١: ٤٣ ح١١٦، وابن الصلاح في الأنوار اللمعة ٤: ١٢ ح٧٣٦٨، والخوارزمي في المناقب: ١٥٥ ح١٨٣، وابن أبي عاصم في السنة: ٥٩١ ح١٣٦٣، والشجري في الأمالي الخميسية ١: ١٤٥، وأبو الحسن الديلمي الزيدي في المحيط بأصول الإمامة الورقة: ١٧٧، والآجري في الشريعة ٣: ٢١٩ ح١٥٨٢، والثعالبي في الكشف والبيان ٤: ٩٢، والعاصمي في زين الفتى ١: ٤٩٣ ح٢٩٣.

٢ ـ أمّا رواية عمرو بن عبد الله السبيعي فقد رواها الخطيب البغدادي بسنده عن البراء قال: لما نزل رسول الله ﷺ الغدير قام الظهيرة فأمر بقمّ الشجرات ثم جُمعت له أحجار وأمر بلالاً فنادى في الناس، فاجتمع المسلمون، فصعد رسول الله ﷺ على تلك الأحجار، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأبغض من أبغضه، وأحبّ من أحبه، وأعزّ من نصره. قال أبو اسحاق: قال البراء: [كان كذلك] في يوم صائف شديد حرّه، حتى جعل الرجل منّا بعض ثوبه تحت قدمه وبعضه على رأسه، فلمّا همّ بالنزول قال: ألستم تشهدون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: تلخيص المتشابه في الرسم ١: ٢٤٤ رقم ٣٨٣ .

وروى نحوه الدولابي في الكنى والأسماء ١: ٣٤٩ ح١٢٣٥، وابن الفَرَضي الأندلسي في الألقاب: ٩٣، والقاضي النعمان في شرح الأخبار ١: ٢٢١ ح٢٠٤، والخركوشي في شرف المصطفى ٥: ٤٩٦ ح٢٤٧٦، وابن البطريق في المستدرك المختار: ٢١ عن السمعاني، وابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٣٥، والسيوطي في وصول الأماني بأصول التهاني: ١٦ ح١، بألفاظ مختلفة من حيث التفصيل والإجمال .

ثم إنّ أبا إسحاق السبيعي يروي في بعض الأحيان «من كنت مولاه» عن البراء وزيد بن أرقم معاً، فقد روى الذهبي بسنده عن البراء وزيد بن أرقم قالا: كنّا مع رسول الله ﷺ يوم غدير خم ونحن نرفع غصن الشجرة عن رأسه، فقال: إنّ الصدقة لا تحلّ لي ولا لأهل بيتي، لعن الله من ادعى إلى غير أبيه [إلى أن قال:] من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: طرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٧٠ ح٧٢، البداية والنهاية لابن

كثير ٥: ٢١٠ والمعجم لابن الأعرابي ٢: ٨٠٣ ح١٦٤٣، وتاريخ دمشق ٤٢: ٢٢٢ ح٨٧١٩، وبشارة المصطفى لعماد الدين الطبري: ٢٦١ ح٧٠، عنه البحار ٣٧: ٢٢٢ ح٩٤، والكامل لابن عدي ٦: ٣٤٩ رقم ١٨٣٢، ونصب الراية للزيلعي ٤: ٤٠٥، والأمالي للطوسي: ٢٢٧ ح٣٩٨، عنه البحار للمجلسي ٣٧: ١٢٣ ح١٨، والقاضي النعمان في شرح الأخبار: ٢٢٨ ح٢١٦.

### ١٧ ـ بُريدة بن الحُصيب بن عبد الله الأسلمي:

يروي عنه :

١ ـ صالح بن ميثم التمّار الكوفي .

٢ ـ طاوس بن كيسان اليماني .

٣ ـ ابن عبد الله بن بريدة الأسلمي .

٤ ـ عبد الله بن عباس .



١ ـ أمّا رواية صالح بن ميثم فقد قال الذهبي: ويُروى عن صالح بن ميثم عن بريدة.

راجع: طرق حديث من كنت مولاه: ٧٦ ح٨١ .

٢ ـ أمّا رواية طاوس بن كيسان فقد رواها أحمد بن حنبل بسنده قال: لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن علياً، خرج بريدة الأسلمي معه، فعتب على عليّ في بعض الشيء، فشكاه بريدة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله: من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه.

راجع: فضائل الصحابة ٢: ٥٩٢ ح١٠٠٧، ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ٢: ٤٤٣ ح٩٣٠، والمعجم الأوسط للطبراني ١: ٢٢٩ ح٣٤٨ .

كما رواه الطبراني أيضاً بلفظ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط من دون

حديث الشكوى، في المعجم الصغير ١: ٧١، وأبو نُعيم الأصبهاني في ذكر أخبار أصبهان ١: ١٢٦ وحلية الأولياء ٤: ٢٣ رقم ٢٤٩، والكوفي في مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤١٨ ح٩٠١، وابن عدي في الكامل ٢: ٣٦٢ رقم ٤٩٠ بلفظ: «من كنت وليّه فعلي وليّه». وابن الأعرابي في المعجم ١: ١٣٩ ح٢٢٢، والذهبي في طرق حديث من كنت مولاه: ٧٣ ح٧٥.

٣ ـ أمّا رواية عبد الله بن بريدة، فهي ما رواها أحمد بن حنبل بسنده عن ابن بريدة عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سريّة، قال: لما قدمنا قال: كيف رأيتم صحابة صاحبكم؟ قال: فإمّا شكوته أو شكاه غيري، قال: فرفعت رأسي وكنت رجلاً مكباباً، قال: فإذا النبي صلى الله عليه وآله قد احمرّ وجهه، قال: وهو يقول: من كنت وليّه فعليّ وليّه .

راجع: مسند أحمد ٣٨: ٥٨ ح٢٢٩٦١، عنه تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١٩٢ ح٨٦٥١ .

كما رواه البزار في البحر الزخّار ١٠: ٢٥٨ ح٤٣٥٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٨ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، كما صحّحه أيضاً ابن حجر في مختصر زوائد مسند البزار ٢: ٣٠٦ ح١٩١٠، والنسائي في السنن الكبرى ٥: ١٣٠ ح٨٤٦٥، والروياني في مسنده ١: ٩٢ ح٦٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ١٩٢ ح٨٦٥٢، وأبو يعلى في مسنده ١: ٢٢٥ ح٢٦١، والكوفي في مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٣٨٥ ح٨٥٩، وابن حبان في صحيحه ١٥: ٣٧٤ ح٦٩٣٠، وابن المغازلي في المناقب: ٢١ ح٢٨، وابن أبي شيبة في المصنف ١٧: ٩٤ ح٣٢٧٢، وابن أبي عاصم في السنة ٥٩٠.

ثم إنّ أحمد بن حنبل روى الواقعة بنحو أكثر تفصيلاً حيث قال: عن ابن بريدة، عن أبيه أنّه مرّ على مجلس وهم يتناولون من عليّ، فوقف عليهم فقال: إنّه

قد كان في نفسي على عليّ شيء، وكان خالد بن الوليد كذلك، فبعثني رسول الله ﷺ في سريّة عليها علي، وأصبناً سبياً، قال: فأخذ عليّ جارية من الخمس لنفسه، فقال خالد بن الوليد: دونك، قال: فلمّا قدمنا على النبي ﷺ جعلت أحدّثه بما كان ثم قلت: إنّ علياً أخذ جارية من الخمس، قال: وكنت رجلاً مكباباً قال: فرفعت رأسي فإذا وجه رسول الله ﷺ قد تغيّر فقال: من كنت وليّه فعليّ وليّه.

راجع: مسند أحمد ٣٨: ١٣٣ ح٢٣٠٢٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١٩٣ ح٨٦٥٥، ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ٢: ٤٤٣ ح٩٢٩، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٢: ١٢٩ ح١٣٠ .

وفي لفظ آخر عند أحمد بن حنبل: لا تقع في عليّ فإنّه منّي وأنا منه، وهو وليّكم بعدي، وإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي .

راجع مسند أحمد ٣٨: ١١٧ ح٢٣٠١٢، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١٩٠ ح٨٦٤٥، والعمدة لابن البطريق: ١٩٧ ح٢٩٧، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٥٧، ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ١: ٤٨٧ ح٣٩٤، والبحر الزخار للبزار ١٠: ٢٨٢ ح٤٣٩١، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٣ ح٨٤٧٥، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٧٦ ح٨٠، وله ألفاظ أخر قريبة منه وردت في كثير من المصادر .

٤ ـ أمّا رواية عبد الله بن عباس فقد رواها الخطيب البغدادي بسنده عن بريدة قال: غزوت مع عليّ اليمن، فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقّصته، فرأيت وجه رسول الله يتغيّر، فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: مسند أحمد ٣٨: ٣٢ ح٢٢٩٤٥، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٤: ٣٢٥ ح٢٣٥٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٠٩، ومعرفة الصحابة لأبي نُعيم

الأصبهاني ١: ٤٣١ ح١٢٥٥ وأنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٣٥٧ بدون ذكر الشكوى، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥ ح٨١٤٥، وأحكام القرآن للطحاوي ١: ٣٨٥ ح٨٠٧، ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ٢: ٤٢٥ ح٩٠٧، والمناقب لابن المغازلي: ٢٤ ح٣٦، والمسترشد للطبري الإمامي: ٦٢٠ ح٢٨٧، والمستدرك للحاكم ٣: ١١٠، والمناقب للخوارزمي: ١٣٤ ح١٥٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١٨٧ ح٨٦٣٥، ومسند البزار ١٠: ٢٥٧ ح٤٣٥٢، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٠ ح٨٤٦٦، والشريعة للآجري ٣: ٢١٤ ح١٥٧٢، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٧٤ ح٧٨ .

كما ورد أيضاً بلفظ: «عليّ مولى من كنت مولاه» .

راجع: الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ٤: ٣٢٦ ح٢٣٥٩، وميزان الإعتدال للذهبي ٢: ٦٤٠ رقم ٥١٤٧، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١٨٧ ح٨٦٣٦، والمعجم لابن الأعرابي ٣: ١٠١٨ ح٢١٧٩ .

### ١٨ ـ بشير ـ أو رفاعة ـ بن عبد المنذر، أبو لُبابة الأوسي الأنصاري:

عدّه ابن شهرآشوب من الذين رووا حديث الغدير .

راجع: المناقب ٣: ٢٦، عنه ابن جبر في نهج الإيمان: ٢٢٣، والمجلسي في البحار ٣٧: ١٥٧ ح٤٠.

### ١٩ ـ بلال بن رباح الحبشي:

روى ابن شهرآشوب بسنده أنّ بلالاً لم يبايع أبا بكر، وأنّ عمر جاء حتى أخذ بتلابيبه فقال: يا بلال هذا جزاء أبي بكر منك؟ إنّه أعتقك فلا تجي تبايعه؟! فقال بلال:... ولقد علمت يا عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عقد لابن عمّه عقداً هو في

أعناقنا إلى يوم القيامة، وجعله مولانا من بعده يوم الدوحات، فأيّنا يستطيع أن يبايع على مولاه، قال عمر: فإن كنت غير فاعل فلا تقم معنا لا أمّ لك.

راجع: مثالب النواصب، والعقد النضيد لمحمد بن الحسن القمي: ١٤٩، والدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني: ٣٦٧، كما أشار إليه المولى محمد تقي المجلسي في روضة المتقين ١٤: ٦٩ .

**٢٠ ـ ثابت بن قيس بن شماس، أبو محمد الخزرجي الأنصاري:**

شهد لعليّ عليه السلام يوم الرحبة لما ناشد الصحابة ليشهدوا له.

**٢١ ـ ثابت بن وديعة، أبو سعد أو سعيد الأوسي الأنصاري:**

ذكره ابن شهرآشوب فيمن روى حديث الغدير .

راجع: المناقب ٣: ٢٦، عنه ابن جبر في نهج الإيمان: ٢٢٣، والمجلسي في البحار ٣٧: ١٥٧ ح٤٠ .

**٢٢ ـ جابر بن سمرة بن جنادة، أبو عبد الله السّواني العامريّ:**

ذكره ابن شهرآشوب فيمن روى حديث الغدير .

**٢٣ ـ جابر بن عبد الله أبو عبد الله الخزرجي الأنصاري:**

يروي عنه :

١ ـ الإمام محمد الباقر عليه السلام .

٢ ـ سالم بن أبي الجعد الأشجعي .

٣ ـ عبد الله بن محمد بن عقيل الهاشمي .

٤ ـ عطاء بن أبي رباح الفهري .

٥ ـ قَبيصة من ذُؤيب الخزاعي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن الزهري .

٦ ـ محمد بن المنكدر التيمي .

١ ـ أمّا رواية الإمام الباقر عليه السلام فقد رواها جمال الدين الزيلعي بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله: أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا رجع من حجة الوداع قام فخطب الناس بالجحفة، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه ...

راجع: تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٢٤١ رقم ٦٨١ .

٢ ـ أمّا رواية سالم بن أبي الجعد، فهي ما رواها أبو نُعيم الأصبهاني بسنده عن جابر قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر وعمر، فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فقال أبو بكر لعمر: هذه والله الفضيلة .

راجع: ذكر أخبار أصبهان ٢: ٣٥٨.

٣ ـ أمّا رواية عبد الله بن محمد بن عقيل فقد رواها ابن أبي شيبة بسنده عن جابر قال: كنّا بالجحفة بغدير خم إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: المصنّف ١٧: ٩٨ ح٣٢٧٣٥، ونحوه السنّة لابن أبي عاصم ٥٩٠ ح١٣٥٦، وانظر: اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٩: ٢٨١ ح٨٩٨١، والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني ١٦: ٩٥ ح٣٩٣٠، وجمع الجوامع للسيوطي ١٤: ١٩٠ ح١٠٠٥٤ .

ورواها الآجري بلفظ: كنّا بالجحفة بغدير خم إذ خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله من خباء أو فسطاط، فقال بيده ثلاث مرّات: هلمّ هلمّ هلمّ. وثَمّ ناس من خزاعة ومُزينة وجُهينة وأسلم وغفار، فأخذ بيد علي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألست أولى

بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: الشريعة ٣: ٢١٦ ح١٥٧٧ .

وانظر أيضاً نحوه: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٢٤ ح٨٧٢٥، طرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٨٣ ح٨٩، وسير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤ رقم ٨٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢١٣، والسيرة النبوية ٤: ٣٥٥، وكفاية الطالب للكنجي: ١١، وفرائد السمطين للجويني: ٤٨، والجوهرة للتلمساني ٢: ٢٤٥، وجمع الجوامع للسيوطي ١٦: ٢٥٣ ح٧٨٥٦ .

وقد رواه الشيخ الصدوق بسنده عن جابر بلفظ: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في علي عليه السلام خصالاً لو كانت واحدة منها في جميع الناس لاكتفوا بها فضلاً: قوله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه ...

راجع: الأمالي: ١٤٩ ح١٤٦، والخصال ٤٩٦ ح٥، والبحار ٣٨: ٩٥ ح١١، وبشارة المصطفى ٤٣ .

٤ ـ أمّا رواية عطاء بن أبي رباح فقد رواها محمد بن أحمد المفجّع البصري بسنده عن جابر قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بغدير خم ونصب بدوحات وكان يوماً حاراً، وإنّ أحدنا يستظلّ بثوبه ويبلّ بخرقة فيضعها على رأسه من شدّة الحر، فقام عليه السلام فقال: أيها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمّهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فأخذ بيد علي عليه السلام فرفعها حتى أبان شعر إبطيهما ثم قال: اشهدوا، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه ـ يقولها ثلاثاً ـ فقال عمر : هنيئاً لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ـ .

راجع: شرح قصيدة الأشباه: ٢٢، وتنبيه الغافلين لابن كرامة: ١٠٥، والبدر

المنير للمهدي لدين الله اليمني ٢: ٩٧، وإشراق الإصباح للصنعاني: ٧٦ .

٥ ـ أمّا رواية قبيصة بن ذُؤيب فقد رواها الطبراني بسنده عن جابر قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بخمّ فتنحّى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب، فشقّ على النبي صلى الله عليه وآله تأخّر الناس عنه، فأمر علياً فجمعهم، فلمّا اجتمعوا قام فيهم وهو متوسّد علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنّي قد كرهت تخلّفكم وتنحّيكم عنّي حتى خُيّل إليّ أنّه ليس من شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني، ثم قال: لكن عليّ بن أبي طالب أنزله [ الله ] منّي بمنزلتي منه، فرضي الله عنه كما أنا عنه راض، فإنّه لا يختار على قربي وصحبتي شيئاً، ثم رفع يديه فقال: اللّهُمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه...

راجع: مسند الشاميّين ٣: ٢٢٢ ح٢١٢٨، عنه تخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤١ رقم ٦٨١ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٢٧، وإتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ١٠: ٥٠١ ح١٠٢٤٨ عن أبي يعلى الموصلي. وانظر: المناقب لابن المغازلي: ٢٥ ح٣٧، عنه العمدة لابن البطريق: ١٠٧ ح١٤٣ .

٦ ـ أمّا رواية محمد بن المنكدر فقد رواها ابن عساكر بسنده عن جعفر بن إبراهيم الجعفري قال: كنت عند الزهري أسمع منه فإذا عجوز قد وقفت فقالت: يا جعفريّ لا تكتب عنه فإنّه مال إلى بني أمية وأخذ جوائزهم، فقلت: من هذه؟ قال: أختي رقيّة، خرفت. قالت: [بل] خرفت أنت، كتمت فضائل آل محمد، وقد حدّثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

راجع: تاريخ دمشق ٤٢: ٢٢٧ ح٨٧٢٧ .

**٢٤ ـ جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري :**

ذكره السيد ابن طاوس نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

راجع الطرائف: ١٤٢، البحار ٣٧: ١٨٣ ح٦٨.

**٢٥ ـ جرير بن عبد الله بن جابر، أبو عمرو البجلي القسري :**

يروي عنه:

١ ـ بشر بن حرب البصري .

٢ ـ زاذان الكوفي .

١ ـ أمّا رواية بشر بن حرب فقد رواها الطبراني بسنده عن جرير قال: شهدنا الموسم في حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حجة الوداع، فبلغنا مكاناً يقال له غدير خم، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعنا المهاجرون والأنصار، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسطنا فقال: أيّها الناس بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله، قال: ثم مه؟ قالوا: وأنّ محمداً عبده ورسوله، قال: فمن وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله مولانا، قال: من وليّكم؟ ثم ضرب بيده على عضد عليّ فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه فقال: من يكن الله ورسوله مولياه فإنّ هذا مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، اللّهُمَّ من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً ...

راجع: المعجم الكبير ٢: ٣٥٧ ح٢٥٠٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٣٦ ح٨٧٤٣ .

٢ ـ أما رواية زاذان فقد رواها عماد الدين الطبري بسنده عن جرير قال: لمّا قفل النبي صلى الله عليه وآله من مكّة وبلغ وادياً يقال له وادي خم به غدير، قام في الهاجرة خطيباً، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فهذا لي مولى، قد بلّغت. قال

زاذان: قلت لجرير: من حضر ذلك الموضع ؟ فقال : جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله سمعوا كما سمعت...

راجع: بشارة المصطفى: ٤٢١ ح٣٠.

**٢٦ ـ جندب بن جنادة، أبو ذر الغفاري:**

أورده ابن شهرآشوب ضمن من روى حديث الغدير، وكذلك السيد ابن طاوس عن ابن عقدة راجع: المناقب ٣: ٢٥، ولابحار ٣٧: ١٥٧ ح٤٠، والطرائف: ١٣٩ .

**٢٧ ـ جندب بن عبد الله بن سفيان، أبو عبد الله البجلي العلقي :**

أورده ابن شهر آشوب ضمن من روى حديث الغدير، وكذلك السيد ابن طاوس عن ابن عقدة.

**٢٨ ـ الحارث بن ربعي، أبو قتادة الأنصاري :**

أورده ابن شهرآشوب ضمن من روى حديث الغدير .

**٢٩ ـ حبّة بن جوين، أبو قدامة العرني البجلي [٦٣]:**

يروي عنه :

١ ـ مسلم بن كيسان الكوفي .

٢ ـ عبد الله بن شريك الكوفي .

١ ـ أمّا رواية مسلم بن كيسان فقد رواها ابن الأثير الجزري بسنده عن حبّة قال: «لما كان يوم غدير خم دعا النبي صلى الله عليه وآله الصلاة جامعة نصف النهار، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس أتعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا:

نعم، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأخذ بيد عليّ حتى رفعها حتى نظرت إلى آباطهما، وأنا يومئذ مشرك.

راجع: أسد الغابة ١: ٦٦٩ رقم ١٠٣١، وأشار إليه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٢٤٣ رقم ٦٨١.

وقد اعترض ابن الأثير على أنّه لم يحج آنذاك مشرك إذ إنّ النبي ﷺ قد سيّر علياً سنة تسع إلى مكة في الموسم، وأمره أن ينادي أن لا يحج بعد العام مشرك، وقد أجابه علاء الدين مغلطاي قائلاً: إن صحّ السند بذلك إليه، لا يمنع أن يكون حضر ذلك وهو غير متلبّس بالحج، إمّا في عهد أو ما أشبهه، أو يكون ماراً في الطريق، فسمع ذلك فقطعه، والله أعلم .

راجع: إكمال تهذيب الكمال ٣: ٣٥١ رقم ١١٤٤، والإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة ١: ١٤٩ رقم ١٥٧ .

٢ ـ أمّا رواية عبد الله بن شريك فقد رواها الزيلعي بسنده عن حبّة قال: إنّ قوماً من الأنصار وقالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم «من كنت مولاه...» فيهم جبلة بن عمرو، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف في جماعة من الأنصار .

راجع: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٢: ٢٤٠ رقم ٦٨١ .

### ٣٠ ـ حُبشي بن جُنادة بن نصر، أبو الجَنوب السلولي:

روى الطبراني بسنده عن أبي إسحاق الهمداني قال: سمعت حُبشي بن جُنادة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: اللّهُمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه .

راجع: المعجم الكبير ٤: ١٦ ح٣٥١٤، وعنه الزيلعي في تخريج الأحاديث ٢: ٢٣٧ رقم ٦٨١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله وثّقوا، والسيوطي في جمع الجوامع ٢: ٩٨ ح٤١٩٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١: ٦٠٩ ح٣٢٩٤٦ .

كما روي هذا الحديث في مصادر مختلفة وفي بعضها بحذف الذيل، انظر: السنة لابن أبي عاصم: ٥٩١ ح١٣٦٠، ومعجم الصحابة لابن قانع البغدادي ١: ١٩٩ رقم ٢٢٥، والأمالي لابن مندة ح٢٩٨، والفوائد المنتقاة لابن أبي الفوارس: ح٩٧، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٢٩ ح٨٧٣٠، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ٣: ٥٠٥ رقم ١٧٠١، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢١٣ .

**٣١ ـ حبيب بن بُديل بن ورقاء الخزاعي :**

قال ابن كثير: حبيب بن بُديل بن ورقاء :

أورد له ابن عقدة بسند مظلم إلى زرّ بن حُبيش عنه حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»..

انظر: جامع المسانيد والسنن ٣: ٢٦١ ح١٨٠٠ .

**٣٢ ـ حذيفة بن أسيد بن خالد، أبو سريحة الغفاري :**

روى الطبراني بسنده عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لمّا صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا تحتهنّ، ثم بعث إليهنّ فقمّ ما تحتهنّ من الشوك، وعمد إليهنّ فصلّى تحتهنّ، ثم قام فقال: يا أيّها الناس إنّي قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يُعمّر نبيّ إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله، وإنّي لأظنّ أنّي يوشك أن أُدعى فأجيب،

وإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون ؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت وجهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً. فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ البعث بعد الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، ثم قال: أيها الناس، إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه ..

راجع: المعجم الكبير ٣: ١٨٠ ح٣٠٥٢، عنه الزيلعي في تخريج الأحاديث ٢: ٢٣٧ رقم ٦٨١، وابن كثير في جامع المسانيد والسنن ١٤: ١٠٦ ح١١٧٠٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٤، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ١: ٣٤٦ ح٧٢، والسمهودي في جواهر العقدين ٢: ٧٨، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ١: ١٠٨ وصحّح سنده.

كما رواه ابن عساكر بسنده في تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٩ ح٨٧١٤، عنه ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٣٤٨، كما رواه الشيخ الصدوق بسنده في الخصال: ٦٥ ح٩٨ باب الإثنين، عنه البحار ٣٧: ١٢١ ح١٥، ورواه السيوطي في جمع الجوامع ١٤: ٢٨٣ ح١٠٥٧٥ عن تهذيب الآثار للطبري.

وقد روي حديث الغدير مقتصراً على لفظ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، عن أبي الطفيل عن حذيفة أو زيد بن أرقم في المصادر التالية:

سنن الترمذي ٦: ٧٩ ح٣٧١٣، عنه كفاية الطالب للكنجي: ١٠، وتذكرة أولى الأبصار لابن الجوزي: ٣٣٤، وابن الأثير في جامع الأُصول ٨: ٦٤٩ ح٦٤٨٨، والأنوار اللمعة لابن الصلاح ٣: ٢٤٢ ح٦٥٥٣، وتذهيب الأسماء واللغات للنووي

١: ٣٤٧ رقم ٤٢٩، وتحفة الأشراف للمزي ٣: ١٩٥ ح٣٦٦٧ رقم ١٦٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٥٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٤٨، كما رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣: ١٧٩ ح٣٠٤٩ .

## ٣٣ ـ حذيفة بن اليمان بن جابر، أبو عبد الله العَبْسي :

يروي عنه :

١ ـ ربيعة بن شيبان السعدي .

٢ ـ عبد الله بن سَلِمة الكوفي .

٣ ـ عطيّة بن سعد بن جنادة العَوْفي .

٤ ـ عمرو بن ميمون الأودي .

١ ـ أمّا رواية ربيعة بن شيبان فقد رواها الذهبي بسنده عن ربيعة قال: قال حذيفة: بكرامتك من وافد قوم، إنّا قد شهدنا وغبتم، لكأنّي أنظر إلى فَلْق فِيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد علي وهو يقول: ألا من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

انظر: طرق حديث من كنت مولاه: ٩٩ ح١٢٠ وضعّف سنده .

٢ ـ أمّا رواية عبد الله بن سلمة فقد رواها يوسف بن أُبيّ القطيفي بسنده إلى حذيفة في ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير بطولها إلى أن يقول في آخرها: قال: ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صاح بأعلى صوته ويده في يد علي وقال: يا أيّها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بأجمعهم: بلى يارسول الله، قال: فرفع بضبع علي عليه السلام حتى رأى الناس بياض إبطيهما، وقال على النسق: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من

خالفه، وأدر الحق معه حيث دار، فليبلّغ ذلك منكم الشاهد الغائب والوالد الولد ...

راجع: التهاب نيران الأحزان: ٤ ـ ٢٧، عنه الفيض الكاشاني في نوادر الأخبار: ٢٢٧، ونحوه في المجموع الرائق للسيد هبة الله الموسوي ٢: ٧٥ ـ ٨٧، وقد أشار إليها السيد ابن طاوس في اليقين: ٣٨٤ .

٣ ـ أمّا رواية عطية بن سعد فقد رواها فرات الكوفي بسنده عن حذيفة قال: كنت والله جالساً بين يدي رسول الله ﷺ وقد نزل بنا غدير خم، وقد غُصّ المجلس بالمهاجرين والأنصار، فقام رسول الله ﷺ على قدميه فقال: أيّها الناس إنّ الله أمرني بأمر فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فقلت لصاحبي جبرئيل: يا خليلي إنّ قريشاً قالوا لي كذا وكذا، فأتى الخبر من ربّي فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾.

ثم نادى علي بن أبي طالب عليه السلام فأقامه عن يمينه، ثم قال: أيّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: اللّٰهُمَّ بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال رجل من عرض المسجد: يا رسول الله ما تأويل هذا؟ قال: من كنت نبيّه فعليّ أميره، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله .

راجع: تفسير فرات الكوفي: ٥١٦ ح٦٧٥، عنه البحار ٣٧: ١٩٣ ح٧٧، كما رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٣٩١ ح١٠٤١ بسنده عن فرات أيضاً .

٤ ـ أمّا رواية عمرو بن ميمون عن حذيفة فستأتي في روايات كعب بن عُجْرَة.

### ٣٤ ـ حسان بن ثابت بن المنذر، أبو عبد الرحمن الخزرجي الأنصاري:

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة، ضمن الذين رووا حديث الغدير.

وقد أثر عنه الأبيات المعروفة التي استأذن النبي ﷺ أن ينشدها بعد واقعة الغدير مباشرة، وهي:

| | |
|---|---|
| ينـــاديهم يـــوم الغـــدير نبـــيهم | بخـــمٍّ فـأسمـــع بالرســـول مناديـــا |
| وقـــال: فمـــن مـــولاكم ووليّكـــم | فقـــالوا ولـــم يبـــدوا هنـــاك تعاميـــا |
| الهـــك مولانـــا وأنـــت وليّنـــا | ولـــو تلـــق منّـــا في الولايـــة عاصـــيا |
| فقـــال له: قـــم يـــا عليّ فـــإنّني | رضـــيتك مـــن بعـــدي إمامـــاً وهاديـــا |
| فمـــن كنـــت مـــولاه فهـــذا وليّـــه | فكونـــوا له أنصـــار صـــدق مواليـــا |
| هنـــــــاك دعا اللّهُمَّ وال وليّـــــــه | وكـــن بـــالذي عادى عليـــاً معاديـــا |

انظر: الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار للسيوطي: ١١٠ رقم٢٢٥.

### ٣٥ ـ خالد بن زيد بن كليب، أبو أيّوب الخزرجي الأنصاري:

روى محمد بن سليمان الكوفي بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أبا أيّوب الأنصاري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

فوجبت على كلّ مسلم سمعها، ولقد وعاها القوم كما وعيناها وحفظها من حفظها، وحقّ علينا أن نوالي من والاه، ونعادي عدوّه، لأمر الله وأمر رسوله.

راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤٢٧ ح٩٠٩.

**٣٦ ـ خالد بن الوليد بن المغيرة، أبو سليمان القرشي المخزومي:**

عدّه ابن شهر آشوب في المناقب ٣: ٢٥ ضمن الذين رووا حديث الغدير.

**٣٧ ـ خباب بن الأرتّ بن جندلة، أو عبد الله التميمي:**

روى عند الخركوشي بسنده قال:... حدّثنا رياح بن الحارث النخعي قال: سمعت أبا أيّوب وخباب بن الأرتّ يقولان: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: شرف المصطفى ٥: ٤٩٣ ح٢٤٧١.

**٣٨ ـ خزيمة بن ثابت بن الفاكه، ذو الشهادتين أبو عُمارة الخَطْمي الأنصاري:**

عدّه ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ ضمن الذين رووا حديث الغدير .

**٣٩ ـ خويلد بن خالد أبو ذؤيب الشاعر:**

روى أبو نعيم الأصبهاني بسنده عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم وقد نصب عليّ بن أبي طالب للناس وهو يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: معرفة الصحابة ٥: ٢٨٨٥ ح٦٧٧٨ .

**٤٠ ـ رفاعة بن رافع بن مالك، أبو مُعاذ الزُّرقي الأنصاري :**

عدّه السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة ضمن الذين رووا حديث الغدير .

### ٤١ ـ الزبير بن العوام بن خويلد، أبو عبد الله القرشي الأسدي:

روى ابن المشهدي الحائري بسنده عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: لمّا رجع النبي ﷺ ونزل بغدير خم أمر بدوحات فقمّت ثم قام فقال: كأنّي قد دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى كلّ مؤمن ومؤمنة، ثم أخذ بيد عليّ وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت نبيّه فهذا عليّ وليّه، سلمه سلمي، وحربه حربي، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: إقرار الصحابة بفضل إمام الهدى والقرابة: ١٦٣ .

### ٤٢ ـ زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري:

يروي عنه:

١ ـ أُنيسة بنت زيد بن أرقم.

٢ ـ ثُوير بن أبي فاختة الكوفي.

٣ ـ جابر بن أرقم أخوه.

٤ ـ حبيب بن يزيد.

٥ ـ حبيب بن يسار.

٦ ـ عامر بن واثلة أبو الطفيل.

٧ ـ عبد الله بن باقِل الكندي.

٨ ـ عطيّة بن سعد العوفي.

٩ ـ عمّارة بن جُوين أبو هارون العبدي.



١٠ ـ عمرو بن عبد الله أبو إسحاق السبيعي .

١١ ـ كثير البجلي .

١٢ ـ مسلم بن صُبَيْح أبو الضحى الكوفي .

١٣ ـ ميمون أبو عبد الله البصري .

١٤ ـ نُفيع بن الحارث أبو داود السبيعي .

١٥ ـ يحيى بن جعدة.

١٦ ـ يزيد بن حيّان الكوفي .

١٧ ـ يزيد بن شريك الكوفي .

١٨ ـ أبو عبد الله الشيباني .

١٩ ـ أبو عبد الله الغَنوي .

٢٠ ـ أبو ليلى الحضرمي .

٢١ ـ أبو ليلى الكندي .

٢٢ ـ أبو ليلى مولى ابن سعيد .

٢٣ ـ ابن امرأة زيد بن أرقم .

١ ـ أمّا رواية أنيسة بنت زيد بن أرقم فهي ما رواها الطبراني بسنده عن أنيسة عن أبيها قال: أمر رسول الله بالشجرات فقمّ ما تحتها ورُشّ ثمّ خطبنا، فوالله ما من شيء يكون إلى أن تقوم الساعة إلاّ وقد أخبرنا به يومئذ، ثم قال: يا أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قلنا: الله ورسوله أولى بنا من أنفسنا، قال: فمن كنت مولاه فهذا مولاه ـ يعني علياً ـ، ثم أخذ بيده فكشطها ثم قال: اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: المعجم الكبير ٥: ٢١٢ ح٥١٢٨، عنه ابن كثير في جامع المسانيد ٤: ٤٥٦ ح٢٨٦٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٠٥ .

٢ ـ أمّا رواية ثوير بن فاختة فقد رواها الطبراني بسنده أيضاً عن زيد قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد عليّ فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: المعجم الكبير ٥: ١٩٤ ح٥٠٦٦، عنه ابن كثير في جامع المسانيد ٤: ٣٩٨ ح٢٧٦١.

٣ ـ أمّا رواية جابر بن أرقم فقد رواها العياشي بسنده عن جابر بن أرقم قال: بينا نحن في مجلس لنا وأخي زيد بن أرقم يحدّثنا، إذ أقبل رجل على فرس عليه هيئة السفر، فسلّم علينا ثم وقف فقال: أفيكم زيد بن أرقم؟ فقال زيد: أنا زيد بن أرقم فما تريد؟ فقال الرجل: أتدري من أين جئت؟ قال: لا، قال: من فسطاط مصر لأسألك عن حديث بلغني منك تذكره عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له زيد: وما هو؟ قال: حديث غدير خم في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام [والرواية طويلة يشرح فيها زيد نزول آية التبليغ بعرفة وتأخير النبي صلى الله عليه وآله ذلك إلى الجحفة ونزوله بغدير خم وصعوده، على المنبر وخطبته حيث قال]: صلى الله عليه وآله أيها الناس إنّه نزل عليّ عشيّة عرفة أمر ضقت به ذرعاً مخافة تكذيب أهل الإفك، حتى جاءني في هذا الموضع وعيد من ربّي إن لم أفعل، ألا وإنّي غير هائب لقوم ولا محاب لقرابتي، أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، قال: اللّهُمَّ اشهد، وأنت يا جبرئيل فاشهد ـ حتى قالها ثلاثاً ـ ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب ثم قال: اللّهُمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله ـ قالها ثلاثاً ...

راجع: تفسير العياشي ٢: ٩٧ ح٨٩، عنه البحار ٣٧: ١٥١ ح٣٧، كما رواها

الحاكم الحسكاني بسنده عن العياشي في شواهد التنزيل ١: ٣٥٦ ح٣٦٨ .

٤ ـ أمّا رواية حبيب بن يزيد فهي ما رواها الشيخ الطوسي بسنده إلى ابن عقدة عن الحكم بن عُتبة وسلمة بن كهيل قال: حدّثنا حبيب ـ وكان إسكافاً في بني بَدّا، وأثنى عليه خيراً ـ أنّه سمع زيد بن أرقم يقول: خطبنا رسول الله ﷺ يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: الأمالي: ٢٥٤ ح٤٥٦، عنه البحار ٣٧: ١٢٤ ح٢٠، ونحوه في بشارة المصطفى لعماد الدين الطبري: ١٩٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢١٧ ح٨٧٠٧.

٥ ـ أمّا رواية حبيب بن يسار وأبو ليلى مولى ابن سعيد، فهي ما رواها البزار بسنده عن عمارة الأحمر قال: أخبرني حبيب بن يزيد وأبو ليلى مولى فلان بن سعيد وحبيب بن يسار قالوا: كنّا مع زيد بن أرقم جلوساً، فجاءه رجل فجلس فقال: إنّ الناس قد أكثروا في هذين الرجلين: علي وعثمان، فأخبرني عنهما، قال: لا أحدّثك إلاّ بما شهدته ووعاه قلبي: خرج النبي ﷺ فاستقبلنا بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فأعادها علينا ثلاثاً كلّ ذلك نقول: بلى يا رسول الله، وعليّ ساكت، قال: قم يا عليّ وأخذ بعضده أو بعضديه فرفعها أو فرفعهما فقال: من كنت مولاه فلي مولاه .

راجع: البحر الزخّار ١٠: ٢٣٨ ح٤٣٣٤، ونور الدين الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ٣: ١٩٠ ح٢٥٤٠ .

٦ ـ أمّا رواية كثير البجلي فقد رواها ابن البطريق بسنده إلى الحسن بن كثير [ عن أبيه ] عن زيد بن أرقم بنحو ما مرّ آنفاً .

راجع: المستدرك المختار: ٢١، عنه البحار ٣٧: ١٩٧ ح٨٢.

٧ ـ أمّا رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة، فقد رويت بألفاظ مختلفة، رواها البلاذري بسنده عن زيد بلفظ: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، فلمّا كنّا بغدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قام فقال: كأنّي قد دعيت فأجبت إنّ الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن، وأنا تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لم تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: قلت لزيد: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: ما كان في الدوحات أحد إلاّ وقد رأى بعينه وسمع بأذنه ذلك.

راجع: أنساب الأشراف ٢: ٣٥٦، ونحوه السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥ ح٨١٤٨، والخصائص ١١٢ ح٧٨، وشرح مشكل الآثار ٥: ١٨ ح١٧٦٥، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٦٤ ح٦٥ والبداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٠٩، وكمال الدين للصدوق: ٢٣٨ ح٥٥، عنه البحار ٣٧: ١٣٧ ح٢٥، والسنة لابن أبي عاصم: ٦٣٠ ح١٥٥٥، والشريعة للآجري ٣: ٣٥١ ح١٧٦٥ .

وروي بلفظ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» عند الآجري في الشريعة ٣: ٢١٨ ح١٥٨١، والمستدرك للحاكم ٣: ١٠٩، عنه السيوطي في جمع الجوامع ٥: ٤٠٠ ح١٥٥٨٢، والهندي في كنز العمال ١: ١٨٧ ح٩٥٣، وفي المناقب للخوارزمي: ١٥٤ ح١٨٢، والطبراني في المعجم الكبير ٥: ١٦٦ ح٤٩٦٩ و٤٩٧٠، والمناقب للكوفي ٢: ٤٣٥ ح٩١٩.

وبلفظ: «يا أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إذا اتبعتموهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي، ثم قال: أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ـ ثلاث مرّات ـ فقال الناس: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فإنّ علياً

مولاه. انظر: تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٥ ح٨٧٠٢، والمستدرك للحاكم ٣: ١٠٩، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٦٩ ح٧١، والأمالي الخميسية للشجري ١: ١٤٥ ح٦.

كما وردت بتفصيل أكثر في كلّ من مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ٢: ٣٧٥ ح٨٤٩، والمسترشد للطبري الإمامي: ٤٦٦ ح١٥٧، والمعجم الكبير للطبراني ٥: ١٦٦ ح٤٩٧١، عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، والسيوطي في جمع الجوامع ٣: ٢٤١ ح٨٣٩٦.

٨ ـ أمّا رواية عبد الله بن باقِل فقد رواها محمد بن سليمان الكوفي بسنده عن عبد الله بن باقِل الكندي قال: كنت جالساً عند زيد بن أرقم، فجاء رجل على بغلة قمراء، فقال: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: أنا زيد، فأعادها عليه ثلاث مرّات فلم يزد على أنّه قال: أنا زيد، فقال الرجل: كنت مع النبي ﷺ يوم غدير خم؟ قال: نعم، قال: فما سمعته يقول في عليّ؟ قال: أمر بدوحات كنّ في الوادي فقممن أو كُنسن، ثم صلّى ركعتين أخفّ فيهما القيام والركوع والسجود والقعود، ثم خطب خطبة خفيفة، فقال: أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد علي فرفعها فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فقال له الرجل: أنت سمعته؟ فقال: والله ما بالدوحات أحد إلاّ سمع بأذنيه ورأى بعينيه.

راجع مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤٠٠ ح٨٧٦، ونحوه الأمالي الخميسية للشجري ١: ١٤٥ ح٦.

٩ ـ أمّا حديث عطيّة العوفي، فقد رواه أحمد بن حنبل بسنده عن عطية قال: أتيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن عليّ يوم غدير خم، فأنا أحب أن أسمعه منك. فقال: إنّكم معشر أهل العراق فيكم ما

فيكم، فقلت له: ليس عليك منّي شيء، فقال: نعم، كنّا بالجحفة فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد عليّ، فقال: أيّها النّاس ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، قال: فقلت له: هل قال: اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟ قال: إنّما أخبرك كما سمعت.

راجع: مسند أحمد ٣٢: ٢٩ ح١٩٢٧٩، وفضائل الصحابة ٢: ٥٨٦ ح٩٩٢، عنه جامع المسانيد لابن كثير ٤: ٤١٩ ح٢٧٩٩، كما رواه ابن عساكر عن طريق أحمد في تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٧ ح٨٧٠٦، والسيوطي عن تهذيب الآثار للطبري في جمع الجوامع ١٦: ٢٣٤ ح٧٧٧٥، ونحوه باختصار الكوفي في المناقب ٢: ٣٨٦ ح٨٦٠، والآجري في الشريعة ٣: ٢١٨ ح١٥٨٠ ولفظه: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه». كما رواه الطبراني في المعجم الكبير ٥: ١٩٥ ح٥٠٦٩، ٥٠٧٠، والذهبي في طرق حديث من كنت مولاه: ٧١ ح٧٤ .

كما روي عنه بلفظ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقط في مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ٢: ٤٠٠ ح٨٧٧، و٢: ٤٤٦ ح٩٣٥، والمعجم الكبير للطبراني ٥: ١٩٥ ح٥٠٧١، وذكر أخبار أصبهان لأبي نُعيم الأصبهاني ١: ٢٣٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢١٧ ح٨٧٠٥، و٤٢: ٢١٦ ح٨٧٠٤ .

١٠ ـ أمّا رواية أبي هارون العبدي عُمارة بن جوين، فقد رواها الطبراني بسنده عن خلف بن خليفة قال: سمعت أبا هارون يذكر عن زيد بن أرقم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوم غدير خم: من كنت مولاه فعليّ مولاه .

راجع: المعجم الكبير ٥: ٢٠٤ ح٥٠٩٦، وفي المعجم الكبير أيضاً ٥: ٢٠٤ ح٥٠٩٧ عن أبي هارون العبدي عن رجل عن زيد، وفيه إضافة: «اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه».

١١ ـ أمّا رواية عمرو بن عبد الله السبيعي فهي ما رواها ابن عساكر بسنده عن ابن عقدة، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

راجع: تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٨ ح٨٧١٣، وفي السنة لابن أبي عاصم: ٥٩٣ ح١٣٧٥ عن شريك بلفظ: قلت لأبي إسحاق: أسمعت عن زيد بن أرقم؟ قال: نعم، يريد: من كنت مولاه.

١٢ ـ أمّا رواية أبي الضحى مسلم بن صُبيح فقد رواها ابن أبي عاصم بسنده بلفظ: من كنت مولاه فعلي مولاه. وعند ابن المغازلي بلفظ: من كنت مولاه فعلي وليّه أو مولاه .

راجع: السنة: ٥٩٢ ح١٣٧١، المناقب: ١٩ ح٢٥، وتاريخ دمشق ٤٢: ٢١٨ ح٨٧٠٩.

أمّا محمد بن سليمان الكوفي فقد رواه بلفظ: «اللّٰهُمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه». المناقب ٢: ٤١٦ ح٨٩٧، وكذلك عند الطبراني في المعجم الكبير ٥: ١٧٠ ح٤٩٨٣ و٤٩٨٤، عنه ابن كثير في جامع المسانيد ٤: ٤٤٦ ح٢٨٤٩.

وبهذه الألفاظ أو قريب منها ورد في بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الحلبي ٦: ٢٩٣٣، وجمع الجوامع للسيوطي ١٦: ٢٣٤ ح٧٧٧٦، وكنز العمال للمتقي الهندي ١٣: ١٠٥ ح٣٩٣٤٤ .

١٣ ـ أمّا رواية أبي عبد الله ميمون البصري فقد رواها أحمد بن حنبل بسنده عن ميمون قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له

وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاّها بهجير، قال: فخطبنا وظُلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: ألستم تعلمون، أو ألستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللّهُمَّ عاد من عاداه، ووال من والاه.

راجع: مسند أحمد ٣٢: ٧٣ ح١٩٣٢٥، وفضائل الصحابة ٢: ٥٩٧ ح١٠١٧، عنه الهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند ٣: ٣٧١ ح٣٦٦١، وابن كثير في جامع المسانيد ٤: ٤٢٩ ح٢٨١٦، ورواه أيضاً ابن عساكر بسنده عن أحمد في تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٨ ح٨٧١٢، وابن البطريق في العمدة: ٩٢ ح١١٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٥: ٢١٢ كما روى نحو البزار في البحر الزخّار ١٠: ٢٣٣ ح٤٣٢٧، والطّبراني في المعجم الكبير ٥: ٢٠٢ ح٥٠٩٢ .

وفي لفظ آخر عند أحمد بن حنبل هكذا: إنّ رسول الله ﷺ قال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. قال ميمون: فحدّثني بعض القوم عن زيد أنّ رسول الله ﷺ قال: اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

انظر: مسند أحمد ٣٢: ٧٥ ح١٩٣٢٨، وعنه في تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٨ ح٨٧١٠ و٨٧١١، ونحوه الشريعة للآجري ٣: ٢١٧ ح١٥٧٨، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٦٦ ح٦٦، وسنن النسائي ٥: ١٣١ ح٨٤٦٩، والمناقب للكوفي ٢: ٣٩٦ ح٨٧٣ .

١٤ ـ أمّا رواية نُفيع بن الحارث فقد رواها عماد الدين الطبري بسنده عن أبي داود نُفيع قال: قلت لابن عمر: ألا أحدّثك بحديث حدّثنيه زيد بن أرقم؟ قال: بلى، قلت: أخبرني زيد أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي

مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. قال [ابن عمرو:] أنا رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد علي حتى رأيت بياض إبطيهما، ورسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: قلت: أسمع ذلك أبو بكر وعمر؟ قال: إي والله لقد سمعا.

راجع: بشارة المصطفى: ٢٨٥ ح٥.

١٥ ـ أمّا رواية يحي بن جعدة فقد رواها ابن أبي عاصم بسنده عنه عن زيد عن النبي ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: السنة: ٥٩١ ح١٣٦٤، والكامل لابن عدي ٦: ٨٢ رقم ١٦١٥، والمناقب للكوفي ٢: ٣٨١ ح٨٥٥، وفوائد أبي بكر البزار ١: ١٥٧ ح١١٨، وتاريخ دمشق ٤٢: ٢١٧ ح٨٧٠٨.

أمّا عند الطبراني ففيه تفصيل أكثر حيث روى بسنده عن يحى عن زيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى غدير خم أمر بدوح فكُسح في يوم ما أتى علينا يوم كان أشدّ حرّاً منه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيّها الناس إنّه لم يُبعث نبيّ قط إلاّ عاش نصف ما عاش الذي كان قبله، وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم ما لن تضلّوا بعده: كتاب الله. ثم قام وأخذ بيد عليّ فقال: يا أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: المعجم الكبير ٥: ١٧١ ح٤٩٨٦، والمناقب للكوفي ٢: ٤٤٠ ح٩٢٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢١٢، والمستدرك للحاكم ٣: ٥٣٣، والمحيط بأصول الإمامة لأبي الحسن الديلمي الزيدي: ١٧٥، وشرح الأخبار للقاضي النعمان ٢: ٩٩ ح٢١ .

١٦ ـ أمّا رواية يزيد بن حيّان فقد رواها أصحاب السنن والمسانيد، وهي المتضمّنة على رواية حديث الثقلين بلفظ: «أذكركم الله في أهل بيتي» قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في غدير خم، ولم يرد ذكر لحديث الغدير إطلاقاً.

١٧ ـ أمّا رواية يزيد بن شريك، فقد رواها أسلم بن سهل الواسطي بسنده عن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت وليّه فعليّ وليّه.

راجع: تاريخ واسط: ١٧١.

١٨ ـ أمّا رواية أبي عبد الله الشيباني فقد رواها ابن عساكر بسنده عن أبي يعلى الموصلي عن أبي عبد الله الشامي [ أو الشيباني ] قال: بينا أنا جالس عند زيد بن أرقم وهو جالس في مجلس بني الأرقم، فجاءه رجل من مراد على بغلة فقال: في القوم زيد؟ فقال القوم: نعم هذا زيد، فقال: أنشدك الله الذي لا إله إلاّ هو هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟ قال: نعم.

راجع: تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٦ ح٨٧٠٣، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٣٩، رقم ٦٨١، وجامع المسانيد لابن كثير ٤: ٥٢٤ ح٢٩٧٣، والمعجم الكبير ٥: ١٩٣ ح٥٠٦٥.

١٩ ـ أمّا رواية أبي عبد الله الغَنَوي، فقد رواها الحسن بن رشيق المصري بسنده عنه عن زيد قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

رواه الخلعي في فوائده: ١٣٤ عن الحسن بن رشيق .

٢٠ ـ أمّا رواية أبي ليلى الحضرمي، فقد رواها ابن أبي عاصم عنه عن زيد قال:

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

راجع: السنة: ٥٩٢ ح١٣٦٩، والمعجم الكبير للطبراني ٥: ١٩٥ ح٥٠٦٨، وأطراف الغرائب والأفراد للمقدسي ١: ٣٩٤ ح٢١٣١ .

٢١ ـ أمّا رواية أبي ليلى الكندي فقد رواها أحمد بن جعفر القطيعي بسنده عنه أنّه قال: سمعت زيد بن أرقم يقول ونحن ننتظر جنازة، فسأله رجل من القوم فقال: أبا عامر أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم لعليّ: من كنت مولاه فعليّ مولاه؟ قال: نعم، قال أبو ليلى: فقلت لزيد بن أرقم: قالها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قد قالها له أربع مرّات، فقال: نعم.

راجع: فضائل الصحابة ٢: ٦١٣ ح١٠٤٨ .

٢٢ ـ أمّا رواية ابن امرأة زيد بن أرقم فقد رواها السرقسطي، وهي المتضمّنة حديثاً طويلاً قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عقيب حديث الثقلين بعد ما أخذ بيد عليّ عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: الدلائل ١: ١٥٢ رقم ٧٣ ـ ٧٤، والمجازات النبوية للشريف الرضي: ٢١٢ ح١٧٦، والمناقب لابن المغازلي: ١٦ ح٢٣، والعمدة لابن البطريق: ١٠٤ ح١٤٠ .

### ٤٣ ـ زيد بن ثابت بن الضحّاك، أبو سعيد الأنصاري :

فقد روى ابن عقدة بسنده عن أبي صالح عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه [ وعاد من عاداه ] .

راجع: حديث الولاية: ٦٩ ح٤٧، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٣٩ رقم٦٨١، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ١٠٠ ح١٢٢ .

### ٤٤ ـ زيد بن حارثة بن شراحيل، أبو أسامة الكلبي :

فقد روى عنه ابن عقدة بسنده عن أبي الطفيل عن زيد بن حارثة قال: تناول رسول الله صلى الله عليه وآله يد عليّ بن أبي طالب وقال: «من كنت مولاه» الحديث.

راجع: حديث الولاية: ٧٠ ح٤٨، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤٢ رقم ٦٨١.

### ٤٥ ـ زيد أو يزيد بن شراحيل الأنصاري:

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة ضمن من روى حديث الغدير .

### ٤٦ ـ زيد بن صوحان بن حُجر، أبو سلمان العبدي الكوفي(٦٤):

روى الكشي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ زيد بن صوحان لما أصيب يوم الجمل جاءه عليّ عليه السلام ، وجلس عند رأسه وترحّم عليه، إلى أن قال زيد: والله ما قاتلت معك على جهالة، ولكنّي سمعت أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله.

راجع: إختيار معرفة الرجال ١: ٢٨٤ ح١١٩، والاختصاص: ٧٩، عنه البحار ٣٢: ١٨٨ ح١٣٩، وتأويل الآيات الظاهرة للاسترآبادي ٢: ٥٥٣ ح٥ .

### ٤٧ ـ زيد بن عبد الله :

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة ضمن من روى حديث الغدير .

### ٤٨ ـ سعد بن جنادة العوفي الأنصاري:

روى حديثه ابن عقدة، أُنظر: حديث الولاية: ٧١ ح٤٩ وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤٣ رقم ٦٨١.

### ٤٩ ـ سعد بن أبي وقاص مالك بن أُهيب، أبو إسحاق القرشي الزهري:

يروي عنه :

١ ـ أيمن القرشي .

٢ ـ الحارث بن مالك أو الحارث بن ثعلبة .

٣ ـ خَيْثمة بن عبد الرحمن الكوفي .

٤ ـ ربيعة بن عمرو الجُرشي .

٥ ـ سعيد بن المسيب المدني .

٦ ـ سُليم بن قيس الهلالي .

٧ ـ عائشة بنت سعد بن أبي وقّاص .

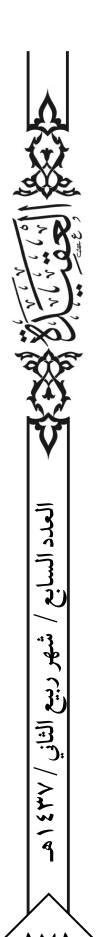
٨ ـ عامر بن سعد بن أبي وقّاص .

٩ ـ عبد الرحمن بن سابط المكي .

١٠ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري .

١١ ـ عبد الله بن عباس .

١٢ ـ مصعب بن سعد بن أبي وقّاص .



١٣ ـ أبو بكر بن خالد القضاعي .

١٤ ـ ومِنْ غيرهم .

١ ـ أمّا رواية عائشة بنت سعد فقد رواها ابن أبي عاصم بسنده عنها عن أبيها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيد عليّ، فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّي وليكم. قالوا: صدقت يا رسول الله، وأخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا وليّي والمؤدّي عنّي .

راجع: السنة: ٥٥١ ح١١٨٩، نحوه البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢١٢ عن الطبري وفيه تكملة: «إنّ الله موالٍ من والاه، ومعادٍ من عاداه»، ونحوه في السنن الكبرى للنسائي ٥: ١٠٧ ح٨٣٩٧.

وفي لفظ النسائي: ألستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، وإنّ الله يوالي من والاه، ويعادي من عاداه.

راجع: السنن الكبرى ٥: ١٣٤ ح٨٤٨٠، وفي شرح مشكل الآثار ٥: ٢١ ح١٧٦٨، ونحوه باختلاف البحر الزخّار للبزار ٤: ٤١ ح١٢٠٣.

وفي لفظ آخر عند النسائي بسنده عنها عن أبيها قال: كنّا مع رسول الله ﷺ بطريق مكة وهو متوجّه إليها[٦٥]، فلمّا بلغ غدير خم وقف الناس ثم ردّ من مضى ولحقه من تخلّف، فلمّا اجتمع الناس إليه قال: أيّها الناس هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللّهُمَّ اشهد ـ ثلاث مرّات يقولها ـ ثم قال: أيّها الناس من وليّكم؟ قالوا: الله ورسوله ـ ثلاثاً ـ ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال: من كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: السنن الكبرى ٥: ١٣٥ ح٨٤٨١، وشرح مشكل الآثار للطحاوي ٩: ١٨١ ح٦٤٩١، والأحاديث المختارة لضياء المقدسي ٣: ٢١٣ ح١٠١٤، ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ١: ٤٤٤ ح٣٤٤، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٢٣ ح٨٧٢٠، وفرائد السمطين للجويني ١: ٧٠ ح٣٧ .

٢ ـ أمّا رواية عامر بن سعد فقد رواها النسائي بسنده عنه وعن عائشة أخته بلفظ: هذا وليّي والمؤدّي عنّي ،وال الله من والاه، وعاد من عاداه.

راجع: السنن المبرى ٥: ١٣٤ ح٨٤٧٩، والخصائص: ١٣٧ ح٩٤، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٥٧ ـ ٦٠ ح٥٣ ـ ٥٥، والمحيط بأصول الإمامة للديلمي الزيدي: ١٧٧.

وقد رواه ابن كليب الشاشي بسنده عن عامر عن أبيه بلفظ: أما والله إنّي لأعرف علياً وما قال له رسول الله ﷺ، أشهد لقال لعليّ يوم غدير خم ونحن قعود معه، فأخذ بضبعه ثم قام به، ثم قال: أيّها الناس من مولاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ عاد من عاداه، ووال من والاه.

راجع: مسند الشاشي ١: ١٦٥ ح١٠٦، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١١٤ ح٨٤٧٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٣٥٥، وفضائل الخلفاء الراشدين لأبي نُعيم الأصبهاني: ٣٠ ح١٧ .

٣ ـ أمّا رواية مصعب بن سعد نقد رواها الذهبي قائلاً: ويُروى عن الحكم بن عُتبة عن مصعب عن أبيه أنّ النبي ﷺ قال: من كنت مولاه. الحديث. ويُروى عن حصين بن مُخاريق عن أبي حيان التيمي عن مُجمّع بن سمعان التيمي عن مصعب بن سعد، ويُروى عن موسى الجهني عن مصعب نحوه.

راجع: طرق حديث من كنت مولاه: ٦١ ـ ٦٢ ح٥٧ و٥٨ و٦٠ .

٤ ـ أمّا رواية الحارث بن مالك فقد رواها ابن أبي عاصم بسنده عنه عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: السنة: ٥٩٣ ح١٣٧٦.

وفي لفظ آخر عند ابن كليب الشاشي بسنده عن الحارث بن مالك قال: أتيت مكة فلقيت سعد بن أبي وقّاص فقلت له: هل سمعت لعلي منقبة؟ قال: شهدت له أربعاً لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من الدنيا أعمّر فيها مثل عمر نوح... الرابعة: يوم غدير خم قام رسول صلى الله عليه وآله فأبلغ، ثم قال: يا أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ـ ثلاث مرات ـ قالوا: بلى، قال: ادن يا عليّ، فرفع يده ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده حتى نظرت إلى بياض إبطيه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، حتى قالها ثلاث مرات...

راجع: مسند ابن كليب الشاشي ١: ١٢٦ ح٦٣، ونحوه باختلاف بشارة المصطفى لعماد الدين الطبري: ٣١٥ ح٢٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١١٦ ح٨٤٨٣، وكفاية الطالب للكنجي: ٢١٩، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٦٢ ح٦١، والخصال للصدوق: ٣١١ ح٨٧، عنه البحار ٤٠: ٩ ح٢٢ ،الأمالي للمفيد: ٥٥ ح٢، عنه البحار ٤٠: ٣٩ ح٧٥.

٥ ـ أمّا رواية سُليم بن قيس فقد وردت في كتابه حيث قال: لقيت سعد بن أبي وقاص وقلت له: إنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اتقوا فتنة الأُخينس، اتقوا فتنة سعد، فإنّه يدعو إلى خذلان الحق وأهله. فقال سعد: اللّهُمَّ إنّي أعوذ بك أن أبغض علياً أو يُبغضني أو أقاتل علياً أو يقاتلني، أو

أعادي علياً أو يعاديني، إنّ علياً كانت له خصال لم تكن لأحد من الناس مثلها:... وأعظم من ذلك يا أخا بني هلال يوم غدير خم، أخذ رسول الله ﷺ بيده وأنا أنظر إليه رافعاً عضديه فقال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، ليبلّغ الشاهد الغائب.

راجع: كتاب سليم ٢: ٨٨٧ ح٥٥، عنه شاذان بن جبرئيل في الفضائل: ٥٦١ ح٢٤٣ والروضة: ١٣٨ ح١٢٢، والمجلسي في البحار ٤٢: ١٥٥ ح٢٣ .

٦ ـ أمّا رواية خيثمة بن عبد الرحمن فقد رواها الحاكم النيسابوري بسنده عنه قال: سمعت سعد بن مالك وقال له رجل: إنّ علياً يقع فيك أنّك تخلّفت عنه، فقال سعد: والله إنّه لرأي رأيته وأخطأ رأيي، إنّ علي بن أبي طالب أعطي ثلاثاً لأن أكون أعطيت إحداهنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها: لقد قال له رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعد حمد الله والثناء عليه: هل تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين؟ قلنا: نعم، قال: اللّهُمَّ من كنت مولاه فعلي مولاه، وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع المستدرك ٣: ١١٥، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٣٥ رقم ٦٨١، ونحوه تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١١٨ ح٨٤٨٨، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٥٤ ـ ٥٥ ح٥٠ ـ ٥١.

٧ ـ أمّا رواية عبد الرحمن بن سابط فقد رواها ابن أبي شيبة بسنده عنه عن سعد قال: قدم معاوية في بعض حجّاته فأتاه سعد، فذكروا علياً فنال منه معاوية، فغضب سعد فقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول له ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه ...

راجع: المصنّف ١٧: ١٠١ ح٣٢٧٤١، والسنّة لابن أبي عاصم: ٥٩٦ ح١٣٨٧، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي ٣: ٢٠٧ ح١٠٠٨، ونحوه سنن ابن ماجة ١: ٤٥ ح١٢١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١١٦ ح٨٤٨١، والبداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٥٣، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٥٥ ـ ٥٧ ح٥٢، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١٠٨ ح٨٣٩٩ مختصراً، وفوائد الخلعي: ١١٨ .

٨ ـ أمّا رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى فقد رواها أبو نُعيم الأصبهاني بسنده عنه عن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ بن أبي طالب ثلاث خصال: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، وحديث الطير، وحديث غدير خم .

راجع: حلية الأولياء ٤: ٣٥٦ رقم ٢٧٨، عنه المستدرك المختار لابن البطريق: ١٨ .

٩ ـ أمّا رواية ربيعة الجُرشي فقد رواها ابن أبي عاصم بسنده عن ربيعة قال: ذُكر عليّ عند معاوية وعنده سعد بن أبي وقّاص، فقال له سعد: أيُذكر عليّ عندك؟ إنّ له لمناقب أربع لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من كذا وكذا ـ ذكر حُمر النعم ـ: قوله: لأعطينّ الراية، وقوله: بمنزلة هارون من موسى، وقوله: من كنت مولاه، ونسي سفيان الرابعة .

راجع: السنة: ٥٩٦ ح١٣٨٦، والأحاديث المختارة للمقدسي ٣: ١٥١ ح٩٤٨، والعمدة لابن البطريق: ٩٧ ح١٢٨، والخصال للصدوق: ٢١٠ ح٣٤، عنه البحار ٤٠: ٩ ح٢٠ .

١٠ ـ أمّا رواية أيمن القرشي فقد رواها النسائي بسنده عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أنّ سعداً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

راجع: السنن الكبرى ٥: ١٣١ ح٨٤٦٨، ونحوه السنة لابن أبي عاصم: ٥٩١ ح١٣٥٩، والأحاديث المختارة لضياء المقدسي ٣: ١٣٩ ح٩٣٧ .

وفي رواية الذهبي بسنده عن النسائي إلى سعد قال: قدم معاوية مكة فدخل عليه سعد، فأجلسه معه على السرير، ثم قال لأهل الشام: هذا صديق لعلي؟ فقالوا: من عليّ؟ فبكى سعد، فقال: ما يبكيك؟ قال:تذكر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين ولا أقدر أن أغيّر، وقد سمعت رسول الله ﷺ [ حين أراد المسير ] إلى تبوك أو غيره وخلفه عليّ... وكان عليّ في غُزاة فأتى بريدة فقال: يا رسول الله إنّ علياً فعل كذا وكذا، فقال: يا بريدة أحق ما تقول أم من موجدة؟ قال: من موجدة، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: طرق حديث من كنت مولاه: ٦٠ ـ ٦١ ح٥٦ .

١١ ـ أما رواية عبد الله بن عباس فقد رواها الشيخ الطوسي بسنده بنحو ما مرّ آنفاً، وفيه شكوى رجل عن عليّ (عليه السلام) لمّا كان معه في اليمن، فأجابه النبي ﷺ: ألا تعلم أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: أمالي الطوسي: ٥٩٨ ح١٢٤٣، عنه البحار ٣٣: ٢١٧ ح٥٠٧، ونحوه الرسالة الموضحة: ١١ .

١٢ ـ أمّا رواية أبي بكر بن خالد فقد رواها الضياء المقدسي بسنده إلى ابن أبي عاصم عن أبي بكر بن خالد قال: أتيت سعد بن مالك بالمدينة فقال: إنّكم تسبّون علياً؟ قال: قلت: قد فعلنا، قال: لعلّك سببته؟ فقلت: معاذ الله، قال: فلا تسبّه فلو وضع المنشار على مفرق رأسي ما سببته أبداً بعدما سمعت رسول الله ﷺ ما سمعت: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: الأحاديث المختارة ٣: ٢٧٣ ح١٠٧٨، ونحوه بدون ذكر الحديث: المصنّف لابن أبي شيبة ١٧: ٦٣١ ح٣٢٧٨٥، والسنة لابن أبي عاصم: ٥٩٠ ح١٣٥٢، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١٣٣ ح٨٤٧٧، وتلخيص المتشابه للخطيب ١: ٣٣٧ رقم ٤٥١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٤١٢، ومسند أبي يعلى الموصلي ٢: ٧٤ ح٧٧٧.

١٣ ـ أمّا رواية سعيد بن المسيّب فقد رواها ابن عقدة بسنده عنه قال: قلت لسعد بن أبي وقّاص: إنّي أريد أن أسألك عن شيء وإنّي أتّقيك، قال: سل عمّا بدا لك فإنّما أنا عمّك، قال: قلت: مقام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم؟ قال: نعم قام فينا بالظهيرة، فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

راجع: حديث الولاية: ٧٦ ح٥٤، عنه زين الفتى للعاصمي ٢: ٢٦٣ ح٤٧٢، وكفاية الطالب للكنجي: ١٢، والإجازة الكبيرة للعلاّمة الحلّي لبني زهرة، كما في البحار ١٠٤: ١١٦، وطرق حديث من كنت مولاه: ١٢ ح١، وقدح في رواته، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٣٥ رقم ٦٨١ .

١٤ ـ وأخيراً روى البلاذري بسنده عن هشام بن السائب الكلبي عن عوانة عن أبيه قال: قال سعد بن أبي وقّاص لمعاوية في كلام جرى: قاتلت علياً وقد علمت أنّه أحقّ بالأمر منك. فقال معاوية: ولم ذاك؟ قال: لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» ولفضله في نفسه وسابقته. قال: فما كنت قطّ أصغر في عيني منك الآن، قال سعد: ولم؟ قال: لتركك نصرته وقعودك عنه، وقد علمت هذا من أمره.

راجع: أنساب الأشراف ٥: ٨٧ .

### ٥٠ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري :

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة ضمن من روى حديث الغدير .

### ٥١ ـ سلمان الفارسي أبو عبد الله:

يروي عنه :

١ ـ عبد الله بن عباس .

٢ ـ أبو عقيل.

٣ ـ المسعودي يرفعه إلى سلمان .

٤ ـ زاذان.

١ ـ أمّا رواية ابن عباس فقد رواها محمد بن سليمان الكوفي بسنده عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤١٣ ح٨٩٥ .

٢ ـ أمّا رواية أبي عقيل فقد رواها ابن عقدة بسنده، وعنه الذهبي في طرق حديث من كنت مولاه: ٩٦ ح١١٤، وقد ضعّفه، ورواها أيضاً الزيلعي في تخريج الأحاديث ٢: ٢٤١ رقم ٦٨١ .

٣ ـ أمّا رواية المسعودي مرفوعة إلى سلمان فهي ما رواها الشيخ الصدوق بسنده قال: مرّ إبليس لعنه الله بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ فقال: أبو مُرّة، فقالوا: يا أبا مرّة أما تسمع كلامنا؟ فقال: سوءة لكم تسبّون مولاكم عليّ بن أبي طالب؟! فقالوا: من أين

علمت أنّه مولانا؟ فقال: من قول نبيّكم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله ...

راجع علل الشرائع: ١٤٣ ح٩، والأمالي: ٤٢٧ ح٥٦٥، عنه البحار ٣٩: ١٦٢ ح١ .

٤ ـ أمّا رواية زاذان فقد رواها المظفّر بن جعفر بسنده عن سلمان في حكاية الأعرابي الذي لم يتمكّن من حضور حجة الوداع لمرضه، ثمّ أدرك النبي صلى الله عليه وآله بعدها، فسأله أن يعلّمه مناسكه في العام القابل، فأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى دنوّ وفاته وأمره بالرجوع إلى علي عليه السلام، فقال الأعرابي: فإنّ حجيج قومي ممّن شهد ذلك معك، أخبرونا أنّك قمت بعليّ بعد قفولك من الحج، ووقفته بالشجرات من خم، افترضت على المسلمين أكتعين محبّته وطاعته، وأوجبت عليهم جميعاً ولايته، وقد أكثروا علينا في ذلك، فنبّئنا يا نبيّ الله أذلك فريضة علينا من الأرض لما أدّته الرحم والصهر لعليّ منك، أم افترضه وأوجبه من السماء؟ قال: بل الله افترض ولايته على أهل السماوات وأهل الأرض جميعاً، قال: فإنّي راض ومسلّم لله ورسوله...

راجع: الرسالة الموضحة: ٣٤، ونحوهخ مختصراً تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٨٦٩ ح٧، عنه البحار ٤٠: ٥٤ ح٨٩، وانظر أيضاً الدر النظيم لابن أبي حاتم الشامي: ٣٢١، وشرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ٢٢١ ح٢٠٧ .

### ٥٢ ـ سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع [سلمة بن الأكوع] أبو مسلم الأسلمي:

روي حديثه ابن عقدة، ورواه عنه الزيلعي في تخريج الأحاديث ٢: ٢٣٩ رقم٦٨١ .

**٥٣ ـ سمرة بن جُندب بن هلال، أبو سعيد الفزادي:**

يروي عنه:

١ ـ الحسن البصري.

٢ ـ ابنه مطرّف بن سمرة بن جندب.

١ ـ أمّا رواية الحسن البصري فقد رواها أبو الفضل ابن القيسراني المقدسي بسنده عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: من كنت وليّه فعليّ وليّه .

راجع: أطراف الغرائب والأفراد ١: ٤٠٢ ح٢١٨٤ .

٢ ـ أمّا رواية ابنه فقد رواها ابن عساكر بسنده عن ابن عقدة عن مطرّف عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: تاريخ دمشق ٤٢: ٢٣٠ ح٨٧٣٢، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٣٩ رقم ٦٨١ .

**٥٤ ـ سهل بن حنيف بن واهب، أبو ثابت الأوسي الأنصاري:**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**٥٥ـ سهل بن سعد بن مالك، أبوالعباس الساعدي الخزرجي الأنصاري:**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**٥٦ ـ الصدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي:**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**٥٧ ـ ضُميرة السُّلمي:**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**٥٨ ـ طلحة بن عبيد الله بن عثمان، أبو محمد القرشي التيمي:**

روى العاصمي بسنده عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: زين الفتى ٢: ٢٦٣ ح٤٧٣، وفي تاريخ دمشق لا بن عساكر ٤٢: ٢٢٣ ح٨٧٢١ بلفظ: «عليّ مولى من كنت مولاه».

**٥٩ ـ عامر بن عُمير النُميري العامري الأنصاري :**

روى عنه ابن عقدة حديث الغدير، كما في تخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤٣ رقم ٦٨١، والإصابة لابن حجر العسقلاني ٣: ٥٩٢ رقم ٤٤١٤، وأسد الغابة لابن الأثير ٣: ١٣٣ رقم ٢٧٢٠.

**٦٠ ـ عامر بن ليلى بن ضَمرة الغِفاري الضَّمري:**

روى حديثه ابن عقدة بسنده عنه وعن حذيفة بن أسيد قالا: لمّا صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع ـ ولم يحجّ غيرها ـ أقبل حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرات بالبطحاء متقاربات لا ينزلوا تحتهنّ، حتى إذا نزل القوم وأخذوا منازلهم سواهنّ أرسل إليهنّ فقُمّ ما تحتهنّ وشذّبن عن رؤوس القوم، حتى إذا نودي للصلاة غدا إليهنّ فصلّى تحتهنّ، ثم انصرف إلى الناس وذلك يوم غدير خم، وخم من الجحفة وله بها مسجد معروف، فقال: أيّها الناس إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لن يعمّر نبيّ إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله، وإنّي لأظنّ أن أُدعى فأُجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلّغت فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلّغت

وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً. قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّ جنّته حقّ، وأنّ ناره حقّ، والبعث بعد الموت حقّ) قالوا: بلى نشهد، فقال: اللّهُمَّ أشهد، ثم قال: أيّها الناس ألا تسمعون؟ ألا فإنّ الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا ومن كنت مولاه فهذا مولاه. وأخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون، ثم قال: اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه...

رواه عن ابن عقدة الزيلعي في تخريج الأحاديث ٢: ٢٤٣ رقم ٦٨١، وابن الأثير في أُسد الغابة ٣ :١٣٦ رقم ٢٧٢٩ و٢٧٣٠، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغُرف ١: ٣٥٣ ح٧٧، والسمهودي في جواهر العقدين ٢: ٨٣، كما أشار إليه ابن كثير في جامع المسانيد ٧: ٤٦ ح٤٧٧٢، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ٣ :٥٩٧ رقم ٤٤٢٤ و٤٤٢٥.

**٦١ ـ عامر بن واثلة بن عبد الله، أبو الطفيل الكناني الليثي:**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**٦٢ ـ العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الفضل القرشي الهاشمي :**

روى حديثه الزيلعي عن ابن عقدة بسنده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

راجع: تخريج الأحاديث ٢: ٢٣٨ رقم ٦٨١، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٦٣ ح٦٣ وقد ضعّفه .

**٦٣ ـ عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة الدوسي:**

روى روايته الخطيب البغدادي بسنده عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة

قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كُتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: ألست وليّ المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

راجع: تاريخ بغداد ٩: ٢٢٢ رقم ٤٣٤٥، وعن الخطيب في تاريخ دمشق ٤٢: ٢٣٢.

ونحوه أو قريب منه عند عماد الدين الطبري في بشارة المصطفى: ١٥٧ ح١١٩، عنه البحار ٩٥: ٣٢١ ح٤، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن طريق ابن شاهين ١: ٢٠٠ ح٢١٠، والخوارزمي في المناقب: ١٥٦ ح١٨٤ عن طريق الحاكم النيسابوري، ولذلك الجويني في فرائد السمطين ١: ٧٧ ح٤٤. كما رواه الشيخ الصدوق في الأمالي: ٥ ح٢، عنه البحار ٣٧: ١٠٨ ح١، والعاصمي في زين الفتى ٢: ٢٦٥ ح٤٧٤، والشجري في الأمالي الخميسيّة ١: ٤٢، وابن المغازلي في المناقب: ١٨ ح٢٤، وابن البطريق في العمدة: ١٠٦ ح١٤١ عن ابن المغازلي، كما روي عنه بأسانيد مختلفة بلفظ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

راجع: المصنّف لابن أبي شيبة ١٧: ١١١ ح٣٢٧٥٥، مسند أبي يعلى الموصلي ١١: ٣٠٧ ح٦٤٢٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٣٢ ح٨٧٢٣، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢١٣، البحر الزخّار للبزار ١٧: ١٠٢ ح٩٦٥٩، المناقب للكوفي ٢: ٣٩٤ ح٨٧٠، الأمالي الخميسية للشجري ١: ١٤٦، الغارات للثقفي ٢: ٦٥٦، المعجم الأوسط للطبراني ٢: ٦٨ ح١١١٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٠٥ .

**٦٤ ـ عبد الرحمن بن عبد الرب الأنصاري :**

أورده ابن كثير عن ابن عقدة ضمن الذين شهدوا لأمير المؤمنين عليه السلام بسماع حديث الغدير، يوم ناشدهم في الرحبة.

راجع: جامع المسانيد والسنن ٨: ٣٥١ ح٦٠٤٠ .

**٦٥ ـ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، أبو محمد القرشي الزهري :**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**٦٦ ـ عبد الرحمن بن مُدلج :**

أورده ابن كثير عن ابن عقدة فيمن كتم الشهادة حين المناشدة فأصابته آفة .

راجع: جامع المسانيد ٨: ٤٤٦ ح٦١٨٣ .

**٦٧ ـ عبد الرحمن بن يعمر بن عوف الديلي :**

روى حديثه الزيلعي نقلاً عن ابن عقدة .

راجع: تخريج الأحاديث ٢: ٢٤٢ رقم ٦٨١ .

**٦٨ ـ عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي :**

كان فيمن شهد لأمير المؤمنين عليه السلام بسماع الحديث يوم مناشدة الرحبة .

**٦٩ ـ عبد الله بن بُسر بن أبي بُسر، أبو صفوان المازني :**

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

### ٧٠ ـ عبد الله بن ثابت بن الفاكه الخَطْمي الأنصاري:

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

### ٧١ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

يروي عنه:

١ ـ ابنه إسماعيل بن عبد الله بن جعفر.

٢ ـ سُليم بن قيس.

١ ـ أمّا رواية ابنه إسماعيل فقد رواها الزيلعي بسنده عن ابن عقدة عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه...

راجع: تخريج الأحاديث ٢: ٢٣٩ رقم ٦٨١.

٢ ـ أمّا رواية سليم فقد رواها في كتابه قال: حدّثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: كنت عند معاوية... قلت:... يا معاوية إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وهو على المنبر وأنا بين يديه، وعمر بن أبي سلمة، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقّاص، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد، والزبير بن العوام وهو يقول: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: أليس أزواجي أمّهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ـ وضرب بيديه على منكب علي عليه السلام ـ اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، أيّها الناس أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معي أمر، وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر ...

راجع: كتاب سليم: ٨٣٤ ح٤٢، عنه البحار ٣٣: ٢٦٥ ح٥٣٤، وانظر :الدر النظيم:٤٩٦، والاحتجاج٢: ٥٦ ح١٥٥، وذكر مقطعاً منه الكليني في الكافي١: ٥٢٩ ح٤، والنعماني في الغيبة: ٩٥ ح٢٧، والطوسي في الغيبة: ١٣٧ ح١٠١، وعلي بن الحسين بن بابويه في الإمامة والتبصرة: ١١٠ ح٩٧، والشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٨ ح٨، وغيرها.

**٧٢ ـ عبد الله بن ربيعة:**

عدّه الخوارزمي فيمن روى حديث الغدير .

راجع: مقتل الحسين عليه السلام ١: ٨١ ح٣٥ .

**٧٣ ـ عبدالله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس القرشي الهاشمي:**

يروي عنه :

١ ـ الإمام الباقر عليه السلام .

٢ ـ باذام أبو صالح الكلبي .

٣ ـ سعيد بن جبير الأسدي .

٤ ـ طارق بن شهاب البجلي .

٥ ـ عباية بن ربعي الكوفي .

٦ ـ عبد الله بن جعفر الهاشمي .

٧ ـ عطاء بن أبي رَباح المكي .

٨ ـ علي بن عبد الله بن عباس المدني .

٩ ـ عمرو بن ميمون الأودي .

١٠ ـ ميمون الكندي .

١١ ـ يحيى بن مُنقذ الشامي .

١٢ ـ وغيرهم .

١ ـ أمّا رواية الإمام الباقر عليه السلام فقد رواها ابن عقدة بسنده قال: عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس قال: نظر عليّ في وجوه الناس فقال: إنّي لأخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره، ولقد علمتم أنّي أوّلكم إسلاماً، ولقد رأيتم يوم غدير خم ووقفته معي ورفعه بيدي .

راجع: حديث الولاية: ١٠٧ ح٩٤، عنه طرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٢٣ ح١٢ وضعّفه بأنّ الإمام الباقر عليه السلام لم يلق ابن عباس، ولكن كلامه هذا غير صحيح لأنّ الإمام الباقر عليه السلام أدرك ابن عباس اثني عشر عاماً .

ورواه أيضاً ابن المغازلي في المناقب: ١١١ ح١٥٤ والإربلي في كشف الغمة ١: ١٥٤، والخزاعي في الأربعين: ٦١ ح٢٠ .

٢ ـ أمّا رواية عمرو بن ميمون فقد رواها أحمد بن حنبل بسنده عنه قال: إنّي لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن تخلونا يا هؤلاء قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم. قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدؤوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا: قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر:... وقال: من كنت مولاه فإنّ مولاه علي ...

راجع: مسند أحمد ٥: ١٧٨ ح٣٠٦١ و٣٠٦٢، وفضائل الصحابة ٢: ٦٨٢ ح١١٦٨، عنه مجمع الزوائد للهيثمي٩: ١١٩، ورواه بطريق أحمد الحاكم النيسابوري في المستدرك ٣: ١٣٢ وصحّحه وتابعه الذهبي على تصحيحه، والخوارزمي في المناقب:

١٢٥ ح١٤٠. والجويني في فرائد السمطين ١: ٣٢٧ ح٢٥٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ١٠١، والكنجي في كفاية الطالب: ١٧٩، والمقدسي في الأحاديث المختارة ١٣: ٢٦ ح٣٢، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٢ ح٨٤٠٩، والقاضي النعمان في شرح الأخبار ٢: ٢٩٩ ح٦١٨، والآجري في الشريعة ٣: ١٩٣ ح١٥٤٦، وفي ٣: ٢٢٠ ح١٥٨٥ بلفظ: «من كنت وليّه فعليّ وليّه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه»، وفرات الكوفي في تفسيره: ٤٢٠ ح٥٥٨، والطبراني في المعجم الكبير ١٢: ٧٧ ح١٢٥٩٣، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٥٥ .

٣ ـ أمّا رواية طارق بن شهاب فقد رواها أبو علي الصفار بسنده بنحو ما مرّ .

راجع: الأربعون في فضائل أمير المؤمنين [ أمالي الصفّار ]: ٨٧ ح٣٧، وتوضيح الدلائل للإيجي الشافعي: ٣٢٤ ح٩١٢ .

٤ ـ أمّا رواية عباية بن ربعي فقد رواها الشيخ الصدوق بسنده في حديث طويل إلى أن قال: ثم أخذ صلى الله عليه وآله بيدي علي بن أبي طالب فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما ولم يُرَ قبل ذلك، ثم قال: أيّها الناس إنّ الله تبارك وتعالى مولاي، وأنا مولى المؤمنين، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...

راجع: الأمالي: ٤٣٥ ح٥٧٦، عنه الاسترآبادي في تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٥٧ ح١٧، والمجلسي في البحار ٣٧: ١٠٩ ح٣، ونحوه في شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٢٥٦ ح٢٥٠ .

٥ ـ أمّا رواية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عنه فقد رواها سُليم في كتابه

قال: حدّثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: كنت عند معاوية ومعنا الحسن والحسين، وعنده عبد الله بن العباس والفضل بن العباس [ إلى أن قال: ] فأقبل ابن عباس على معاوية فقال:... ونبيّنا صلى الله عليه وآله قد نصب لأمّته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم وفي غير موطن، واحتجّ عليهم به وأمرهم بطاعته، وأخبرهم أنّه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّه ولي كلّ مؤمن بعده، وأنّ كل من كان هو وليّه فعليّ وليّه، ومن كان هو أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه ...

راجع: كتاب سليم: ٨٤٢ ح٤٢، عنه الاحتجاج للطبرسي ٢: ٦٠ ح١٥٥، والبحار ٣٣: ٢٦٩ ح٥٣٤، والدرّ النظيم: ٤٩٨.

٦ ـ أما رواية أبي صالح باذام الكلبي فقد رواها الحاكم الحسكاني بسنده عنه قال: وقوله: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ نزلت في عليّ، أمر رسول الله أن يبلّغ فيه، فأخذ بيد عليّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه ...

راجع: شواهد التنزيل ١: ٢٣٩ ح٢٤٠، وتفسير الثعلبي ٤: ٩٢، والعمدة لابن البطريق: ١٠٠ ح١٣٤، والأمالي الخميسيّة للشجري ١: ١٤٥ ح٦، وبشارة المصطفى لعماد الدين الطبري: ٣٧٢ ح١٣، كما أشار إليها العياشي في تفسيره ١: ٣٣١ ح١٥٢ عنه البحار ٣٧: ١٣٩ ح٣١ .

٧ ـ أمّا رواية سعيد بن جبير فقد رواها ابن عساكر بسنده عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ بن أبي طالب مولى من كنت مولاه.

راجع: تاريخ دمشق ٤٢: ٢٢٩ ح٨٧٢٩، والجامع الصغير للسيوطي: ٣٤٦ ح٥٥٩٨، وصحيح الجامع الصغير للألباني ٢: ٧٥٣ ح٤٠٨٩ وصحّحه، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٨٤ ح٩١ وقال:حديث منكر .

٨ ـ أمّا رواية عطاء بن أبي رباح فهي ما رواها عماد الدين الطبري بسنده عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، وعليّ وليّ من كنت وليّه .

راجع: بشارة المصطفى: ٢٣٥ ح١٠، عنه المجلسي في البحار ٣٧: ٢٢٢ ح٩٢.

وورد بلفظ: «الله ربي ولا إمارة لي معه، وأنا رسول ربي ولا إمارة معي، وعليّ وليّ من كنت وليّه ولا إمارة معه».

راجع: معاني الأخبار للصدوق ٦٦ ح٤، عنه المجلسي في البحار ٣٧: ٢٢٤ ح٩٩، ورواه أيضاً: الكراجكي في كنز الفوائد: ١٥٤، ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٥١ عن الثعلبي.

٩ ـ أمّا رواية ميمون الكندي فقد رواها ابن عقدة بسنده عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيد عليّ يوم غدير خم وقال: من كنت مولاه...

راجع: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٢: ٢٣٨ رقم ٦٨١ .

١٠ ـ أمّا رواية علي بن عبد الله بن عباس فقد رواها الخطيب البغدادي بسنده عنه قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: تاريخ بغداد ١٢: ٣٤٣ رقم ٦٧٨٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ١٨٨ ح٨٦٤١ .

١١ ـ أمّا رواية يحيى بن منقذ فهي ما رواها الطبري الإمامي الكبير بسنده عنه قال: سمعت ابن عباس يقول: أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإظهار ولاية علي عليه السلام فقال: يا رب، الناس حديث عهد بالجاهليّة، ومتى أفعل قال الناس فعل بابن عمّه كذا وكذا. فلمّا قضى حجه رجع حتى إذا كان بغدير خم أنزل الله جلّ وعزّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ

يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ فنادى الصلاة جامعة، فاجتمعوا فخرج رسول الله ومعه عليّ فقال: يا أيّها الناس ألستم تزعمون أنّي مولى كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأعن من أعانه، وأبغض من أبغضه، وأحبّ من أحبّه ...

راجع: المسترشد: ٤٦٩ ح١٦١، وسعد السعود لابن طاوس: ١٥٢ رقم ٨٠. وكشف الغمة للإربلي ١: ٥٦٧، عنه البحار ٣٧: ١٧٧ ح٦٤ .

١٢ ـ وأخيراً ما رواه ابن طاوس من عدّة طرق بأسانيد متصلة عن عبدالله ابن عباس أنّه قال: لمّا خرج النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فنزل الجحفة أتاه جبرئيل عليه السلام فأمره أن يقوم بعليّ عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله: أيّها الناس ألستم تزعمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه...

راجع الطرائف: ١٢١ ح١٨٤، والإقبال ٢: ٢٤٤، عنه البحار ٣٧: ١٣٠ .

### ٧٤ ـ أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة :

عدّه ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

### ٧٥ ـ عبدالله بن أبي أوفى علقمة بن خالد، أبوإبراهيم الخزاعي الأسلمي:

يروي عنه:

١ ـ عطية بن سعد بن جُنادة الكوفي .

٢ ـ عُمارة بن المُضرّب الكوفي .

٣ ـ عمر بن قيس الماصِر الكوفي .

١ ـ أمّا رواية عطيّة بن سعد فقد رواها ابن المغازلي بسنده عن عطيّة قال: رأيت ابن أبي أوفى وهو في دهليز له بعد ما ذهب بصره، فسألته عن حديث فقال: إنّكم يا أهل الكوفة فيكم ما فيكم، قال: قلت: أصلحك الله إنّي لست منهم، ليس عليك منّي عار، قال: أيّ حديث؟ قال: قلت: حديث عليّ يوم غدير خم. فقال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله في حجته يوم غدير خم وهو آخذ بعضد عليّ فقال: يا أيّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا مولاه.

راجع: المناقب لابن المغازلي: ٢٣ ح٣٤، عنه ابن البطريق في العمدة: ١١٠ ح١٥٤، والسيد ابن طاوس في الطرائف: ١٤٥، والمجلسي في البحار ٣٧: ١٨٥ ح٧٠ .

٢ ـ أمّا رواية عمارة فقد رواها ابن عقدة بسنده، ونقله عنه الزيلعي في تخريج الأحاديث ٢: ٢٤٢ رقم ٦٨١ .

٣ ـ أمّا رواية عمر بن قيس فقد رواها الحاكم الحسكاني بسنده عن عمر بن قيس الماصر قال: سمعت جدّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم، وتلا هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم قال: اللّهُمَّ اشهد .

راجع: شواهد التنزيل ١: ٢٥٢ ح٢٤٧ .

**٧٦ ـ عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو عبدالرحمن العدوي القرشي:**

يروي عنه :

١ ـ الحسن البصري .

٢ ـ ابنه سالم بن عبد الله بن عمر .

٣ ـ مولاه عبد الله بن دينار .

٤ ـ عطيّة بن سعد بن جُنادة .

٥ ـ نُفيع بن الحارث أبو داود السَّبيعي :

١ ـ أمّا رواية الحسن البصري فقد رواها أبو الفضل ابن القيسراني المقدسي بسنده عن الدارقطني عنه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب فقال: من كنت مولاه ...

راجع: أطراف الغرائب والأفراد ١: ٥١٤ ح٢٩٢٦ .

٢ ـ أمّا رواية سالم فقد رواها البخاري بسنده عن جميل بن عامر أنّ سالماً حدّثه سمع من سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول يوم غديرخم: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: التاريخ الكبير ١: ٣٧٥ رقم ١١٩١، وقال: في إسناده نظر، ونحوه السنة لابن أبي عاصم: ٥٩٠ ح١٣٥٧، ورواه الطبري بزيادة: «اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه» انظر: طرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٩١ ح١٠٥ والبداية والنهاية ٥: ٢١٣، والبحر الزخار للبزار ١٢: ٢٨٦ ح٦١٠٣، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٣٩ رقم ٦٨١ .

وروى القاضي النعمان محاورة جرت بين ابن عمر وبعض الخوارج، قال فيها عبد الله بن عمر: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الغدير، فأمر بشجرات هناك فكُسح ما تحتهنّ وسمعته يقول: أيّها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فأجبناه كلّنا: بلى يا رسول الله، فأخذ يده فوضعها على يد علي بن أبي طالب عليه السلام ثم رفعها حتى رأينا بياض إبطيهما، ثم قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللّهُمَّ وال

من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

راجع: شرح الأخبار ١: ١٠٠ ح٢٤ .

٣ ـ أما رواية عبد الله بن دينار فقد رواها ابن القيسراني بسنده عن الدارقطني .

راجع: أطراف الغرائب والأفراد ١: ٥٣٤ ح٣٠٥٦ .

٤ ـ أمّا رواية عطيّة فقد رواها الزيلعي عن الطبراني عن ابن عمر أنّه قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

راجع: تخريج الأحاديث ٢: ٢٣٦ رقم ٦٨١، ومجمع البحرين للهيثمي ٩: ١٠٦، والكامل لابن عَديّ ٥: ٣٣ رقم ١٢٠٤، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٣٦ .

٥ ـ أمّا رواية نُفيع فقد رواها محمد بن أحمد المفجّع البصري بسنده عن أبي داود السبيعي قال: حججت فمررت بالمدينة، فدخلت على عبد الله بن عمر بن الخطاب فقلت: أصلحك الله يا أبا عبد الرحمن إنّي أريد أن أعرض عليك حديثاً سمعته من البراء بن عازب وأنس بن مالك يحدّثان في غدير خم عن رسول الله ﷺ قال: حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فلمّا انصرف مرّ بنا بالجحفة، فلمّا انتهى إلى الغدير أمر بشجرات أو سمرات فقممنا تحتها، ثم نادى بالصلاة جامعة، وكان يوماً شديد الحرّ [ ... ] الظهيرة، ولو أنّ بضعة لحم طُرحت على الأرض لنضجت، ولقد همّ كلّ إنسان منّا مجلسه حتى أخذنا أرديتنا فوضعناها تحتنا، ثم قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: أيّها الناس ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّي محمد رسول الله ؟ فقال القوم: نعم، فقال رسول الله ﷺ: بحق شهدتم؟ ثم قال: أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللّهُمَّ أنت، قال: فإنّ الله تبارك وتعالى

يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾ أأقررتم؟ قالوا: نعم، حتى كرّرها عليهم سبع مرّات، ثم قال: اللّهُمَّ اشهد، ثم قال: قم يا عليّ، فأخذ بيده فرفعها حتى نظرنا إلى بياض إبطيهما، ثم قال: أيّها الناس من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، أأقررتم؟ قالوا: نعم. حتى كرّرها عليهم سبع مرّات، ثم قال: اللّهُمَّ اشهد.

فقلت: يا أبا عبدالرحمن هل شهد أبو بكر وعمر وسمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الكلام؟ قال: إي والله، إي والله، إي والله.

راجع: شرح قصيدة الأشباه: ٢١ .

### ٧٧ ـ عبد الله بن فضالة المزني:

ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة .

راجع: الإصابة لابن حجر العسقلاني ٤: ٢٠٧ رقم ٤٨٨٦ .

### ٧٨ ـ عبد الله بن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن الهذلي:

يروي عنه :

١ ـ شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفي .

٢ ـ النزّال بن سبرة الكوفي .

١ ـ أمّا رواية شقيق فقد رواها ابن عَدي بسنده عنه قال: رأيت النبي أخذ بيد علي وهو يقول: الله وليّي وأنا وليّك، ومعاد من عاداك، ومسالم من سالمك.

راجع: الكامل٣: ٢١٥ رقم ٧١٢، و٦: ٣٦٩ رقم١٨٥١، ونحوه تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٣٨ ح٨٧٤٥، وميزان الاعتدال للذهبي ٤: ١٥٠ رقم ٨٦٧٤، والمعجم

الأوسط للطبراني ٣: ١٠٠ ح٢٢٠٤، والمناقب لابن المغازلي: ٢٧٧ ح٣٢٣، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٨٩ ح١٠١ و١٠٢ .

ورواه الآجري بلفظ: هذا وليّي وأنا وليّه، اللّٰهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، فقد واليت من والاه، وعاديت من عاداه.

راجع: الشريعة ٣: ٢٢٠ ح١٥٨٤ .

٢ ـ أمّا ما رواه النزال بن سبرة فقد ذكره الذهبي بسنده بلفظ: أيّها الناس إنّي أعهد إليكم عهداً فمن خالفة فعليه ما حُمّل: إنّ علياً ابن عمّي... وهو مولى من كنت مولاه .

راجع: طرق حديث من كنت مولاه: ٨٩ ح١٠٣ وضعّفه .

### ٧٩ ـ عبد الله بن يامبيل أو يامين:

روى ابن الاثير الجزري روايته بسنده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

راجع: أسد الغابة ٣: ٤١٢ ح٣٢٤٩، الإصابة لابن حجر العسقلاني ٤: ٢٦٦ رقم ٥٠٣٥، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ١٠١ ح١٢٣ .

### ٨٠ ـ عبيد بن عازب بن الحارث الأنصاري:

عدّه السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

### ٨١ ـ عثمان بن حنيف بن واهب، أبو عمرو الأوسي الأنصاري:

ذكره ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير، راجع الأنوار النعمانية للجزائري ١: ١٢٦.

**٨٢ ـ عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة، أبو عمرو القرشي الأموي:**

عدّه السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**٨٣ ـ عَدي بن حاتم بن عبد الله، أبو طريف الطائي:**

فقد ورد خبره في حديث طويل يذكر حضوره عند معاوية... إلى أن يقول لمعاوية: أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقامه علماً يوم حجّة الوداع، ونادى عليه يوم غدير خم: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره...

انظر: أخبار الوافدين من الرجال: ١٩ ـ ٢٤.

**٨٤ ـ عروة بن أبي الجعد الأزدي البارقي:**

ذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير.

**٨٥ ـ عطيّة بن بُسر المازني:**

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**٨٦ ـ عقبة بن عامر بن عبس، أبو حمّاد الجهني:**

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**٨٧ ـ عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود البدري:**

ذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير.

**٨٨ ـ عمار بن ياسر بن عامر، أبو اليقظان العَنْسي:**

روى نصر بن مزاحم بسنده خبر ما جرى بين عمار وعمرو بن العاص قبل وقعة صفين، حيث قال عمّار له فيما قال: أيّها الأبتر ألست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...

راجع: وقعة صفين: ٣٣٢، عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٨: ١٦ الخطبة: ١٢٤، والمجلسي في البحار ٣٣: ٢٧ ح٣٨٠ .

وروى ابن عقدة أيضاً بسنده عن أبي نوح الحميري أنّه قال: سمعت عمّار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

راجع: تهذيب الكمال للمِزّي ٣٣: ٢٨٣ رقم ٧٣٤٥، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤٠ رقم ٦٨١ .

**٨٩ ـ عمر بن الخطاب بن نُفَيل، أبو حفص القرشي العَدَوي:**

يروي عنه :

١ ـ ابنه عبد الله .

٢ ـ أبو هريرة.

١ ـ أمّا رواية عبد الله فقد رواها الذهبي بسنده عن عبد الله بن عمر قال: حدّثني أبي أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أيّها النّاس ألست أولى بكم من

أنفسكم؟ قالوا: اللّهُمَّ نعم، قال: يا علي قم، فأخذ بيده فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه .

راجع: طرق حديث من كنت مولاه: ١٥ ح٣ .

٢ ـ أمّا رواية أبي هريرة فقد رواها ابن عقدة بسنده عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ١: ٣١٦ رقم ١٦٣، وتاريخ دمشق ٤٢: ٢٣٤ ح٨٧٤٠، والمناقب لابن المغازلي: ٢٢ ح٣١، والعمدة لابن البطريق: ١١٠ ح١٥١، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ١٤ ح٢ .

## ٩٠ ـ عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، أبو حفص القرشي المخزومي :

تقدّمت روايته مع أخيه سلمة بن أبي سلمة .

## ٩١ ـ عمران بن حُصين بن عُبيد، أبو نُجيد الخزاعي :

روى الحر العاملي عن الشيخ الصدوق بسنده عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر أبا بكر وعمر أن يسلّما على عليّ بن أبي طالب بإمرة المؤمنين، فقالا: من الله ورسوله؟ فقال: من الله ورسوله. فقاما فسلّما، ثم أمر جماعة أخرى، ثم قال: إنّكم سألتموني من وليّكم بعدي وقد أخبرتكم، إلى أن قال: فأخذ بيد علي يوم غدير خم وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه .

راجع: إثبات الهداة ٢: ١٧٣ ح٨٠٣ .

كما روي عن عمران في شكاية قوم من علي عليه السلام بلفظ: دعوا عليّاً دعوا عليّاً ـ ثلاثاً ـ فإنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي .

راجع: الأمالي في آثار الصحابة لعبد الرزاق الصنعاني: ٧٩ ح١٠٩، ومسند أحمد ٣٣: ١٥٤ ح١٩٩٢٨، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥ ح٨١٤٦، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١١٠ وصحّحه ووافقه الذهبي .

**٩٢ ـ عمرو بن حُريث بن عمرو، أبو سعيد القرشي المخزومي :**

ذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير .

**٩٣ ـ عمرو بن الحمق بن الكاهن الخزاعي :**

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**٩٤ ـ عمرو بن العاص بن وائل، أبو عبد الله القرشي السَّهمي :**

روى الخوارزمي بسنده كتاب عمرو بن العاص جواباً عن كتاب معاوية لمّا دعاه إلى قتال علي عليه السلام حيث ورد فيه: ويحك يا معاوية أما علمت أنّ أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله... وقد قال فيه يوم غدير خم: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...

راجع: المناقب للخوارزمي: ١٩٩، عنه كشف الغمة للإربلي ١: ٤٥٥، والبحار ٣٣: ٥٢ ح٣٩٥، ونحوه تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ١: ٤٠٤ .

وفي نصّ آخر رواه ابن قتيبة أنّ رجلاً من همدان يقال له: بُرْد قدم على معاوية، فسمع عمراً يقع في عليّ، فقال له: يا عمرو إنّ أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فحقّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله له مناقب مثل مناقب عليّ ففزع

الفتى، فقال عمرو: يا ابن أخي إنّه أفسدها بأمره في عثمان .

راجع: الإمامة والسياسة ١: ١٢٩ .

**٩٥ ـ عمرو بن مُحْصِن، أبو عمرة الأنصاري :**

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**٩٦ ـ قيس بن سعد بن عبادة، أبو عبد الله الخزرجي الأنصاري :**

روى سُليم بن قيس محاورة جرت بين قيس وبين معاوية لما جاء للحج، قال قيس فيما قال من مدحه لأمير المؤمنين عليه السلام : والذي نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم فقال: من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه...

راجع: كتاب سُليم: ٧٧٧ ـ ٧٨١، عنه البحار ٣٣: ١٧٣ ـ ١٧٦ ح٤٥٦.

**٩٧ ـ قيس بن عائذ أبو كاهل الأحمسي البجلي :**

ذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير .

**٩٨ ـ قيس بن عاصم بن سنان، أبو علي التميمي السعدي المنقري:**

ذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير.

**٩٩ ـ كعب بن عُجرة بن أميّة، أبو محمد السالمي الأنصاري:**

روى الشيخ الطوسي بسنده عن عمرو بن ميمون أنّه رأى جماعة من الصحابة فيهم كعب بن عُجرة قالوا في علي عليه السلام : ... وهو صاحب يوم غدير خم، إذ نوّه رسول الله صلى الله عليه وآله باسمه، وألزم أُمّته ولايته، وعرّفهم بخطره، وبيّن لهم مكانه فقال: أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، قال: فمن كنت مولاه

فهذا عليّ مولاه ...

راجع: الأمالي: ٥٥٨ ح١١٧٢، عنه البحار ٤٠: ٦٩ ح١٠٤ .

**١٠٠ ـ مالك بن الحويرث أبو سليمان الليثي:**

روى الآجري بسنده عنه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: الشريعة ٣: ٢١٥ ح١٥٧٤، وتخريج الأحاديث للزيلعي ٢: ٢٤٢ رقم ٦٨١، والمعجم الكبير للطبراني ١٩: ٢٩١ ح٦٤٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٠٦ وقال: رجاله وثقوا، وابن عَديّ في الكامل ٦: ٣٨١ رقم ١٨٦٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٢٣٥ ح٨٧٤١ .

**١٠١ ـ مالك بن التيّهان بن مالك، أبو الهيثم الأنصاري :**

تقدّم عنه أنّ معاوية لما سمع قول النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير اتكأ على المغيرة بن شعبة، أو قام يتمطّى وخرج مغضباً وهو يقول: لا نصدّق محمداً على مقالته...

**١٠٢ ـ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر أبو عيسى الثقفي:**

كسابقه.

**١٠٣ ـ المقداد بن عمرو بن ثعلبة، أبو مَعْبد الكندي البهراني :**

عدّه ابن شهرآشوب في المناقب ٣: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير .

**١٠٤ ـ ناجية بن عمرو الخزاعي :**

كسابقه.

**١٠٥ ـ نضلة بن عُبيدة أبو برزة الأسلمي:**

كسابقه.

**١٠٦ ـ النعمان بن عجلان بن النعمان الزرقي الأنصاري:**

كسابقه.

**١٠٧ ـ هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، أبو عمرو القرشي الزهري المرقال:**

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**١٠٨ ـ هلال بن الحارث، أبو الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وآله:**

روى القاضي النعمان بسنده عن عمر المرادي وقد كان خارجياً، فالتقى بأبي الحمراء وذكر له أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يجمع ناساً من العرب والعجم والقبط والأحباش، ثم قال لهم: أتشهدون أنّي مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: نعم، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...

راجع: شرح الأخبار ١: ١٩٨ ح١٦٣.

**١٠٩ ـ وحشي بن حرب، أبو دَسَمَة الحبشي:**

ذكره السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير.

**١١٠ ـ وهب بن عبد الله بن مسلم، أبو جُحيفة السواني الغامري:**

كسابقه.

**١١١ ـ يسار، أبو ليلى الأنصاري :**

كسابقه .

**١١٢ ـ يعلى بن مُرّة بن وهب، أبو المرازم الثقفي :**

روى عنه ابن عقدة بسنده قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه. فلمّا قدم عليّ الكوفة نشد الناس من سمع ذلك من رسول الله ﷺ ...

راجع: حديث المناشدة .

**١١٣ ـ أبو جُنيدة بن جُندع بن عمرو المازني :**

روى ابن الأثير بسنده عن أبي عُنفوانة المازني قال: سمعت أبا جُنيدة بن جُندع بن عمرو بن مازن قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار .

وسمعته وإلاّ صمّتا يقول وقد انصرف من حجّة الوداع، فلمّا نزل غدير خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيد عليّ وقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه...

راجع: أسد الغابة ١: ٥٧٢ رقم ٨١٢، وجامع المسانيد لابن كثير ٣: ١٦٢ ح١٧٠٩.

**١١٤ ـ أبو زينب بن عوف الأنصاري :**

روى له ابن كثير مرفوعاً: من كنت مولاه فهذا مولاه .

راجع: جامع المسانيد ١٤: ٩٠ ح١١٦٨٩ .



**١١٥ ـ أبو سعيد الخُدري سعد بن مالك بن سنان الأنصاري :**

يروي عنه :

١ ـ سهم بن حُصين الأسدي .

٢ ـ عطيّة بن سعد العَوْفي.

٣ ـ عُمارة بن جُوين أبو هارون العبدي .

١ ـ أمّا رواية عطيّة فقد رواها محمد بن سليمان الكوفي بسنده عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أيّها الناس هل منكم إلاّ وله خاصّة أو خالصة من أهله، ألا من كنت مولاه فعلي مولاه.

راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤٠٨ ح٨٨٩ .

وورد في المناقب لابن المغازلي بسنده عنه بلفظ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه.

راجع: المناقب: ٢٠ ح٢٦ .

٢ ـ أمّا رواية عُمارة بن جوين فقد رواها محمد بن سليمان الكوفي بسنده عنه قال: قال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله .

راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٣٦٥ ح٨٤١ .

٣ ـ أمّا رواية سهم بن حُصين فقد رواها البخاري بسنده عنه قال: قدمت مكة أنا وعبد الله بن علقمة ـ قال ابن شريك: وكان ابن علقمة سبّاباً لعلي ـ فقلت: هل لك في هذا ؟ يعني أبا سعيد الخدري ؟ [ قال: نعم فأتيناه ] فقلت: هل سمعت لعليّ منقبة ؟ قال: نعم. فإذا حدّثتك فسل المهاجرين والأنصار وقريشاً:

قام النبي ﷺ يوم غدير خم فأبلغ فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ ادن يا عليّ، فدنا فرفع يده ورفع النبي ﷺ يده، حتى نظرت إلى بياض إبطيه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه ...

راجع: التاريخ الكبير ٤: ١٩٣ رقم ٢٤٥٨، الأمالي للطوسي: ٢٤٧ ح٤٣٣، عنه البحار ٣٧: ١٢٣ ح١٩، وفي تاريخ دمشق ٤٢: ٢٢٨ .

### ١١٦ ـ أبو فضالة الأنصاري:

ذكره ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ نقلاً عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .



### ١١٧ ـ أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري:

ذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٣٥: ٢٥ فيمن روى حديث الغدير.

### ١١٨ ـ أبو قدامة الأنصاري:

كسابقه .

### ١١٩ ـ أبو ليلى الأنصاري الملقّب بالأيسر:

روى محمد بن عمر الجعابي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال أبي: دفع النبي ﷺ الراية يوم خيبر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ففتح له، وأوقفه يوم غدير خم فأعلم الناس أنّه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة .

راجع: الأمالي للطوسي: ٣٥١ ح٧٢٦، عنه البحار ٢٨: ٤٥ ح٨، وكشف الغمّة ٢: ٥٢ .

**١٢٠ ـ أسماء بنت عميس الخثعميّة:**

ذكرها السيد ابن طاوس في الطرائف: ١٣٩ عن ابن عقدة فيمن روى حديث الغدير .

**١٢١ ـ عائشة بنت أبي بكر :**

كسابقه.

**١٢٢ ـ فاختة بنت أبي طالب أمّ هاني :**

كسابقه .

**١٢٣ ـ فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب :**

كسابقه.

**١٢٤ ـ أمّ سلمة هند القرشية المخزومية :**

روى الزيلعي بسنده عن ابن عقدة عنها سلام الله عليها أنّها قالت: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ يوم غدير خم فرفعها حتى رأينا بياض إبطه، فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، ثم قال: أيّها الناس إنّي مخلّف فيكم الثقلين ...

راجع: تخريج الأحاديث ٢: ٢٤٤ رقم ٦٨١، واستجلاء ارتقاء الغرف للسخاوي ١: ٣٦٣ ح٩٢، وجواهر العقدين للسمهودي ٢: ٨٨، ووسيلة المآل للحضرمي: ٣٢٩ .

## * هوامش البحث *

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٢٤/ المقدمة الرابعة، الخلاف الخامس.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٦٢ إلى أهل مصر.

(٣) م ن، الخطبة رقم ٣ / الشقشقية.

(٤) تم اقتباس هذا الفصل من موسوعة حديث الغدير لفضيلة الشيخ أمير التقدمي، نتمنى له التوفيق في إتمامها لترى النور عاجلاً.

(٥) الخصال: ٥٧٢ ح١، عنه البحار ٣١: ٤٣٢ ح٢، ونحوه المناقب للعلوي: ١٥٠ ح٤٣.

(٦) كشف الغمة ١: ١٥٤، عنه البحار ٣٨: ٢٤٠ ح٤٠، ونحوه المناقب لابن المغازلي: ١١١ ح١٥٤، وطرق حديث من كنت مولاه للذهبي: ٢٣ ح١٢ وضعّفه، والنيسابوري الخزاعي في الأربعين: ٦١، كلٌّ بسنده .

(٧) بشارة المصطفى: ٢٦٢، عنه البحار ٣٧: ١٦٨ ح٤٤ .

(٨) كتاب سليم: ٩٠٣، والاحتجاج ١: ٣٦٨ ح٦٥، عنه البحار ٤٠: ١ ـ ٢ ح٢ .

(٩) مسند أحمد ٢: ٤٣٤ ح١٣١١، فضائل الصحابة ٢: ٧٠٥ ح١٢٠٦، تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٣ ح٨٦٩٤ .

(١٠) الأمالي للهاروني: ح١١، ضمن مجلة علوم الحديث ١٨: ٢٧٤ .

(١١) زين الفتى ١: ٤٩٤ ح٢٩٥ .

(١٢) المناقب: ٢١ ح٢٩ .

(١٣) الأمالي: ٣٤٣ ح٧٠٤، عنه البحار ٣٧: ١٢٦ ح٢٤ .

(١٤) زين الفتى ١: ٤٩٤ ح٢٩٤، وفي ٢: ٢٦١ ح٤٧١ بسند آخر، ومثله تاريخ دمشق ٤٢: ٢١٢ ح٨٦٩٤ .

(١٥) بشارة المصطفى: ١٦٦، عنه البحار ٣٧: ٢٢٢ ح٩١، وانظر: صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ١٧٢ ح١٠٩ .

(١٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٥٩ ح٢٢٧، عنه البحار ٢٣: ١٤٥ ح١٠٣ .

(١٧) المطالب العالية ١٦: ١٤٢ ح٣٩٤٣، ونحوه في البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢١١، والذرية الطاهرة للدولابي: ١٦٨ ح٢٢٨، ومشكل الآثار ٢: ٣٠٧، وتاريخ دمشق ٤٢: ٢١٢ ح٨٦٩٣، مع اختلاف الألفاظ واتحاد السند .

(١٨) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٣٩٨ ح٨٧٥ .

(١٩) الإرشاد للمفيد ١: ٢٦٢، الاحتجاج للطبرسي ١: ٤٠٤ ح٨٨، البحار ٣٤: ١٣٢ ح٩٥٥ .

(٢٠) كشف المحجّة لابن طاوس: ١٧٣: البحار ٣٠: ٧ ـ ٢٦ ح١ .

(٢١) دلائل الإمامة: ١٠٩ ح٣٦ .

(٢٢) الخصال: ١٧٣ ح٢٢٨، البحار ٣٠: ١٢٤ ح٢، ونحوه مكارم الأخلاق: ١٤٢ ح١٥١، ومثالب النواصب لابن شهرآشوب، الورقة: ١٤٢ .

(٢٣) الكفاية في النصوص ١٩٧، والبحار ٣٦: ٣٥٢ ح٢٢٤ .

(٢٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٤ ح٢٧٨، البحار ٣٨: ١١٢ ح٤٩، وتاريخ دمشق ٤٢: ١٨٧ ح٨٦٣٤ .

(٢٥) نزهة الحفّاظ: ٦٤ ح٥٤، وفي أسنى المطالب: ٤٩ .

(٢٦) أمالي الطوسي :٥٦١ ح١١٧٤، عنه البحار ١٠: ١٣٨ ح٥ .

(٢٧) م ن: ٥٥٩ ح ١١٧٣، عنه البحار ٤٤: ٦٢ ح١٢ .

(٢٨) كتاب سليم: ٧٩٣، عنه البحار ٣٣ ـ ١٨٤ ح٤٥٦ .

(٢٩) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٤٢٨ ح٩١٠ .

(٣٠) انظر حديث الولاية: ٦٠ ح٣٢ و٣٣ .

(٣١) الأمالي للصدوق: ١٨٥ ح١٩١، عنه البحار ٣٧: ٢٢٣ ح٩٦ .

(٣٢) تفسير فرات: ٤٩٠ ح٦٣٦، وشواهد التنزيل ٢: ٣٥٢ ح٩٩٦ .

(٣٣) بصائر الدرجات: ٧٧ ح٥، عنه البحار ٣٥: ٣٦٩ ح١٤ .

(٣٤) قرب الإسناد: ٩ ح٣٠، البحار ٣٧: ١٢١ ح١٣ .

(٣٥) الكافي ٢: ٢١ ح٨، عنه البحار ٦٥: ٣٣٢ ح٨ .

(٣٦) معاني الأخبار: ٦٦ ح٢، عنه البحار ٣٧: ٢٢٣ ح٩٧ .

(٣٧) شرح الأخبار ٢: ٢٦٣ ح٥٦٦ .

(٣٨) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢: ٤٠٤ ح٨٨٤ .

(٣٩) م ن ٢: ٣٧٧ ح٨٥٠ .

(٤٠) أمالي الهاروني، ضمن مجلّة علوم الحديث ١٨: ٢٧٨، وانظر الشافي لعبد الله بن حمزة ١: ٥٨، وبشارة المصطفى لعماد الدين الطبري: ٩٢ ح٢٤ .

(٤١) اليقين: ٣٠٣، البحار ٣٧: ٣١٧ ح٤٨ .

(٤٢) انظر بحار الأنوار ٢٨: ٢٥٩ ح٤٢ .

(٤٣) النساء: ١٣٧ .

(٤٤) آل عمران: ٩٠ .

(٤٥) الكافي ١: ٤٢٠ ح٤٢، عنه البحار ٢٣: ٣٧٥ ح٥٧ .

(٤٦) كمال الدين: ٣٣٦ ح٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٤ ح٢٠، البحار ٣٦: ٣٩٦ ح٢ .

(٤٧) تفسير العياشي ١: ٤ ح٣، عنه البحار ٢٣: ١٤١ ح٩٢ .

(٤٨) معاني الأخبار: ٣٥٠ ح١، علل الشرائع: ١٧٣ ح١، البحار ٣٨: ٧٩ ح٢ .

(٤٩) بصائر الدرجات: ٥٣ ح١، عنه البحار ٣٩: ٢٤٨ ح٦٥، ونحوه الأمالي للصدوق: ١٧٣ ح١٧٦ .

(٥٠) الكافي ٤: ١٤٩ ح٣، عنه البحار ٣٧: ١٧٢ ح٥٤ .

(٥١) مصباح المتهجّد: ٧٣٦، ثواب الأعمال: ٩٩، وانظر أيضاً: الكافي ٤: ١٤٨ ح١ وتهذيب الأحكام ٤: ٣٠٥، والخصال: ٢٦٤، والاقبال ٢: ٢٦٣ .

(٥٢) الكافي ٤: ٥٦٧ ح٣، تهذيب الأحكام ٦: ١٨ ح٢٢، البحار ٣٧: ١٧٢ ح٥، وانظر: من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٥٩ ح٣١٤٢ .

(٥٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ١١١ .

(٥٤) تهذيب الأحكام ٤: ٣٠٥ ح٩٢٢، الخرائج والجرائح ٢: ٧٥٩ ح٧٨، البحار ٩٣: ٢٦٦ ح١٣ .

(٥٥) الاحتجاج ٢: ٤٨٧ ح٣٢٨، ونحوه تحف العقول: ٤٥٨ .

(٥٦) كشف الغمة ٤: ٩٥، عنه البحار ٣٧: ٢٢٣ ح٩٥ .

(٥٧) انظر: إقرار الصحابة بفضل إمام الهدى والقرابة لابن المشهدى: ٩٢، واليقين لابن طاوس: ٣٣٥.

(٥٨) الدر النظيم: ٤٤١.

(٥٩) نهج الإيمان: ٥٧٧.

(٦٠) اليقين: ٤٤٨، البحار ٢٨: ٢٢١ ح١٣، ونحوه الاحتجاج ١: ٢٩٧ ح٥٢ .

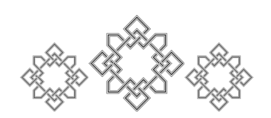
(٦١) الاحتجاج ١: ٢٢٤ ح٤٠، عنه البحار ٢٩: ٩١ ح١، ونحوه تثبيت الإمامة للرسّي: ١٨ .

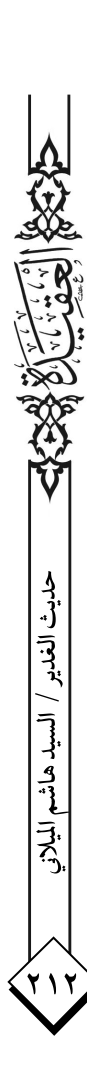
(٦٢) موضّح أوهام الجمع والتفريق ١: ١٩١، الوهم الثالث والستون، وانظر اليقين لابن طاوس: ١٦٨ عن مسعود السجستاني .

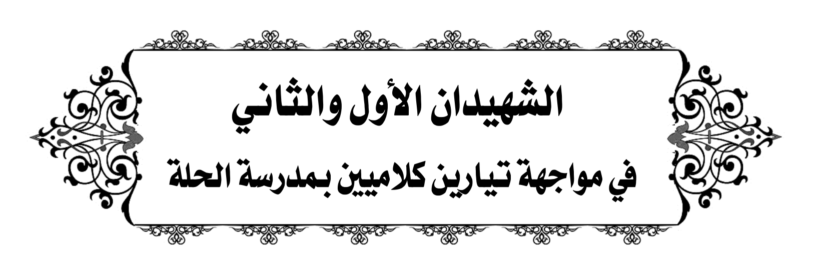
(٦٣) مختلف في صحبته .

(٦٤) اختلفوا في صحبته، والأكثر على أنه صحابي .

(٦٥) هذا وهم من الراوي، إذ إنّ المتفق عليه أنّ حديث الغدير كان في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة بعد حجة الوداع.







# الشهيدان الأول والثاني
## في مواجهة تيارين كلاميين بمدرسة الحلة

أ.م.د. محمد تقـي سبحاني(*)
ترجمة: أسعد مندي الكعبي

**ملخّص المقالة:**

الشائع في الأوساط العلمية أنّ الشهيدين الأوّل والثاني رمزان من رموز علم الفقه، ولكن لم يتمّ تسليط الضوء على سائر توجّهاتهما الفكرية والكلامية بشكلٍ ملحوظٍ.

من الناحية الفقهية فإنّ هذين العلمين تبنّيا آراءً فقهيةً في غاية الانسجام، ولعلّ شهرة الشهيد الثاني على نطاقٍ واسعٍ مدينةٌ لجهوده الكبيرة التي بذلها في شرح وتحليل المسائل الفقهية لسلفه الشهيد الأوّل؛ لكنّ الخلاف الفكري بينهما يكمن في المباحث الكلامية، وبالطبع فلا يتسنّى لنا التعرّف على مكامن هذا الخلاف إلا عند الرجوع إلى التراث الكلامي الشيعي في العهود السالفة.

قام الباحث في هذه المقالة بإجراء تحليلٍ تأريخيٍّ حول فكر التشيّع وتطرّق إلى بيان الخلافات الكلامية التي نشبت في مدرستي قم وبغداد ثمّ مدرسة الحلّة،

---
(*) sobhani.mt@gmail.com

وأثبت أنّ السبب الكامن وراء كلّ ما حدث من تضاربٍ في الآراء يعود في أساسه إلى الأصول المعرفية لعلم الكلام الإسلامي.

**الكلمات الدالّة**: علم الكلام الشيعي، مدرسة الحلّة، الشهيد الأوّل، الشهيد الثاني.

## المقدّمة

لقد اشتهر الشهيدان الأوّل[1] والثاني[2] ببراعتهما في علم الفقه أكثر من أيّ علمٍ آخر، وبكلّ تأكيدٍ فإنّ هذه البراعة المشهودة منحتهما منزلةً رفيعةً في أنصع صفحات التأريخ العلمي لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

الشهيد الأوّل هو أوّل من أسّس مدرسةً علميةً شيعيةً في منطقة جبل عامل إبّان القرن الثامن الهجري ليصبح الرائد في انطلاق مرحلةٍ جديدةٍ في مجال تكامل فقه التشيّع، وأمّا الشهيد الثاني فهو أحد أبرز الفقهاء الذين شرحوا المباني الفقهية للشهيد الأوّل وقد احتلّ المرتبة الأولى في تلك المدرسة العظيمة؛ ولحسن الحظّ فمعظم التراث الفقهي المشترك لهذين العلمين لم يندثر على مرّ العصور مقارنةً مع سائر آثارهما العلمية[3]. فضلاً عن ذلك فقد بذلا جهوداً حثيثةً في طلب العلم ونشره خلال سنواتٍ عديدةٍ فتتلمذ على أيديهما كثير من طلاب العلم ليصبح بعضهم فيما بعد أساتذةً وأساطين لمعت أسماؤهم في شتّى أرجاء البلاد الإسلامية، وغالبية هذه الجهود تجسّدت في نشاطاتٍ فقهيةٍ تفوق ما أنتجاه من علوم كلامية وعقائدية لدرجة أنّنا قلّما نجد من يصنّفهما في ضمن علماء الكلام والفلسفة في القرون الماضية.

ولكن مع ذلك فليس من الحريّ بنا غضّ الطرف عن نشاطاتهما العلمية في مجال علم الكلام ولابدّ من تسليط الضوء على هذا الأمر في إطار دراساتٍ تحليليةٍ تخصّصيةٍ، ومن هذا المنطلق سنقوم في هذه المقالة بإجراء هذا النمط من البحوث العلمية والذي قد يعدُّ الأوّل من نوعه حول هاتين الشخصيتين بغية بيان الموضوع في ضمن بحثٍ علميٍّ تحليليٍّ.

على الرغم من الجهود التي بذلها الباحثون لتدقيق وتمحيص المصادر الموروثة عنهما، لكنّ المجال ما يزال مشرعاً أمام البحث والتحقيق لاستكشاف كثير من المعلومات الخاصّة بشخصيتيهما العلمية سواء في مصادرهما الخاصّة أو فيما دُوّن حولهما من قبل الآخرين. الأسلوب المتّبع في هذه المقالة هو من نمط البحوث العلمية التحليلية الحديثة، وذلك بهدف بيان جوانب من تأريخ الشيعة بقيت طوال قرونٍ مطوّيةً في صفحات النسيان.

إنّ كلّ باحثٍ ومتتبّعٍ لأحوال الشهيدين وإنجازاتهما العلمية يدرك بوضوحٍ أنّهما شمّرا عن ساعديهما للبحث والتحقيق في المواضيع الكلامية لأجل إنارة الطريق أمام أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام كي تتّضح لهم معالم مذهبهم الفكرية والعقائدية، وهذا الأمر لا يقتصر على مدوّناتهما الكلامية ومساعيهما الواسعة في هذا المضمار فحسب، بل يبدو جليّاً في آثارهما الفقهية وبعض مدوّناتهما والإجازات التي منحوها لطلاب العلم والأساتذة، إذ استثمرا كلّ فرصةٍ كانت تسنح لهما لتسليط الضوء على المباحث العقلية بشكلٍ يفوق ما يبدر من كلّ فقيهٍ أو مجتهدٍ آخر كما جرت عليه العادة بين أرباب علم الفقه. ومن الجدير بالذكر أنّنا سنشير في طيّات البحث إلى أنّ الشهيد الثاني فاق سلفه الأوّل من حيث تنوّع تخصّصاته العلمية وعدد آثاره التي خلّفها لنا.

ومن المسائل التي يشار إليها هنا أنّنا نستشفّ نمط المذهب العقلي لهذين العلمين العظيمين من سياق مباحثهما الفقهية المنسجمة والمرتّبة حسب أبواب المواضيع.

إذن، سنثبت أنّ الشهيدين يمكن أن يصنّفا في قائمة علماء العلوم العقلية وأنّهما عالما كلامٍ دون أدنى ترديدٍ، وذلك خلافاً للرؤية التي تبنّاها العلماء والمؤرّخون حولهما طوال القرون الماضية؛ وحتّى لو جعلنا الإنجازات العلمية هي المعيار في تقييم الموضوع، يمكننا أيضاً اعتبارهما من جملة علماء الكلام في عصرهما، وفي الحين ذاته سنلاحظ أنّ إنجازاتهما لا تتضمّن مبادئ خاصّة لإرساء مدرسةٍ كلاميةٍ مستقلّةٍ جديدةٍ تختلف عن سائر المدارس الفكرية، لكن مع ذلك فهي تعكس مدى عمق أفكارهما الكلامية التي تجعلهما ضمن قائمة كثير من علماء الكلام المعروفين رغم عدم امتلاكهما خلفيةً دراسيةً وآثاراً علميةً مشهودةً على هذا الصعيد.

هدفنا الأساسي من وراء إجراء هذه الدراسة لا يتمحور حول بيان هذا الموضوع، بل يتركّز على إماطة اللثام عن بُعدٍ جديدٍ في شخصيتهما ألا وهو الجانب الكلامي الذي يتجسّد في دورهما التأريخي لترويج التراث الشيعي بمختلف صوره المعرفية انطلاقاً من مدرسة الحلّة وصولاً إلى جبل عامل وسائر البقاع في أقصى أرجاء المعمورة، كما يتضمّن البحث بيان دورهما الفاعل في ترسيخ المبادئ الكلامية لمدرسة الحلّة.

من جملة المعطيات الجديدة التي تمّ التوصّل إليها هنا أنّ الشهيدين لم يتبنّيا مسلكاً كلامياً موحّداً بخلاف ما تبنّياه من آراء فقهية منسجمة، وعلى الرغم من أنّهما ابتدءا مسيرتهما الكلامية من مهدٍ واحدٍ إلا أنّهما في خاتمة المطاف لم

يتوصّلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ؛ وسنشير إلى أنّ هذا التنوّع الفكري الكلامي يضرب بجذوره في التراث القيّم الذي اكتسباه من مدرسة الحلّة، وهذا الأمر بدوره يعكس ضرورة إعادة النظر في دراسة مشارب هذه المدرسة العريقة وتحليلها؛ لأنّه لم يحظ باهتمامٍ يتناسب مع مستواه الحقيقي.

وننوّه على أنّ المجال لا يسعنا في هذه المقالة كي نتناول أطراف البحث والحديث عن المواضيع المشار إليها بإسهابٍ وتفصيلٍ لأنّ ذلك يتطلّب مجالاً أوسع، لكنّنا سنقوم بإثبات الموضوع في إطار دراسةٍ منسجمةٍ.

**من مدرسة قم إلى مدرسة الحلّة :**

استناداً إلى ما ذكر في مقدّمة البحث، فلو أردنا التعرّف على المكانة الحقيقية للشهيدين الأوّل والثاني في التأريخ الكلامي الشيعي، لا بدّ لنا من الرجوع إلى صفحات الماضي وتمحيصها بشكلٍ موجزٍ كي نستكشف خلفية تراثهما الفكري من المصادر الأولى، ومن المؤكّد أنّ هذا التراث القيّم يضرب بجذوره في مدرسة الحلّة العريقة بشكلٍ أساسيٍّ.

فتحت هذه المدرسة أبوابها للعلماء وطلاب العلم في القرن السادس الهجري وذاع صيتها حتّى القرن الثامن لتصبح منارةً لنشر التراث العلمي لشريعة خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بجميع مذاهبها الشيعية وغير الشيعية، فانضوى تحت مظلّتها أشهر الفلاسفة وعلماء الكلام في تلك الآونة وهو أمرٌ لم يسهم في الحفاظ على إنجازات السلف وعطاءاتهم الفكرية وترويجها في شتّى ارجاء المعمورة فقط، بل ساعد على انتشار علم الكلام وتناميه بعد أن توفّرت أنسب الأجواء للبحوث والنقاشات العلمية لتبدأ بذلك واحدةٌ من أهمّ مراحل تأريخ علم الكلام الديني

وأكثرها حساسيةً.

بكلّ تأكيدٍ فإنّ هذه الأجواء العلمية الفاعلة هي التي دعت أشهر عالم كلامٍ وأصولٍ شيعيٍّ يهاجر من مدينة الرّي ويشدّ الرحال نحو مدينة الحلّة ويقيم فيها بعد أدائه فريضة حجّ بيت الله الحرام، ألا وهو سديد الدين محمود الحمصي، حيث استجاب لطلب علماء هذه المدينة وتصدّى لمسؤولية تدريس علم الكلام ومن ثمّ ألّف أحد أهمّ الكتب العقائدية الشيعية في تلك الآونة تحت عنوان (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد)[٤]؛ كما أنّها شجّعت عالم الكلام والفيلسوف الشيخ ميثم البحراني[٥] على الهجرة من البحرين إلى هذه البقعة المباركة ليخلّف لنا آثاراً قيّمةً في هذا المضمار بعد أن تتلمذ على يديه علماء فطاحل في علم الكلام وسائر العلوم من أمثال العلامة الحلّي. وفي تلك الآونة أيضاً هاجر الخواجة نصير الدين الطوسي[٦] إلى مدينة بغداد قادماً من مشرق البلاد الإسلامية حيث تولّى منصب الوزراة، لكنّ مدرسة الحلّة استقطبته نظراً لسمعتها الراقية وسعة نطاق علومها، فربطته فيها علاقاتٌ مع فطاحل علمائها وبقي يتراود عليها حتّى التحق بالرفيق الأعلى.

ومن المؤكّد بمكانٍ أنّ تواجد أساطين العلم والمعرفة في مدينة الحلة آنذاك يعدّ دليلاً جليّاً على المكانة السامية التي حظيت بها في مجال العلوم العقلية، فقد قطن فيها علماء كبار من أمثال قطب الدين الرازي والكاتبي القزويني وسيف الدين الآمدي، وهؤلاء في الحقيقة من رموز علماء الكلام والفلسفة في عصرهم. ومن الجدير بالذكر أيضاً أنّ بعض علماء الشيعة المعروفين، كأُسرة ابن طاووس، رغم إقامتهم في مدينة بغداد لكنّهم حافظوا على تواجدهم في الحلّة التي كانت مقرّهم العلمي.

لقد احتلّت هذه المدينة مكانةً علميةً مرموقةً رغم ازدهار بغداد آنذاك وحملها لراية العلم والمعرفة وتنوّع المذاهب الدينية فيها؛ بل إنّ هذه العاصمة تهمّشت أمام عظمة الحلّة ولم تضاهؤها علماً ومعرفةً.

**دور قم وبغداد في نشأة مدرسة الحلّة :**

الفضل في انتعاش مدرسة الحلّة وازدهارها يعود في الواقع إلى غنى التراث العلمي للشيعة في مدرستي قم وبغداد، ففي عصر ازدهار هاتين المدرستين إبّان القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة شهدت الأوساط الموالية لمذهب أهل البيت عليهم السلام حركةً علميةً ملحوظةً في مجالي الفقه والكلام.

مدينة قم منذ سالف العهود كانت مركزاً لتأليف ونشر علوم الحديث للشيعة، حيث بلغت الذروة في هذا الصعيد خلال القرنين الثالث والرابع بعد أن لمعت فيها شخصياتٌ يضرب بها المثل في هذا التخصّص من أمثال أحمد بن محمّد بن عيسى وإبراهيم بن هاشم وسعد بن عبد الله ومحمّد بن الوليد؛ وبغداد بصفتها عاصمة العالم الإسلامي آنذاك استقطبت علماء الشيعة نحوها منذ باكورة تأسيسها وهاجر إليها الكثير من أتباع أهل البيت عليهم السلام، وشيئاً فشيئاً تحوّلت إلى مركزٍ رسميٍّ للمذهب الإمامي؛ ولكن لو تتبّعنا التأريخ لألفينا أنّ الفضل في ازدهار علوم الشيعة ببغداد، ولا سيّما علم الكلام، مدينٌ إلى حكومة البويهيين في إيران، فهذا العلم انتقل إلى عاصمة الدولة الإسلامية من تلك الديار البعيدة.

فترة الازدهار هذه التي بلغت الذروة في أواخر القرن الرابع الهجري والنصف الأوّل من القرن الخامس، انتعش علم الكلام لدى الشيعة في رحاب منظومةٍ معرفيةٍ منسجمةٍ لم يسبقها نظيرٌ، حيث أرست دعائمه شخصياتٌ يُشار

إليها بالبنان، من قبيل الشيخ المفيد(٧) والسيّد المرتضى(٨) وبعض تلامذتهما من أمثال الشيخ الطوسي(٩).

ولا غرو لو قلنا إنّ ذيوع صيت مدرسة قم ونفوذها الواسع رهينان لرفع المضايقات السياسية عن الشيعة من قبل الحكومة البويهية التي قدّمت يد العون لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام أيضاً، وأبرز دليلٍ على ذلك دعوة الشيخ الصدوق إلى مدينة الرّي وتعيينه في مقامٍ رسميٍّ رفيعٍ. قبل هذه الحقبة الزمنية واجه الشيعة وعلماؤهم ظروفاً قاسيةً ومضايقاتٍ ظالمةً على شتّى الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتّى العلمية، لكن بعد تصدّي آل بويه للحكم فسح لهم المجال وأصبحت لديهم قدرةٌ سياسيةٌ ومن ثمَّ تمكّنوا من إنشاء مركزين علميين مرموقين لهما القدرة على مقارعة أبرز المدارس الفكرية والفرق الإسلامية التي شهدتها الساحة في تلك الآونة.

التوجّهات الفكرية والدينية في مدرستي قم وبغداد لم تنصبّ في تيّارٍ واحدٍ، وقد بلغت بعض الاختلافات درجة النقد اللاذع وحتّى التّهم المتبادلة على صعيد القضايا العقائدية، حيث انتقد مشايخُ قم علماءَ بغداد بذريعة أنّهم بالغوا في اللجوء إلى الاستدلالات العقلية واتّخذوا جانب التأويل غير الصائب للقرآن والحديث ممّا يعني أنّهم ابتعدوا عن المصادر الدينية الأصيلة التي تعدّ الوسيلة الأساسية لمعرفة كنه المعارف العقائدية. وأمّا علماء الكلام في بغداد فخلال نقدهم لمدرسة قم، سلّطوا الضوء بشكلٍ أساسيٍّ على النزعة الحديثية البحتة التي انتهجها المحدّثون هناك، حيث تسبّبت هذه النزعة الجافّة بفقدان الدقّة والصواب في المباحث العقلية ممّا أدّى إلى تبنّيهم معتقداتٍ مشوبةً بالجبر والتشبيه.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مدرسة بغداد بقيت تزاول نشاطاتها العلمية لفترةٍ أطول من نظيرتها قم، والسبب في ذلك يعود لأمور معرفية ونفسية وسياسية عديدة، هذا فضلاً عن أجوائها الاجتماعية والثقافية التي جعلت مدّها العلمي يجتاح مناطق شاسعة من البلاد الإسلامية، وبعبارةٍ أخرى فقد أصبحت المركز الرسمي الذي يعكس متبنّيات الشيّع الإمامي في مختلف الأوساط الثقافية؛ وفي هذه الأثناء واصلت مساعيها الحثيثة للحفاظ على التراث الحديثي للشيعة بعيداً عن أنظار الأوساط العلمية ولم تنفكّ عن ترويج متبنّياتهم العقائدية [١٠].

على مرّ الزمان طرأت كثير من الأحداث التي أسفرت عن أفول نجمي هذين المركزين العلميين بحيث لم يبق لتلك العظمة والرفعة أثرٌ ملحوظٌ في أواخر القرن الخامس الهجري، وعلى الرغم من عدم وجود دراساتٍ دقيقةٍ ومعتمدةٍ لمعرفة العوامل الأساسية التي أدت إلى هذا الزوال الثقافي، لكن لا يمكن تجاهل الظروف السياسية والاجتماعية التي واجهها الشيعة إثر سقوط حكومة البويهيين في منتصف القرن الخامس الهجري وتولّي الأتراك السلاجقة مقاليد الأمور، حيث تشتّت علماء الشيعة في مختلف أصقاع البلاد الإسلامية، فالسلاجقة تحالفوا مع علماء السنّة بغية تحقيق مطامح سياسية وساروا على نهج الحكومة العباسية مستغلّين الضعف الذي انتاب نظام الحكم البويهي، لذلك تمكّنوا من ضمّ مناطق كبيرة لسلطتهم تدريجياً فاجتاحوا شرق البلاد الإسلامية وغربها.

في عام ٤٤٧هـ سيطر أوّل حاكم سلجوقي على مقاليد الحكم في العاصمة الإسلامية بغداد لينتهج أسلوباً مناهضاً للشيعة فشدّد عليهم الخناق وضيّق نطاق نشاطاتهم العلمية والدينية، [١١] وقد بلغ هذا الظلم غايته حينما استشهد أحد علماء الشيعة في فتنة الكرخ، كما تسبّب في اضطرار الشيخ الطوسي إلى الهجرة

رغم كونه زعيم مدرسة بغداد وأبرز شخصيةٍ كلاميةٍ وفقهيةٍ شيعيةٍ فيها، ومن ثمّ حذا علماء الإمامية حذوه وتركوا هذه المدينة أو إنّهم اعتكفوا في منازلهم وانزووا عن المجتمع.

رحل شيخ الطائفة إلى مدينة النجف وجاور مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، لكنّ هذه المدينة لم تضاهِ بغداد من الناحية العلمية ولم تكن بديلةً لها في تلك الآونة، إلا أنّ الله شاء أن تصبح مدينة الرّي مركزاً أساسياً للفكر الكلامي الإمامي بعد أن آلت بغداد إلى الأفول. من الجدير بالذكر هنا هو ظهور بعض المراكز العلمية بعد سقوط بغداد، لكنّها لم تكن تتمتّع بشهرةٍ واسعة النطاق وطرحت العلوم فيها ضمن إطارٍ محدودٍ، ومنها نيسابور وحلب وطرابلس وقزوين والبحرين. هذه المراكز العلمية برمّتها لم تكن بمستوى مدرسة الرّي، حيث هناك كثير من الشواهد التأريخية التي تدلّ على أنّ هذه المدينة كانت مزدهرةً غاية الازدهار العلمي بعد أواسط القرن الخامس الهجري، لذلك استوطنها طلاب بغداد وعلماؤها ونقلوا إليها تراثهم العلمي وهو أمرٌ أسفر عن انطلاق نهضةٍ علميةٍ جديدةٍ لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وكما هو معلومٌ فخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كان للشيعة حوزةٌ علميةٌ في مدينة الرّي، حيث امتازت برقيّ علوم الحديث نوعاً ما، لذا استضافت فطاحل محدّثي قم والكوفة ليتحفوها بالحديث وعلومه ناهيك عن أنّها ورثت التراث الكلامي من مدرسة بغداد لتصبح قبلةً للعلماء وطلاب العلم الذين طرحوا فيها مختلف المباحث الفقهية والكلامية؛ هذا إلى جانب رواج العلوم التقليدية في الحديث والمعتقدات حسب النمط الذي كان سائداً في مدرسة قم.

لم تكتف مدرسة الرّي بشرح وتحليل الفكر الكلامي الذي كان مطروحاً في

بغداد، بل بذل أساطينها جهوداً واسعةً على هذا الصعيد وأضفوا عليه تغييراتٍ عبر استثمار القواعد الأساسية التي تمّ وضعها في علوم كلام المعتزلة والأشاعرة، ويمكننا بيان هذا التحوّل العلمي المشهود من خلال إجراء دراسةٍ مقارنةٍ بين كتابي السيّد المرتضى (الذخيرة في الأصول) و(الملخّص في الأصول) من جهةٍ، وكتاب (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد) لسديد الدين الحمصي من جهةٍ أخرى، فكتابا السيّد المرتضى يتضمّنان الإنجازات الكلامية الجديدة لعلماء مدرسة بغداد، في حين أنّ كتاب الشيخ الحمصي يعدّ خلاصةً للفكر الكلامي الشائع في مدرسة الرّي؛ ويبدو هذا التحوّل جليّاً في مباحث (دقيق الكلام) أو (لطيف الكلام) والتي تعكس التوجّهات العقلية التي يتبنّاها كلّ متكلّمٍ بغية تفسير معتقداته الدينية.

من الطريف أنّ مدرسة الرّي شهدت تنامي تيّارين فكريين متناحرين في آنٍ واحدٍ، فمن ناحيةٍ انتعشت النشاطات العلمية لأصحاب النزعة العقلية وعلماء الكلام الذين تشبّثوا إلى حدٍّ كبيرٍ بالإنجازات العلمية التي حقّقها نظراؤهم المعتزلة وعدّوها علوماً بشريةً مباحةً وجديرةً بالبحث والتحليل، ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ مشايخ قم الذين يناهضون المنهج العلمي المطروح في الكلام والعقائد ويصرّون على عدم فاعليته ويتّهمون المنضوين تحت مظلّته بالتراجع عن المعارف السماوية الحقّة، تمكّنوا من التغلغل في الأوساط العلمية وبسط نفوذهم هناك؛ وهناك شواهد بيّنة على هذا الأمر في آثار القطب الراوندي وابنه.[١٢]

إذن، تمكّنت مدينة الرّي من لـمّ شمل مدرستي قم وبغداد واحتضان علمائهما برحابة صدرٍ، ومن ثمّ قامت إلى حدٍّ ما بتطوير القابليات العلمية التي ورثتها منهما.

وكما أشرنا آنفاً فإنّ مدرسة الحلّة كانت أكبر مدرسة كلامية شيعية بعد مدرسة الرّي، لكنّها تعدّ نظيرةً لمدرسة بغداد وأفضل من مدرسة الرّي من حيث تنوّع علومها وسعة نطاقها وكذلك من جهة إنجازاتها على صعيد علم الكلام.

علم الكلام الإمامي لمدينة الحلّة تمكّن من طرح أُسسه في نطاقٍ جديدٍ بعد أنّ انتقل إلى مدينة الرّي، فضلاً عن أنّه استطاع التركيب بين الكلام والفلسفة ليسجّل في أنصع صفحات التأريخ انطلاق مرحلةٍ جديدةٍ في تأريخ علم الكلام لدى الشيعة.

**وجهتان متباينتان في مدرسة الحلّة :**

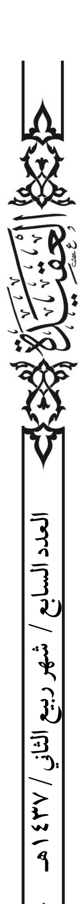
لقد أُرسيت دعائم مدرسة الحلّة على وفق أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام لكون الحلّة مدينةً شيعيةً من أساسها، فعندما تأسّست هذه المدينة على يد أمير بني مزيد (سيف الدولة) في سنة ٤٩٥هلم يتصوّر أحدٌ بأنّها ستمسي يوماً ملاذاً يأوي إليه أكابر علماء الإمامية بجميع مشاربهم من علماء كلام وفقهاء وهو أمرٌ جعل لها اليد الطولى في مختلف العلوم الإسلامية وغير الإسلامية خلال قرون عديدة؛ ومن الجدير بالذكر هنا أنّ الساحة العلمية في مدينة الحلّة شهدت رواج وجهتين فكريتين متباينتين في مجال علم الكلام، حيث عكستا متبنّيات مدرستي قم والرّي، وعلى مرّ الأيام تطوّرت أركان هاتين الوجهتين بفضل نشاطات العلماء الذين استوطنوها.

تزامنت نشأة مدرسة الحلّة في القرن السادس الهجري مع رواجٍ في التوجّهات الفقهية وركودٍ في العلوم العقلية، وبالطبع فهذه الظاهرة لا تعني إهمال علم الكلام، إذ إنّ فقه التشيّع في مدرسة بغداد قد ارتبط ارتباطاً وطيداً بعلم

الكلام الذي أُطلق عليه آنذاك (علم أصول الدين).

علم أصول الدين كان متلازماً مع علم أصول الفقه، لذلك أطلق عليهما (الأصولان)، وبكلّ تأكيدٍ فإنّ هذا الاصطلاح يدلّ على التقارب الذي كان موجوداً بين علمي الفقه والكلام ولا سيّما في مدرسة الحلّة التي شهدت في باكورة تأسيسها نشاطاتٍ علميةً وعقائديةً تمحورت بشكلٍ أساسيٍّ حول شرح آراء السيد المرتضى وتحليلها، ولكن هناك أسباباً بعضها غير معروفٍ أدّت إلى بقاء هذا العلم ثانوياً في تلك الآونة بحيث لم تشهد الساحة سوى عددٍ قليلٍ من المتخصّصين والمبدعين على صعيد المباحث الكلامية، وقد نجم عن هذا الأمر تدوين عددٍ ضئيلٍ من المؤلّفات في الكلام والعقائد. ولكن بمرور الزمان تغيّرت الأوضاع إثر رواج المنافسات المذهبية وتبادل النقد بين مختلف الفرق والأديان، وأيضاً بسبب افتقار علمي الفقه والأصول إلى المباحث الكلامية، حيث وجد علماء الشيعة أنفسهم بحاجةٍ ماسّةٍ إلى تطوير العلوم العقلية وتقويتها؛ وقد تجلى هذا الأمر في مدرسة الحلّة بشكلٍ ملحوظٍ. هناك كثير من الشواهد التأريخية التي تثبت هذا التحوّل، فعلى سبيل المثال قال الشيخ سديد الدين محمود الحمصي إنّه سافر إلى مكّة بطلبٍ من بعض علماء الحلّة وأقام حلقةً دراسيةً هناك لتدريس علم الكلام وأملى على طلاب العلم كتابه المعروف (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد) المعروف بـ (التعليق العراقي).[13] ثم تلاه عددٌ من فطاحل العلماء كالمحقّق الحلّي وأستاذه في علم الكلام نجم الدين بن وشّاح الحلّي[14] والسيّد ابن طاووس[15] ومفيد الدين محمّد بن جهم الأسدي[16] ويوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّي والد العلامة الحلّي.

وصف المحقّق الحلّي كلاً من يوسف بن عليّ المطهّر الحلّي ومفيد الدين محمّد



ابن جهم الأسدي بأنّهما أبرع علماء أصول الدين والفقه في الحلّة عندما عرّفهما إلى الخواجة نصير الدين الطوسي في أوّل زيارةٍ له لهذه المدينة، حيث قال: "هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه" (١٧).

هناك عددٌ من الشواهد التأريخية التي تدلّ على أنّ هؤلاء العلماء الذين أتحفوا المكتبة الإسلامية في مدرسة الحلّة بنتاجاتهم القيّمة، قد اختلفوا عن أسلافهم، حيث تبنّوا مناهج جديدة في علم الكلام لا تنسجم مع ما تبنّاه أتباع منهج السيّد المرتضى من فكرٍ كلاميٍّ متأثّرٍ بالفكر المعتزلي المتأخّر (١٨). المعتزلة المتأخّرون هم أتباع أبي الحسن البصري وتلميذه الملاحي الخوارزمي المعتزلي، حيث تجاوزوا أسوار الاعتزال البصري وأقبلوا على دراسة القواعد والأصول الفلسفية وتحليلها، فاتّجها نحو الانفتاح على علم الفلسفة(١٩).

وقبل هذه المدّة، شهد علم الكلام في مدرسة الحلّة تحوّلاً آخر أسفر عن حدوث تغييراتٍ جذريةٍ في كلام الإمامية بعد رواج مبادئ الفلسفة المشائية بين علماء الشيعة بفضل حضور رمزين من رموز المذهب في هذه المدرسة، وهما الخواجة نصير الدين الطوسي والشيخ عليّ بن ميثم البحراني؛ إذ ألّف الأوّل كتاب (تجريد العقائد) والثاني ألّف كتاب (قواعد المرام) وهو أمرٌ أرسى دعائم المنهج الكلامي المتأخّر بين الشيعة الإمامية والذي استمرّ لمدّة ثلاثة قرون بصفته أعظم تيّارٍ كلاميٍّ إماميٍّ في شتّى أرجاء العالم الإسلامي. تتلمذ العلامة الحلّي على يدي هذين العلمين الفذّين وتناول أبحاثهما العلمية بالشرح والتحليل، ونظراً لمقامه السياسي وقدرته الفقهية استطاع أن يروج مذهبهما الفكري في مختلف الأوساط العملية لأتباع أهل البيت عليهم السلام.

يمكن القول بضرسٍ قاطعٍ إنّ الفكر الكلامي الشيعي الذي روّجه العلامة الحلّي استمرّ حتّى قرنين من الزمن، وطوال هذه الفترة لم نشهد طرح أيّة أفكارٍ جديدةٍ ولم يقم العلماء إلا بشرح وتفسير ما ورثوه من مدرسة الحلّة والدفاع عن متبنّيات السلف؛ وسنذكر لاحقاً أنّ هذا التراث الفكري القيّم قد وصل إلى الشهيدين الأوّل والثاني وسائر أساطين مدرسة جبل عامل ليصبح الدعامة الأساسية لمنهجها الكلامي. يتصوّر كثير من الباحثين أنّ هذه الفترة الزمنية لم تشهد سوى مؤيّدين للمنهج الكلامي المنبثق من مدرسة الحلّة، لكنّ الواقع على خلاف ذلك، حيث شهدت ساحة التشيّع حضور علماء آخرين لم ينخرطوا في ركب هذا الفكر الكلامي لدرجة أنّ بعضهم وجّهوا له نقداً لاذعاً؛ وأبرز هؤلاء هم كبار محدّثي مدرسة الحلّة الذين ينحدر معظمهم من مشايخ قم والرّي. أبرز من انضوى تحت هذا التوجّه المناهض للمباني الكلامية في مدرسة الحلّة أُسرة السيّد ابن طاووس، ولا سيّما السيّد رضي الدين عليّ بن طاووس الذي يعدّ أشهرهم وأكثرهم نفوذاً والذي اعترض على المباني الكلامية الحلّية أكثر من أيّ عالمٍ آخر، وقد ذكرنا آنفاً أنّه تتلمذ على يد ابن وشّاح الحلّي ودرس بعض مباحث كتابه المناهج أو (المنهاج)، وعلى الرغم من عدم توفّر معلوماتٍ كافيةٍ عن دراساته الكلامية قبل هذه الفترة، لكن هناك شواهد تدلّ على براعته في هذا المضمار حيث نلحظ أنّه نقل مواضيع كلامية في آثاره ناهيك عن وجود كثير من الكتب المختصّة بهذا الموضوع في مكتبته الشهيرة؛ وهذا الأمر إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على إلمامه بتفاصيل علم الكلام.[٢٠] ومن الجدير بالذكر أنّه قد تأثّر بوالده الكريم وجدّه لأمّه ورّام بن أبي فراس،[٢١] ولكن ليست هناك مصادر توضّح ما تبنّاه والده من أفكارٍ، بل هناك معلوماتٌ فقط عن جدّه تتمثّل فيما تناقله المؤرّخون

وأرباب السير حوله وما ورد في كتابه الشهير (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) المعروف بـ (مجموعة ورام)[٢٢]، ورغم أنّ هذا الكتاب روائيٌّ لكن فيه دلالاتٌ تعكس التوجّهات الفكرية لصاحبه الذي لازم سديد الدين محمود الحمصي ويحتمل أنّه استضافه في مدينة الحلّة، لكنّه مع ذلك لم يتبنَ الأصول الكلامية التي سادت في مدرسة الحلّة؛ وحتّى لو افترضنا أنّ ورام سار على النهج الكلامي السائد في هذه المدرسة، إلا أنّ هذا الافتراض لا يصدق مطلقاً بشأن السيّد ابن طاووس.

نشير فيما يلي بشكلٍ موجزٍ إلى أشهر أثرٍ خلّفه السيّد ابن طاووس تحت عنوان (كشف المحجّة لثمرة المهجة) بوصفه ذا صلةٍ بموضوع بحثنا حول الشهيدين. ألّف السيّد هذا الكتاب في سنة ٦٤٩هـ حينما تجاوز الستّين من عمره بعامٍ واحدٍ، حيث دوّنه في إطار وصايا أخلاقية موجّهة لولده، وإلى جانب ذلك تضمّن بيان متبنّياته الفكرية بأسلوبٍ مبسّطٍ ومفهومٍ. الملفت للنظر هنا ما ذكره في هذا الكتاب من آراء حول خصوصيات علم الكلام في عصره وما ساقه من نقدٍ للمنهجية المتّبعة فيه آنذاك ناهيك عن تأكّيده على أنّ ما ذكره من مواضيع لم يكن ناشئاً من الجهل بعلم الكلام لأنّه طالع بما فيه الكفاية من مصادر هذا العلم وتعلّم كثيراً عنه طوال سنواتٍ مديدةٍ، حيث قال: " واعلم يا ولدي محمّد ومن يقف على هذا الكتاب أنّني ما قلت هذا جهلاً بعلم الكلام وما فيه من السؤال والجواب، بل قد عرفت ما كنت أحتاج إلى معرفته منه وقرأت منه كتباً ثمّ رأيت ما أغنى عنه، وقد ذكرت في خطبة كتاب البهجة لثمرة المهجة كيف اشتغلت فيه وعلى من اشتغلت في معانيه وما الذي صرفني من ضياع عمري في موافقة طالبيه"[٢٣].

التصوّر السائد هو أنّ معارضة علم الكلام أو سائر العلوم العقلية المتعارفة

من قبل أحد العلماء يعني بالضرورة الإعراض عن العقل ويدلّ على أنّ من يسير في هذا المسلك يصنّف ضمن الطائفة الأخبارية، لكنّ هذا التصوّر عارٍ من الصواب، فالسيّد ابن طاووس لم يعرض عن العقل وقد اعتبر أنّ القدرة على نقد علم الكلام تعدّ من المواهب الذهنية والمعرفية الصادرة من التنبيهات العقلية والنقلية[٢٤]، أي: من العقول المستقيمة والقلوب السليمة.[٢٥] من الجدير بالذكر هنا أنّ السيّد ابن طاووس لدى قيامه بتحليل أصول العقائد وإثبات ذات البارئ تعالى شأنه، استند إلى الأدلّة العقلية واعتبرها ذات رتبةٍ مقدّمةٍ على العمل بالتكليف الديني، حيث ساق الأدلّة في إطارٍ منطقيٍّ منسجمٍ واستدلّ منها على وفق قواعد عقلية متكاملة[٢٦].

إذن، بناءً على ما ذكر فالسؤال الآتي يطرح نفسه: ما السبب الذي دعا السيّد ابن طاووس لأن يعارض علم الكلام؟

محور نقاشات السيّد ابن طاووس يدور حول نقطتين أساسيّتين، إحداهما كيفية استخدام العقل والأخرى الطريق الذي يمكن التوصّل من خلاله إلى تحصيل المعرفة،[٢٧] وأهمّ مؤاخذةٍ ساقها على علماء الكلام تتمثّل في أنّهم ضيّقوا الطريق الذي مهّده الله تعالى ونبيّه الكريم ﷺ للمكلّفين على صعيد معرفة المولى والمالك، حيث قال: "قد ضيّقوا على الأنام ما كان سهّله الله جلّ جلاله ورسوله"[٢٨]. فهو يعتبر هذا الطريق سهلاً يسيراً منسجماً مع الأدلّة العقلية البيّنة المؤدّية إلى اليقين والتي تتحصّل بواسطة الأمور الفطرية. فضلاً عن ما ذكر فكلامه يشير إلى اعتقاده بأنّ التعاليم الكلامية السائدة إبّان عصره ناشئةٌ من آراء المعتزلة التي تضمّنت ألفاظاً حادثةً[٢٩] بعيدةً كلّ البعد عن اليقين، كما نوّه على أنّ معظم هذه الآراء تحول دون سلوك الناس في طريق التديّن القويم[٣٠].

ومن الحريّ بالذكر هنا أنّ السيّد لم يكتف بنقد النهج المعتزلي، بل وجّه النقد أيضاً إلى كلّ من سار على هذا النهج من علماء الشيعة، لذلك تعرّض لأبرز الرموز الدينيّة في علم الكلام بمدرسة بغداد آنذاك، وبمن فيهم الشيخ المفيد والسيّد المرتضى، حيث استند إلى رسالة القطب الراوندي التي تضمّنت ٩٥ مسألةً من مسائل علم أصول العقائد لبيان الاختلاف في آراء هذين العلمين، وقال في خاتمة المطاف إنّ بسط الموضوع بشكلٍ مفصّلٍ وذكر مصاديق أخرى لإثبات المدّعى تجعل حجم الكتاب كبيراً للغاية؛ لذا اعتبر هذا الأمر دليلاً على كون الطريق لتحصيل المعرفة في علم الكلام بعيداً عن الواقع، فقال: "وهذا يدلّك على أنّه طريقٌ بعيدٌ في معرفة ربّ الأرباب"[٣١]. هذا الكلام يثبت بوضوحٍ أنّ النهج الكلامي المتّبع آنذاك كان أحد هواجس السيّد ابن طاووس بحيث كانت له نقاشاتٌ ومناظراتٌ حوله مع علماء الكلام المعاصرين له[٣٢]؛ لكنّه مع ذلك لم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل ادّعى أنّه أثبت بطلان الأمر على أساس البراهين العقلية والنقلية لأنّه يعتقد بأنّ الطريق الذي اتّبعه علماء الكلام يختلف بالكامل عن تعاليم القرآن الكريم وعلوم النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، إضافةً إلى تباينه مع معتقدات الرعيل الأوّل من علماء المسلمين الذين عاصروا الأئمّة المعصومين عليهم السلام ورافقوهم في ميدان العلم والمعرفة، فالعلماء الأوائل حسب رأيه قد ساروا على النهج الإسلامي الأصيل[٣٣] الذي وصفه بالقول: "التنبيهات على الدلالات على معرفة مولاهم ومالك دنياهم، محدث الحادثات ومغيّر المتغيّرات ومقلّب الأوقات"[٣٤]، وأكّد على أنّه يختلف عن النهج الكلامي الذي وصفه بأنّه نظرٌ في الجوهر والجسم والعرض والتركيب بحيث إنّ أكثر الناس عاجزون عن إدراكه حتّى وإن استفرغوا غاية الجهد والسعي لأنّه لا يتحصّل إلا من خلال طول الفكر.[٣٥]

ولم تقتصر مساعيه على بيان أسلوبه في إطار الأدلّة التنبيهية العقلية،[٣٦] بل ساق رواياتٍ عن أهل البيت عليهم السلام تذمّ (الكلام) و(أصحاب الكلام) بغية إثبات صحّة مدّعاه[٣٧].

إذن، من الواضح بمكانٍ أنّ السيّد ابن طاووس يمنح الأدلّة العقلية قيمةً معرفيةً، إلا أنّه يُعدُّ الإدراكات العقلية مستندةً في أساسها إلى الفطرة التي يولد الإنسان عليها.[٣٨] وقد اتّخذ موقفاً حيال الجدل المحتدم بين علماء الكلام والمحدّثين حول كون المعارف الإلهية مكتسبةً أو ضروريةً، حيث تصدّى للمتكلّمين بصراحةٍ ولم يؤيّد كون المعرفة مجرّد كسب الإنسان ونظره ولم يعتبرها حصيلةً لاجتهاده وسعيه، بل رأى أنّها جودٌ وعطاءٌ من الله سبحانه وتعالى يأخذان بيد الإنسان للعلم بما لا يعلم حتّى وإن كان قاصراً عن ذلك، فقال: "إنّما الله جلّ جلاله يسلك بالعبد الضعيف إلى التعريف تسليكاً يقصر فهمه عنه".[٣٩] يجب التنويه هنا على أنّ السيّد لم ينخرط في ركب من حرّم علم الكلام جملةً وتفصيلاً، فقد قال: إنّ مراده من هذا الكلام لا يعني حرمة التأمّل بالجواهر والأعراض، كما لايعني أنّ هذا العلم لا يتيح أيّ طريقٍ للمعرفة، بل المراد هو أنّ الأساليب الكلامية تعدّ طرقاً مطوّلةً ومحفوفةً بالمخاطر ومن ثمّ لا يمكن الخروج منها بسلامٍ.[٤٠] وقد ذكر أمثلةً لأجل بيان معالم الطريقة التي اتّبعها وتمييزها عن المنهج الذي سلكه علماء الكلام، ومن جملة ما قاله: "إنّني وجدت مثال شيوخ المعتزلة ومثال الأنبياء عليهم السلام مثل رجلٍ أراد أن يعرف غيره أنّ في الدنيا ناراً موجودةً، وذلك الرجل الذي يريد أن يعرف وجودها قد رأى النار في داره وفي البلد ظاهرةً كثيرةً بين العباد ما يحتاج من رآها إلى المعرفة بها ولا اجتهاد". وقال في موضعٍ آخر: "وكلّ من عدل في التعريف عن الأمر المكشوف إلى الأمر الخفي

اللطيف، فهو حقيقٌ أن يقال قد أضلّ ولا يقال قد هدى ولا قد أحسن فيما استدلّ"[٤١].

لقد تطرّقنا إلى الحديث عن آراء السيّد ابن طاووس بتفصيلٍ أكثر كي نثبت للقارئ الكريم أنّ مدرسة الحلّة شهدت حضور علماء ذوي توجّهاتٍ عديدةٍ في مجال علم الكلام ممّا أسفر عن نشوب جدلٍ كلاميٍّ فيما بينهم بكلّ أدبٍ واحترامٍ، وغالباً ما كان هذا التباين يحدث بين الأستاذ والتلميذ أو بين الزملاء في الدرس. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ السيّد ابن طاووس ومن حذا حذوه قد عاصروا توجّهاتٍ كانت تروّج للنزعة المعتزلية المتأخّرة في مدرسة الحلّة، وفي الحين ذاته كانت الأوساط الإمامية تقترب أكثر من أيّ وقتٍ مضى لتبنّي مبادئ المنهج الكلامي الفلسفي للخواجة نصير الدين الطوسي والشيخ ابن ميثم البحراني.

### الشهيد الأوّل وارث علم الكلام المتأخّر في مدرسة الحلّة:

بلغ علم الكلام الإمامي ذروته واتّسع نطاقه بشكلٍ منقطع النظير ببركة جهود العلامة الحلّي الذي يشهد له أهل العلم والفضل، ومن ثمّ واصل طريقه ولده الكريم فخر المحقّقين[٤٢] برفقة سائر الأساطين الذين تتلمذوا على يده ليصل هذا التراث القيّم إلى الشهيد الأوّل.

ليست لدينا معلوماتٌ دقيقةٌ حول تأريخ مجيء الشهيد الأوّل إلى مدينة الحلّة، لكنّنا نعلم أنّه في سنة ٧٥١ه حاز في هذه المدينة على إجازةٍ من فخر المحقّقين، حيث كان تلميذاً له كما أنّه حضر دروس اثنين من تلامذة العلامة الحلّي، وهما ابنا اخت السيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين.

من الجدير بالذكر هنا أنّ فخر المحقّقين لم يمنح الشهيد الأوّل إجازةً

لتدريس كتبه فحسب، بل أجاز له جميع مؤلّفات والده الجليل في المعقول والمنقول والفروع والأصول[٤٣].

بعد سنة ٧٦٦هـ غادر الشهيد الأوّل مدينة الحلّة وشدّ الرحال نحو دمشق فحضر عند قطب الدين الرازي، لكنّ ذلك لم يدم طويلاً لأنّ الأخير توفّي في السنة ذاتها، وقد مدحه وأثنى عليه كثيراً في إجازته لابن الخازن قائلاً: "واستفدت من أنفاسه وأجاز لي جميع مؤلّفاته في المعقول والمنقول"[٤٤]، وأشار فيها إلى أنّ القطب كان من التلامذة المميّزين للعلامة الحلّي. كما أنّ الشيخ البهائي تحدّث عن القطب الرازي وقال إنّه مؤلّف كتابي (المحاكمات) و(شرح المطالع) وذكر أنّه درس كتاب (قواعد الأحكام) بين يدي العلامة الحلّي[٤٥].

وبغضّ النظر عمّا ذكر، فليست لدينا معلوماتٌ حول أساتذة الشهيد الأوّل في علم الكلام والعلوم العقلية، لكنّنا نعلم أنّه تتلمذ على يد العالم السنّي قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة في المدينة المنوّرة سنة ٧٥٤هـ حيث روى عنه تفسير الزمخشري (الكشّاف) بعد أن منحه إجازةً عامّةً بجميع المعقول والمنقول الذي ذكره أمامه[٤٦].

وبشكلٍ عامٍّ يمكن القول إنّ الشهيد الأوّل أعار أهميةً لعلم الفقه فاقت اهتمامه بأيّ علمٍ آخر بحيث اتّصفت شخصيته العلمية بالفقاهة، ومنذ تلك الآونة قلّما قيل عنه بأنّه عالم كلامٍ أو صاحب نزعةٍ عقليةٍ[٤٧]، ولكنّ هذا الأمر لايعني بتاتاً أنّه أعرض عن علم الكلام بالكامل، فهناك شواهد وقرائن كثيرة تدلّ على انهماكه بالمباحث الكلامية إلى جانب دراساته الفقهية طوال مسيرته العلمية، إذ نستشفّ ذلك من مختلف آثاره الكلامية ودروسه وما نُقل عنه من قبل بعض تلامذته.

من التراث العلمي الذي بين أيدينا لهذا العلم الفذّ، أربعة رسائل صغيرة في علم الكلام ولحسن الحظّ فقد وصلتنا كاملةً، وهي عبارةٌ عن: (المقالة التكليفية) و(العقدية الكافية) و(المسائل الأربعينية) و(تفسير الباقيات الصالحات)(٤٨)، وكما يبدو فإنّ هذه الرسائل كانت تحظى باهتمامٍ منذ تلك الآونة وانتشرت في مختلف المناطق الشيعية بحيث توجد العديد من النسخ المخطوطة لها في شتّى المكتبات باستثناء رسالة (المسائل الأربعينية)(٤٩)، ولو طالعنا شرح العلامة البياضي على رسالتي (المقالة التكليفية) و(تفسير الباقيات الصالحات) لأدركنا مدى شهرة الآثار الكلامية للشهيد الأوّل، ورغم أنّ آثاره الفقهية تتضمّن بعض المباحث العقائدية والآراء الكلامية التي تبنّاها، إلا أنّ هاتين الرسالتين تتضمّنان ما فيه الكفاية من الآراء التي تعكس لنا توجّهاته الفكرية.

لقد تتلمذ كثير من طلاب العلم على يد الشهيد الأوّل وبرز من بينهم فطاحل تمكّنوا من طرح متبنّياته الفكرية بأفضل وجهٍ، وعلى رأسهم جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري المعروف بـ(الفاضل المقداد)(٥٠) الذي استفاض منه وبقي ملازماً له حتّى هاجر إلى الشام. هذا العالم الفاضل يعدّ أحد أعظم شرّاح مبادئ علم الكلام في مدرسة الحلّة، وهناك احتمالٌ كبيرٌ بأنّه اكتسب غالبية علومه ومعارفه من أستاذه البارع الأمر الذي يدلّ بوضوحٍ على الدور الهامّ للشهيد السعيد في نقل التراث الكلامي الحلّي إلى الأجيال اللاحقة(٥١).

ومن تلامذة الشهيد الأوّل الذين انتهلوا منه مبادئ علم الكلام، عزّ الدين الحسن بن سليمان الحلّي العاملي صاحب كتاب (مختصر بصائر الدرجات). هذا العالم الجليل برع في علم الحديث، وقد تتلمذ على يد أستاذه الفذّ ودرس عنده كتاب (أنوار الملكوت) وغيره سنة ٧٥٦ﻫ، حيث أشار الشهيد السعيد إلى هذا الأمر

في خاتمة الكتاب.[٥٢] في هذه الفترة كان الشهيد ينتهل العلم من أساتذته الأفاضل في مدينة الحلّة، وفي الوقت ذاته كان يدرّس تلامذته بصفته أحد أبرز الأساتذة وأبرعهم[٥٣].

وممّن تتلمذ على يديه المباركتين أيضاً شمس الدين أبو جعفر محمّد بن تاج الدين بن نجده، حيث درس عنده آثار العلامة الحلّي (المناهج في علم الكلام) و(شرح النظم في علم الكلام) و(شرح الياقوت) و(نهج المسترشدين).[٥٤] في سنة ٧٧٠هـ منح الشهيد الأوّل إجازةً لابن نجده بتدريس كتبه وبما فيها (رسالة التكليف)، كما أجاز له تدريس كتب أبي المكارم ابن زهره الحلبي ولا سيّما كتابي (غنية النزوع في علم الأصولَين) المعروف بـ(الغنية) وكتاب (نقض شُبَه الفلاسفة)[٥٥].

لدينا وثيقةٌ تأريخيةٌ تثبت أنّ الشهيد الأوّل حينما كان مقيماً في مدينة دمشق وفي سنة ٧٨٤ه بالتحديد منح إجازةً لعليّ بن الخازن الحائري بتدريس ونقل علومه ومعارفه وبما فيها (رسالة التكليف)، أي قبل سنتين من استشهاده، وهذا الأمر بطبيعة الحال يدلّ على أنّ نشاطاته العلمية لم تقتصر على تدريس العلوم الكلامية فحسب، بل كان يروم تأليف نتاجاتٍ جديدةٍ على هذا الصعيد. وأشار ابن الخازن في هذه الإجازة إلى أنّ أستاذه يقوم بتدوين كتبٍ في الفقه والكلام واللغة العربية، حيث قال: "وكتبٌ شرع فيها يرجى إتمامها في الفقه والكلام والعربية إن شاء الله تعالى"[٥٦].

عند التأمّل فيما ذكر ومع الأخذ بعين الاعتبار التأريخ الذي قام فيه الشهيد الأوّل بتأليف بعض كتبه، يثبت لنا أنّه طوال مسيرته العلمية تأثّر بأفكار بمدرسة الحلّة المتأخّرة ولا سيّما آراء العلامة الحلّي، وبقي على هذا النهج حتّى آخر لحظةٍ من

حياته من دون أن يذكر أدنى انتقادٍ حول ما اكتسبه من علوم ومعارف في هذه المدرسة العريقة، كما نلمس من آثاره أنّه لم يبد أيّة رغبةٍ بالانخراط وراء التيّارين الفكريين الآخرين اللذين شاعا بين المتقدّمين هناك وبمن فيهم سديد الدين الحمصي والمحقّق الحلّي والسيّد ابن طاووس وأُسرته.

### تراجع الشهيد الثاني عن المد الكلامي لمدرسة الحلة:

شرع الشهيد الثاني بطلب العلم في إحدى المدارس التي بذل الشهيد الأوّل جهوداً مضنيةً لتأسيسها في جبل عامل، ولا ريب في أنّ هذه المدرسة هي إحدى ثمار مدرسة الحلّة لتبنّيها تراثها الفقهي والكلامي وتطويره ليترعرع فيها علماء فطاحل في شتّى أنماط العلوم الإسلامية طوال سنواتٍ مديدةٍ بحيث تمكّنوا من ترويج ما اكتسبوه في مشارق البلاد الإسلامية ومغاربها.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ الدولة الصفوية في تلك الآونة كانت بحاجةٍ ماسّةٍ إلى علماء الشيعة وما لديهم من تعاليم قيّمة بغية ترسيخ دعائم مشروعيتها، لكن لم تجد ضالّتها في إيران والعراق لخلوّهما من هكذا طاقات علمية، لذلك اتّجهت نحو مدرسة جبل عامل طالبة العون من علمائها الأفذاذ.[٥٧]

درس الشهيد الثاني العلوم الفقهية الأساسية في مسقط رأسه (جبع) على يد والده الكريم الذي شرح له كتاب المحقّق الحلّي (شرائع الإسلام) ثمّ بدأ بدراسة أهمّ تأليفٍ للشهيد الأوّل، ألا وهو كتاب (اللمعة الدمشقية)، بعد ذلك سافر إلى مدينة (ميس) لطلب العلم فتتلمذ على يد الشيخ عليّ بن عبد العالي حتّى بلغ الثانية والعشرين من عمره الشريف.

فضل مدرسة الحلّة على الشهيد الثاني ليس محدوداً بما اكتسبه من أساتذته الذين تتلمذوا فيها، بل إنّ آباءه الكـرام مدينون أيضاً لهذه المدرسة العريقـة، حيث نقل أنّ جدّه الشيخ صالح بن مشرف الطلوسي كان من تلامـذة العـلامة الحلّي [٥٨].

يبدو أنّه حتّى ذلك الوقت لم ينصرف إلى دراسة علم الكلام بشكلٍ دقيقٍ حيث لم يشر في سيرته الذاتية إلى أيّ أستاذٍ أو كتابٍ لهذا العلم خلال تلك الفترة من حياته، لكنّه قال إنّه خلال هذه المرحلة من حياته شدّ الرحال إلى (كرك نوح) وتتلمذ على يد السيّد حسن بن جعفر فدرس عنده علوم الفقه والأصول والنحو فضلاً عن علم الكلام، كما درس عنده واحداً من أهمّ الآثار الكلامية التي أنتجتها مدرسة الحلّة، ألا وهو كتاب (قواعد المرام) لابن ميثم البحراني [٥٩]. بعد ذلك قفل عائداً إلى موطنه جبع ليقيم هناك ثلاث سنواتٍ، وفي سنة ٩٣٧ه اتّجه نحو دمشق ليواصل دروسه في العلوم العقلية بجدّيةٍ أكثر، فضلاً عن ذلك فقد انخرط في دراسة علمي الطبّ والهيئة إذ أبدع فيهما مستفيداً من أستاذه شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي الذي قال عنه: "الشيخ الفاضل المحقّق الفيلسوف شمس الدين"، وفي الحين ذاته استهوته العلوم الفلسفية فقرأ عنده بعض مواضيع (حكمة الإشراق) للسهروردي [٦٠].

في سنة ٩٤٢هترك دمشق متوجّهاً نحو مصر ليواصل طلب العلم هذه المرّة لدى كبار علماء أهل السنّة، وقد ذكر له تلميذه بهاء الدين ابن العودي كراماتٍ وألطافاً إلهيةً طوال مسيرته من الشام إلى مصر. يُذكر أنّ ابن العودي يعد أحد أبرز تلامذة الشهيد السعيد وأخصّهم لديه بحيث لازمه إلى دمشق ومكث معه هناك، وهو الذي نقل لنا السيرة الذاتية التي دوّنها الشهيد بقلمه.

عند إقامته في مصر أبدى شوقاً شديداً للخوض في علم الكلام وسائر العلوم العقلية، حيث قال إنّه حضر عند الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي لدراسة فقه المذهب الشافعي وأصوله فضلاً عن كثير من الكتب في مختلف العلوم والفنون اللغوية والعقلية وغيرها، بما فيها كتاب (شرح تجريد الاعتقاد) للملا عليّ القوشجي مع حواشي الملا جلال الدين الدواني، ودرس كتباً في الهندسة وعلم الهيئة عند الملا حسين الجرجاني، وحضر عند الملا محمّد الجيلاني لدراسة مواضيع في علم المعاني. كما قال إنّه قرأ عند ناصر الدين اللقاني المالكي ووصفه بالقول: "لم أرَ بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية".

ومن اللافت للنظر أنّ الشهيد السعيد واصل دراسة علوم الرياضيات لدى إقامته في مصر، فدرس عدداً من الكتب التخصّصية على هذا الصعيد من قبيل علم الحساب والجبر والمقابلة،[٦١] ناهيك عن أنّ نشاطاته العلمية الكلامية في هذه الفترة لم تقتصر على المباحث النظرية فحسب، بل شارك في المناظرات والاحتجاجات التي شهدتها الساحة في مجال الكلام والعقائد، فقد قال ابن العودي إنّه حينما سافر إلى (غزّة) التقى بالشيخ محي الدين عبد القادر بن أبي الخير الغزّي وجرت بينهما حجاجاتٌ ومباحثاتٌ، وبعد ذلك أجازه الشيخ محي الدين إجازةً عامّةً وصارت بينهما مودّةٌ شهد لها الجميع وأدخله إلى خزانة كتبه، فلمّا أراد الخروج قال له: "اختر لنفسك كتاباً من هذه الكتب"، فوضع يده على كتابٍ من غير تأمّلٍ ولا تعيينٍ فشاءت الصدفة أن يكون ذلك الكتاب للعلامة الحلّي.

يقول الشهيد إنّه رافق أستاذه الشيخ أبي الحسن البكري[٦٢] من مصر إلى البقاع المقدّسة في مكّة والمدينة لأداء فريضة الحجّ، وذلك كي يستثمر الفرصة في الطريق للبحث والنقاش، وبالفعل فقد حدثت بينهما مناظرةٌ تمحورت حول أهمّ

المواضيع الكلامية في تلك الآونة، وقد نقلها بكلّ تفاصيلها[٦٣]. تمحورت هذه المناظرة حول مسألة وجوب النظر في العقائد، فبعض علماء الكلام يعتقدون بأنّ كلّ إنسانٍ مكلّفٌ بالتفكّر والاستدلال في مجال أصول العقائد، لكنّ الشهيد الثاني أشكل على هذا المدّعى بأنّ عوامّ الناس وعلماءهم لا ينتمون إلى مذهبٍ واحدٍ، فكل فئةٍ وطائفةٍ بعلمائها وعوامّها تتبنّى آراءها الدينية ومعتقداتها الخاصّة من دون أن تتحرّى وتدقّق في معتقدات المذاهب الأخرى؛ لذا ما هو حكم هذه الفئات والطوائف عند الله عزّ وجلّ؟ فهل هو راضٍ عنها جميعاً؟ فأجابه الشيخ أبو الحسن البكري بإجابةٍ ذات دلالةٍ عميقةٍ قائلاً: "يا شيخ ليست هذه أوّل قارورةٍ كُسرت في الإسلام"، ومن ثمّ اختتمت المناظرة بهذه العبارة. ولعلّ هذا الجواب الذي يدلّ بوضوحٍ على الصعوبة البالغة لمباحث علم الكلام قد كان الشرارة الأولى لنشأة أفكارٍ جديدةٍ حول أهمّية هذا العلم لدى الشهيد الثاني.

ذكرنا آنفاً أنّ نقطة الاختلاف الكلامي في مدرسة الحلّة تدور في فلك مسلكين فكريين أساسيّين للأساليب والمصادر التي تأخذ بيد الإنسان نحو كسب معارفه الدينية والعقائدية، أحدهما المسلك الذي سار عليه السيّد ابن طاووس ومن حذا حذوه، والآخر المسلك الذي انتهجه سائر كبار علماء الكلام في هذه المدرسة من أمثال الشيخ سديد الدين محمود الحمصي والخواجة نصير الدين الطوسي وابن ميثم البحراني؛ وسنلاحظ في طيات البحث أنّ نقطة انتقال الشهيد من نطاق النهج الكلامي لمدرسة الحلّة إلى نطاقٍ معرفيٍّ انتقاديٍّ، قد بدأ من مناظراته التي دارت حول مسألة وجوب النظر.

بالنسبة إلى تدريس علم الكلام من قبل الشهيد الثاني، هناك شواهد تأريخية تثبت أنّه إلى جانب تدريسه علم الفقه قام أيضاً بتدريس العلوم الكلامية، وقد

ذكر حفيده الشيخ علي صاحب كتاب (الدرّ المنثور) اثنين من تلامذته الذين حضروا بين يديه في مباحث دروسه العقلية.[٦٤] كما أنّه في سنة ٩٤١ه منح إجازةً للشيخ عبد الصمد والد الشيخ البهائي أكّد فيها على أنّ الشيخ قد درس عنده كثيراً من كتبه في الفقه والمنطق والأصولَين - علم أصول الفقه وعلم أصول الدين (علم الكلام) - وهذه الإجازة بنفسها تتضمّن معلوماتٍ مفيدةً تحكي عن سعة نطاق علوم الشهيد السعيد واطّلاعه الواسع على مبادئ علم الكلام[٦٥].

في مقارنةٍ موجزةٍ بين الشخصيتين الكلاميتين للشهيدين الأوّل والثاني، نقول بضرسٍ قاطعٍ إنّ علم الكلام وإن كان بالنسبة إليهما مجرّد تخصّصٍ جانبيٍّ إلى جانب علم الفقه، لكنّ الشهيد الثاني أبدى رغبةً أكثر من الشهيد الأوّل بالعلوم العقلية التي تشمل الكلام والفلسفة والرياضيات والهيئة والنجوم، كما أنّه خاض في المباحث الكلامية بتفصيلٍ أكثر. وما تجدر إليه الإشارة في هذه المقارنة أنّ حياة الشهيد الأوّل شهدت ثبوتاً واستقراراً فكرياً نسبياً وبقي حتّى آخر أيّام عمره وفياً للفكر الكلامي المتبنّى في مدرسة الحلّة، إلا أنّ الشهيد الثاني الذي بدأ مسيرته الكلامية في هذه المدرسة ومن ثمّ رسّخ فكره الكلامي بواسطة العلوم الفلسفية والمنطقية التي تعلّمها فيما بعد، شيئاً فشيئاً انضمّ إلى التيّار المناهض لعلم الكلام.

### رؤية الشهيد الثاني حول علم الكلام والفلسفة :

إنّ أفضل سبيلٍ لمعرفة وجهة نظر الشهيد الثاني بالنسبة إلى علم الكلام ونشاطاته العلمية في مجال علم الفلسفة، هو الرجوع إلى آثاره المدوّنة التي تعكس آراءه بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ، لذا سوف نتّبع هذه الطريقة بغية تحقيق المراد من البحث؛ ولكن قبل أن نبدأ بتسليط الضوء على النصوص المرتبطة بالموضوع

لانرى بأساً في ذكر بعض مؤلّفاته لأنّ هذا الأمر من شأنه بيان مسيرته الفكرية والتغييرات التي طرأت عليها في التعاطي مع مبادئ علم الكلام التي كانت سائدةً في كلّ آنٍ من حياته ومكانٍ شهد حضوره.

بإمكاننا تتبّع المسيرة الفكرية والثقافية لهذا العلم الفذّ بفضل الدقّة المتناهية التي بذلها في بيان بعض خصائص مؤلّفاته ضمن المقدّمات التي دوّنها عليها وكذلك بفضل السيرة الذاتية التي أعدّها ودوّنها الشيخ بهاء الدين بن العودي.

يمكن القول باختصارٍ إنّ الشهيد السعيد أنهى دراساته العليا بمختلف الفروع العلمية وهو في سنّ الثلاثة والثلاثين، أي في سنة ٩٤٤ه بالتحديد وذلك بعد أن تتلمذ على أيدي أساطين علماء الفريقين شيعةً وسنّةً في جبل عامل والشام ومصر؛ ومن ثمّ تطرّق إلى البحث والتحليل في عددٍ من العلوم، وقد قام بتدوين آرائه ومتبنّياته الفكرية خلال مختلف مراحل حياته، فقد فعل ذلك حين إقامته بلبنان وقيامه بالتدريس في مدينة بعلبك وأثناء أسفاره العبادية لزيارة العتبات المقدّسة في العراق وحجّ بيت الله الحرام في بلاد الحجاز وأسفاره العلمية والتبليغية إلى عددٍ من المدن بما فيها حلب والقسطنطينية؛ وعلى هذا الأساس فمن المحتمل أنّه قام بتأليف جميع آثاره بعد سنة ٩٤٤هـ، وقد أكّد ابن العودي أيضاً على هذا الأمر وأضاف بأنّ الشهيد في بداية هذه المرحلة حتّى سنة ٩٤٨هـ حينما أصبح علماً بارزاً معروفاً لدى القاصي والداني، لم يكن يرغب بطرح مؤلّفاته بين الأوساط العلمية[٦٦]. ومن الجدير بالذكر أنّ الشهيد الثاني في سيرته الذاتية التي دوّنها سنة ٩٥٥هـ لم يشر إلى أيّ واحدٍ من مؤلّفاته في حين نجده غالباً ما يقوم في خاتمة كلّ كتابٍ يؤلّفه بتدوين التأريخ الدقيق لتأليفه.

رسالته المعروفة (عدم جواز تقليد الميّت) تعدّ أوّل مصدرٍ تطرّق فيه إلى موضوع بحثنا بشكلٍ صريحٍ، حيث ألّفها في شهر شوّال سنة ٩٤٩ه وشجّع طلاب العلم فيها على دراسة علم الفقه والسعي للاجتهاد. كما أشار فيها إلى أنّ كثيراً من الطلاب العجم يمضون عمرهم في طلب علوم الحكمة كالفلسفة والمنطق وما شاكلهما، وقال: إنّ هذا العمل إمّا أن يكون حراماً بذاته أو أنّ حرمته تعود إلى تعارضه مع أحد الواجبات الدينية، أي: إنّه يتعارض مع تحصيل الاجتهاد؛ واعتبره من أعظم المحن وأشدّ المصائب، حيث قال: "وأعظم من هذا محنةً وأكبر مصيبةً وأوجب على مرتكبه إثماً، ما يتداوله كثيرٌ من المتّسمين بالعلم من أهل بلاد العجم وما ناسبها من غيرهم في هذا الزمان، حيث يصرفون عمرهم ويقضون دهرهم على تحصيل علوم الحكمة كعلم المنطق والفلسفة وغيرهما ممّا يحرم لذاته أو لمنافاته للواجب"(٦٧).

وفي كتاب (منية المريد في أدب المفيد والمستفيد) الذي انتهى من تأليفه سنة ٩٥٤ه أشار بشكلٍ صريحٍ إلى حرمة (بعض الفلسفة) وعدّها نظيرةً للسحر والشعوذة ومثيرةً للشبهات والشكوك بين الناس، فقال: "وأمّا السنّة فكتعلّم نقل العبادات والآداب الدينية ومكارم الأخلاق وشبه ذلك، وهو كثيرٌ ومنه تعلّم الهيئة للاطّلاع على عظمة الله تعالى وما يترتّب عليه من الهندسة وغيرها. وبقي علومٌ أُخر بعضها محرّمٌ مطلقاً، كالسحر والشعبذة وبعض الفلسفة وكلّ ما يترتّب عليه إثارة الشكوك ..."(٦٨). نلحظ من هذا الكلام أنّه يتّخذ موقفاً حازماً تجاه الفلسفة ولا يمكن التشكيك في دلالته الصريحة، إلا أنّ موقفه في هذا الكتاب نفسه تجاه علم الكلام مشوبٌ بالترديد الحذر، فعلى سبيل المثال لدى بيانه أقسام العلوم الشرعية الأصلية(٦٩) قيّدها في أربعة موارد وأوّل موردٍ ذكره هو علم الكلام الذي

أشار إلى أنّه يسمّى ايضاً (أصول الدين) وعدّه أساساً للعلوم الشرعية، حيث قال: "فأمّا علم الكلام - ويعبّر عنه بأصول الدين - فهو أساس العلوم الشرعية وقاعدتها لأن به يعرف الله تعالى ورسوله وخليفته، وغيرها ممّا يشتمل عليه؛ وبه يعرف صحيح الآراء من فاسدها وحقّها من باطلها، وقد جاء في الحضّ على تعلّمه وفضله كثيرٌ من الكتاب والسنّة. قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...﴾ "، وبعد أن ذكر آياتٍ تدلّ على أهمّية المعارف التوحيدية وترغّب بطلب العلم والمعرفة، نقل رواياتٍ من توحيد الكليني وتوحيد الصدوق(٧٠). في هذا الفصل نفسه، حينما تطرّق إلى الحديث عن بعض العلوم الفرعية التي تعدّ أساساً لمعرفة العلوم الشرعية الأصلية، نجده لا يشير بشكلٍ صريحٍ إلى تلك العلوم الفرعية التي يتوقّف علم الكلام عليها، بل إنّه يذكر بصراحةٍ عدم حاجة معرفة الله تبارك وتعالى والإلمام بسائر المعتقدات الدينية إلى أيّ علمٍ من العلوم المتداولة لأنّ ذلك يتوقّف على النظر والتفكّر فحسب، فقال: "العلوم الفرعية: وهي التي تتوقّف معرفة العلوم الشرعية عليها، أمّا المعرفة بالله تعالى وما يتبعه فلا يتوقّف أصل تحقّقه على شيءٍ من العلوم، بل يكفي فيه مجرّد النظر، وهو أمرٌ عقليٌّ يجب على كلّ مكلّفٍ، وهو أوّل الواجبات بالذات، وإن كان الخوض في مباحثه وتحقيق مطالبه ودفع شبه المبطلين فيه يتوقّف على بعض العلوم العقلية كالمنطق وغيره"(٧١). ومن الطريف أنّ الشهيد الثاني عدّ وجوب النظر هنا بأنّه (أوّل الواجبات) وقد ذكرنا هذا الأمر آنفاً في ضمن إشارتنا إلى نقاشه مع أبي الحسن البصري، وسنذكره لاحقاً أيضاً.

وبهذا يتّضح أنّ الشهيد الثاني يعتقد بوجود اختلافٍ بين عامّة الناس

والعلماء على صعيد التكليف في علم الكلام، وهو في هذه الرؤية يخالف ما ذهب إليه بعض علماء الكلام من حيث اعتبارهم ضرورة هذا العلم لعوامّ الناس لكونه وازعٌ لتصحيح معتقداتهم؛ إلا أنّه لا يرى فائدته تكمن في الردّ على شبهات المعاندين فقط، لذا ليس من الغريب أنّه في خاتمة كتاب منية المريد ضمن تنظيمه للعلوم في رتبٍ متدرّجةٍ حسب مدى الفائدة من التعلّم، قال: إنّ علم الكلام مقدّمٌ على سائر العلوم لكنّه يأتي بعد تعلّم القرآن الكريم وعلوم العربية، حيث قال في ترتيبه لهذا: "... ثمّ ينتقل منه إلى علم الكلام ويتدرّج فيه كذلك ويطّلع على طبيعياته ليحصل له بذلك ملكة البحث والاطّلاع على مزايا العوالم وخواصّها، ثمّ ينتقل منه إلى أصول الفقه ..."[٧٢]. نستنتج من هذه العبارة أنّه لا يقيّد علم الكلام في إطار تحصيل العقائد الدينية، بل يراه ضرورياً على صعيد البحث والنقاش مع المعارضين والتعرّف على شتّى شؤون الكون وخصائص مختلف العوالم. إذن، على أساس هذا الترتيب فإنّ عدم الانسجام الموجود في المواضيع المطروحة في بادئ كتاب منية المريد يزول.

وبكلّ تأكيدٍ فلا بدّ من الالتفات إلى أنّ هدف الشهيد الثاني من تأليف هذا الكتاب هو إرشاد طلاب العلوم الدينية لكونه أشبه بالدراسة المقارنة بين العلوم الإسلامية، لذا نوّه الشهيد فيه على الرسالة الملقاة على عاتق علماء الدين.

إلى جانب رسالة (عدم جواز تقليد الميّت) وكتاب (منية المريد في أدب المفيد والمستفيد)، قام بتأليف آثارٍ أخرى وأجاب عن أسئلةٍ طرحها العلماء الذين عاصروه، حيث نستشفّ منها أنّه أعار أهميةً كبيرةً لبيان المنهج الصائب لاكتساب المعارف الدينية والتعريف بمكانة علم الكلام، كما نستنتج منها مدى أهمّية هذا الأمر وفائدته العملية بالنسبة إلى كثير من العلماء والمحقّقين الذين عاصروه؛

وهذه الأهمية تبدو جليّةً في تلك الأسئلة التي تكرّرت بصيغٍ عديدةٍ من قبل عدّة أشخاصٍ. ومن الجدير بالذكر هنا أنّ مضامين هذه المواضيع تنسجم بالكامل مع ما ورد في الكتاب والرسالة المشار إليهما أعلاه، وسنكتفي هنا بتسليط الضوء على جانبٍ ممّا ورد في كتاب (المقاصد العلّية في شرح الرسالة الألفية) وبعض إجاباته عن الأسئلة التي وجّهت له.

وقد قام بتأليف (المقاصد العلّية) في سنة ٩٥٠ه وهو شرحٌ لـ(الرسالة الألفية) للشهيد الأوّل والتي هي عبارةٌ عن شرحٍ لبعض أحكام الصلاة.

كتب الشهيد الأوّل حول شروط صحّة الصلاة ما يأتي: "ويشترط في صحّتها - الإسلامُ - لا في وجوبها، ويجب أمام فعلها معرفة الله تعالى وما يصحّ عليه ويمتنع وعدله وحكمته و ... كلّ ذلك بالدليل لا بالتقليد، والعلم المتكفّل بذلك علم الكلام".[(٧٣)] كما هو واضحٌ من هذا الكلام فالشهيد الأوّل يعتبر الإسلام شرطاً في صحّة الصلاة ويرى أنّ معرفة الله تعالى وأوصافه وأفعاله من الأمور الضرورية، ويؤكّد على كون ذلك يتحقّق عن طريق البرهان السليم وعلم الكلام. وقد ذكر الشهيد الثاني بعض المسائل وقام بشرحها وتحليلها لدى شرحه هذه العبارة، وما ورد في شرحه هذا يؤيّد ما ذكرناه في طيّات البحث سابقاً.

إنّ أهمّية مواضيع هذا الكتاب تحظى بأهمّيةٍ بالغةٍ لأنّها تتيح المجال للمقارنة بين مختلف آراء الشهيد الأوّل، فعند بيان عبارة "بالدليل لا بالتقليد" عرّف الشهيد الثاني الدليل كما يأتي: "ترتيب ما تطمئنّ به النفس من الأمور الموجبة لإثبات المعارف والجزم بها بأيّ ترتيبٍ اتّفق"، وعرّف التقليد المحض كالآتي: "الأخذ بقول الغير من غير حجّةٍ". هذا التعريفان يدلان على ما يأتي:

**أوّلاً**: الشهيد الثاني لا يعرّف الدليل بالمعنى المتعارف في علم الكلام ولا يتقيّد بما عرّفه علماء الكلام، وهو في هذا المجال يخالف سلفه الأوّل وسائر متكلّمي مدرسة الحلّة لأنّه لا يقيّد الدليل بالاستدلال العقلي والكلامي؛ فهو يعتبر الجزم بالمعارف حجّةً كيفما تمّ تحصيله.

**ثانياً**: قام الشهيد الثاني بتقييد أحد المصطلحات الهامّة المتداولة في المجال المعرفي بين علماء الكلام، ألا وهو التقليد الذي رفضه الشهيد الأوّل في مجال المتبنّيات العقائدية؛ حيث قيّد هذا النمط المرفوض بكونه محضاً ليصبح المصطلح (التقليد المحض) من منطلق اعتقاده بأنّ التقليد ليس مذموماً بذاته، بل يكون مذموماً عندما لا يستند إلى أمرٍ يجعله حجّةً، أي التشبّث بأحد الآراء بلا برهانٍ أو حجّةٍ تامّةٍ. حسب هذا الرأي فليس من القبيح بمكانٍ تقليد متبنّيات الآخرين الفكرية وآرائهم شريطة أن تكون مقبولةً وحجّةً عقلاً وشرعاً[٧٤].

وبعد هذا المبحث بقليل يؤكّد على أنّ الاستدلال المطروح في علمي الفلسفة والكلام لا يعدّ ضرورياً لأنّ الاطمئنان يمكن أن يتحقّق بدونه، حيث قال: "ولا ينحصر الدليل على هذه المعارف فيما ذكره العلماء، بل لا يشترط ترتيب مقدّماته على الوجه المعتبر في الانتاج عند أهل الحدّ والبرهان، وإنّما الواجب علينا من ذلك إقامة ما تطمئنّ به النفس بحسب استعدادها ويسكن إليه القلب بحيث يمنع من تطرّق الشبهة عن عقيدة المكلّف ويخرج عن التقليد البحت والعمى الصرف كدليل العجوز وغيرها"[٧٥]. من هنا نلاحظ أنّه ابتدأ يبتعد عن بعض آراء الشهيد الأوّل شيئاً فشيئاً لأنّه عدَّ الدليل بأنّه كلّ ما يحقّق الطمأنينة في النفس ناهيك عن رفضه لنمط الاستدلال الشائع بين علماء الكلام بحيث لا يرى له ضرورةً، فهو يعتقد أنّ إقامة الدليل يعدّ أمراً نسبياً، أي: إنّه يختلف بحسب الأفراد ومدى

قابلياتهم الفكرية لدرجة أنّ العجوز التي تستدلّ على وجود الله تعالى بواسطة غزلها، يكون استدلالها حجّةً معتبرةً بالنسبة إليها. وعلى هذا الأساس نجده يؤكّد هنا على أنّ علم الكلام مجرّد واجبٍ كفائيٍّ يمكن الاعتماد عليه لردّ شبهات الخصوم والحفاظ على المذهب من نفوذهم، لذا يكفي أن يتواجد في كلّ منطقةٍ عالمٌ واحدٌ بارعٌ في فنون علم الكلام كي يرجع الآخرون إليه؛ لكنّه في الحين ذاته ينوّه على ضرورة اطّلاع الإنسان على الأدلّة التفصيلية عند مواجهته شبهاتٍ حول معتقداته الدينية.

المسألة الأخرى الجديرة بالذكر حول تفسير الشهيد الثاني لمعنى الدليل ومفهومه هي تأكيده على سهولة تحصيل المعتقدات لكلّ إنسانٍ في زمانٍ يسيرٍ(٧٦)، فهو يقول بصريح العبارة إنّ أساس معرفة الله تعالى ونبوّة نبيّنا الكريم ﷺ ليس بحاجةٍ إلى تفاصيل وتفريعات أضافية، أي: إنّه عارض ما ورد في مقدّمات بعض الكتب العقائدية والكلامية التي عدّت من ينكر جميع المعتقدات التي لم تُذكر في هذه الكتب بأنّه كافرٌ(٧٧).

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ الشهيد الثاني في كتاب (المقاصد العلّية) يعتقد بوجوب النظر على جميع المكلّفين ويؤكّد على أنّه أوّل الواجبات(٧٨)، ولكن طبقاً لما ذكرنا فإنّ مفهوم النظر برأيه يختلف تماماً عمّا تبنّاه الشهيد الأوّل وسائر علماء الكلام الذين سبقوه.

ذكرنا آنفاً أنّ ابن العودي أشار إلى أنّ الشهيد الثاني عُرف بالفضل والعلم بين الأوساط العامّة والعلمية بعد سنة ٩٤٨هـلدرجة أنّ العلماء بمختلف مشاربهم رجعوا إليه في قضاياهم العلمية وطرحوا عليه كثيراً من الأسئلة، بما فيها أسئلةٌ ترتبط بموضوع بحثنا وقد طرحت عليه مراراً وتكراراً. على سبيل المثال فالأسئلة

التي طرحها شكر بن حمدان بن صالح الغروي في سنة ٩٥٢هـ والتي جمعت تحت عنوان (أجوبة مسائل شكر بن حمدان) فيها سؤال حول تحديد المعيار المناسب لمعرفة المعتقدات والأسلوب اللازم اتّباعه في ذلك كي يتحقّق الإيمان على أساسه وينال العبد النجاة في ظلّه. لدى إجابة الشهيد السعيد عن هذا السؤال نجده يذكر التعابير التي ذكرناها أعلاه، ويضيف عبارةً في غاية الأهمّية، وهي قوله: "والأغلب في عامّة الناس أنّ معارفهم مستندةٌ إلى دليلٍ، لكن لا يمكنهم التعبير، والعبارة غير شرطٍ"(٧٩). كما نلحظ في هذه العبارة فهو يرى أنّ الغالبية من عامّة الناس يتبنّون معتقداتهم على أساس الدليل من دون أن يتمكّنوا من بيانه والتعبير عنه، وفي ختام كلامه أكّد على عدم اشتراط الصيغ الكلامية في الاستدلال على العقيدة.

هناك سؤالٌ آخر طرحه شكر بن حمدان على الشهيد الثاني وهو يحظى بأهمّيةٍ أكبر من السؤال السابق من بعض النواحي، ويلخّص بما يأتي: إن قام شخصٌ بتقليد الآخرين في أصول الدين وأصبح اعتقاده جازماً بحيث لا يرجع عنه، لكن في الحين ذاته ليس باستطاعته إقامة دليلٍ عليه أو أنّه لا يعرف دليلاً يستند إليه مع كونه قادراً على النظر والتفكّر؛ فهل هو من زمرة المؤمنين وينال أجراً على ذلك أو لا؟

أجاب الشهيد عن هذا السؤال بالقول: "إقامة الدليل اللفظي غير شرطٍ في الإيمان، بل يكفي انقداحه في النفس بحيث تطمئنّ إلى مدلوله بأيّ وجهٍ اتّفق كدليل العجوز وغيره، وأمّا التقليد المحض فغير مجزٍ ولا موجبٍ للإيمان"(٨٠). هذه الإجابة تدلّ على أنّ الشهيد يؤكّد بصراحةٍ على عدم ضرورة النظر وتحصيل الأدلّة التفصيلية لمن هو عاجز عن ذلك، بمعنى عدم ضرورة السعي لدراسة مباحث علم الكلام بوصفها ليست شرطاً في الإيمان أو كسب الثواب.

إذن، نستنتج ممّا ذكر أنّ الشهيد الثاني وإن أوجب النظر في العقائد، لكنّ تعريفه يختلف لهذا الأمر عمّا تبنّاه علماء الكلام اختلافاً تامّاً لأنّه يرى أنّ عامّة الناس لديهم أدلّةٌ على معتقداتهم رغم عدم قدرتهم على إقامتها وبيانها للآخرين بشكلٍ منطقيٍّ. فهو يصرّح بأنّ الدليل الحقيقي هو أمرٌ كامنٌ في قرارة الإنسان ويوجد الطمأنينة في نفسه بمضمونه، وفي هذا المضمار لا يحتاج المكلّف إلى أيّ صيغٍ وتراتيب خاصّة، أي: إنّ الطمأنينة إن تحقّقت في نفسه فهي حجّةٌ مهما كان طريقها.

ومن ضمن الأسئلة التي طرحت عليه، ما ذكره السيّد ابن طراد الحسيني، لكنّها ذكرت في أجواء مختلفة عمّا طرح سابقاً، ويلاحظ فيها أنّ الشهيد الثاني لم يتشدّد في مسألة وجوب الدليل بالمستوى السابق. من جملة تلك الأسئلة سؤالٌ عن أقلّ مراتب المعرفة، فلو أنّ شخصاً لا يتقن الاستدلال على العلوم والمعارف ويترك بلاده مسافراً، هل أنّ سفره هذا يدرج ضمن موضوع (سفر المعصية) أو لا؟

في الإجابة عن هذا السؤال، وضّح الشهيد معنى معرفة الله تعالى وصفاته معتبراً ذلك أدنى مراتب المعرفة، ثمّ قال: "وإن لم يقم على كلّ مسألةٍ دليلاً، لعسر ذلك على أكثر الناس وما كان النبيّ صلى الله عليه وآله يكلّف الناس غير ذلك ... وهذا أمرٌ سهلٌ يمكن حصوله في ساعةٍ واحدةٍ"[٨١].

كما هو واضحٌ في هذا الجواب فإنّ رؤية الشهيد الثاني تختلف نوعاً ما عمّا جاء في الأجوبة السابقة، حيث عدل عن ضرورة إقامة الدليل حتّى ضمن الأحوال التي تكون المعرفة فيها واجبةً؛ وعبر تأكيده على أنّ معرفة الدليل تعدّ أمراً صعباً على معظم الناس عدّ إقامته على جميع المعتقدات ليس ضرورياً لأنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والمؤمنين الأوائل لم يطلبوا من المسلمين أكثر من الإيمان بالمعتقدات

التي جاءت بها التعاليم الإسلامية، وأشار إلى أنّ هذا الأمر يمكن تحصيله بشكلٍ سريعٍ ويسيرٍ.

وفي إجابته عن سؤالٍ آخر أكّد أيضاً على هذا المبنى وعدَّ إقامة الدليل واجباً كفائياً، وقال: "وأمّا إقامة الدليل على ذلك فهو فرضٌ كفايةً على أهل القطر لتقوية الضعفاء وإزاحة الشبهة العارضة ومقاومة الخصم بالحجّة إن اتّفق"[٨٢]. نلمس في هذه العبارة أنّ الشهيد لم يشر إلى مسألة (وجوب النظر) ولم يذكر ماهية التكليف بالنسبة إلى هذا الواجب الأوّلي؛ لكن من الواضح بمكانٍ أنّه في هذه المرحلة لا يدافع عن هذا المبدأ الكلامي بنفس الأسلوب السابق.

من المحتمل أن يكون آخر وأهمّ نتاجٍ علميٍّ للشهيد الثاني على هذا الصعيد رسالته الموجزة (الاقتصاد والإرشاد إلى طريق الاجتهاد في المبدأ والمعاد وأحكام أفعال العباد) والتي صرّح فيها بأنّه وضّح رؤيته في مجال المنهجية السائدة حول علم الكلام في إطار تحليلٍ نقديٍّ، ولأوّل مرّةٍ في آثاره نجده يتحدّث عن السيّد ابن طاووس الذي كان نـدّاً بارزاً لعلماء الكلام في مدرسة الحلّة ويشير إلى ما قاله حول النهج الكلامي السائد آنذاك والنقد الذي وجّهه له ويتطرّق إلى ما ذهب إليه من صحّة النهج الذي اتّبعه الأنبياء والرسل.

تتضمّن هذه الرسالة مواضيع لم تطرح في سائر آثاره العلمية بحيث ذكرها بصراحة العبارة وتمسّك بها بشكلٍ غير مسبوقٍ؛ فعلى سبيل المثال حينما تحدّث عن الفلسفة قال: "وإنّما تنشأ هذه الحالة للإنسان من الأُنس بترّهات الملاحدة والأُلف بمزخرفات الفلاسفة".[٨٣] ومن الميزات الأخرى التي اتّصفت بها هذه الرسالة، التأكيد على عدم الحاجة إلى علمي المنطق والأصول، حيث ذكر أدلّةً فريدةً من نوعها على عدم نجاعة هذين العلمين[٨٤]، إلا أنّ الأهمّ من كلّ ما ذكر بالنسبة

إلى موضوع بحثنا، هو ذكره أدلّةً تثبت عدم الحاجة إلى النهج الذي سار عليه علماء الكلام وأدلّةٍ تثبت عدم صوابه.

حسب ما لدينا من معلوماتٍ فلم يشكّك أحدٌ بكون رسالة (الاقتصاد والإرشاد إلى طريق الاجتهاد في المبدأ والمعاد وأحكام أفعال العباد) من تأليف الشهيد الثاني، ولكنّها لم تُذكر في الفهرس الذي دوّنه ابن العودي والذي أتمّه صاحب (الدرّ المنثور)، إلا أنّ الأخير نقل عن بعض مشايخه قولهم إنّ مؤلّفات الشهيد الثاني بلغت ستّين أثراً.[٨٥] وقد ذكر له الشيخ الحرّ العاملي رسالةً في الاجتهاد عدّها صاحب روضات الجنّات بأنّها رسالة الاقتصاد والإرشاد نفسها إذ كانت لديه نسخةٌ منها، وأشار إلى أنّ السيّد صدر الدين القمّي أيضاً قد نسب هذه الرسالة إليه[٨٦].

لو تأمّلنا في عنوان هذه الرسالة، نستشفّ من كلمة (الاجتهاد) أنّ المؤلّف يعدّ هذا الأمر وسيلةً مشتركةً لمعرفة أصول الدين وفروعه على حدٍّ سواء. في بادئ الأمر كان الشهيد يعدّ الفطرة أساساً للتفكّر والاستدلال مستنداً إلى آية الفطرة والحديث النبوي: "**كلّ مولودٍ يولد على الفطرة**"، وأكّد على أنّ كلّ عاقلٍ يستدلّ على معتقداته حسب فطرته، حيث قال: "فثبت أنّ كلّ عاقلٍ مستدلٌّ بالطبع، مكتسبٌ للمجهولات بحسب الفطرة، ليس لها مُعلّم في بدء الأمر وأوّل الانتقال"[٨٧].

إذن، نستنتج ممّا ذكر أنّ الشهيد الثاني لا يعارض الاستدلال بتاتاً، بل يعدّه طريقاً هامّاً وآمناً لمعرفة الحقيقة، وهذه الرؤية تختلف عمّا نحا إليه علماء الكلام من جهتين أساسيتين، كما يأتي:

**أوّلاً**: يعتقد بكون مسألة (الجزم والإذعان) أمراً ضرورياً في الإيمان، لكنّها غير مشروطةٍ بالاستدلال، حيث قال: "والحاصل أنّ المعتبر في الإيمان

الشرعي هو الجزم والإذعان، وله أسبابٌ مختلفةٌ من الإلهام والكشف والتعلّم والاستدلال، والضابط هو حصول الجزم بأيّ طريقٍ اتّفق، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق"[٨٨].

بناءً على ما ذكر، فهو يعتقد بوجود طرقٍ أخرى للإيمان تنوب عن الاستدلال، من قبيل الإلهام والكشف والتعلّم من الآخرين، إلا أنّها مشروطةٌ بتحقّق الجزم والإذعان.

**ثانياً**: يؤكّد على عدم حاجة المكلّف إلى أيّ علمٍ مدوّنٍ لتحصيل الإيمان والاستدلال على المعتقدات، فهو في غنىً عن المنطق وعلم الكلام وسائر العلوم العقلية، لكونه قادراً على نيل المعرفة اللازمة عبر الإشارات والتنبيهات الشرعية والفطرة السليمة؛ حيث قال: "فظهر أنّ تحصيل الإيمان لا يتوقّف على تعلّم علم الكلام ولا المنطق ولا غيرها من العلوم المدوّنة، بل يكفي مجرّد الفطرة الإنسانية على اختلاف مراتبها والتنبيهات الشرعية من الكتاب والسنّة المتواترة أو الشائعة المشهورة بحيث يحصل من العلم بها بالمسائل المذكورة"[٨٩].

بعد هذا الكلام ذكر ثلاثة أدلّةٍ لإثبات عدم حاجة المكلّف إلى علم الكلام، حيث نلمس منها أنّه تأثّر بآراء السيّد ابن طاووس[٩٠].

وضمن فصلٍ مستقلٍّ، تطرّق الشهيد إلى المخاطر الناجمة من علم الكلام عادّاً إيّاه علماً إسلامياً ابتكره علماء الكلام بغية معرفة الصانع وصفاته الجليلة وعدّوه الطريق الوحيد لهذا الأمر أو أنّه أقصر الطرق المتاحة؛ لكنّه اعترض على هذا الافتراض قائلاً: "والحقّ إنّه أبعدها وأصعبها وأكثرها خوفاً وخطراً"[٩١]. ولأجل إثبات رأيه هذا، رأى أنّ أفضل دليلٍ هو اللجوء إلى الأحاديث التي تنهى عن علم الكلام، لذلك ساق أحدها في ضمن مقارنته بين ما كان متداولاً حول علم الكلام في

عهد الأئمّة المعصومين عليهم السلام وفي عصره، كما نوّه على خطورة هذا العلم، قائلاً: "هذا حال الكلام الذي كان في أوّل الإسلام، ولا شكّ في أنّه ما كان بهذه المثابة من البحث والخصومة؛ فما ظنّك بهذه المباحثات والخصومات الشائعة في زماننا"؟! طبعاً يقصد اعتراض الأئمّة عليهم السلام على علماء الكلام الذين طرحوا مباحث كلامية في تلك الآونة، لذا فالأمر أكثر وضوحاً برأيه بعد عهد الأئمّة، أي: إنّه يعترض على النقاشات والمناظرات التي حدثت فيما بعد(٩٢).

في المباحث المشار إليها أعلاه، نلاحظ أنّ كتاب الاقتصاد والإرشاد تطغى عليه أقوال وأفكار السيّد ابن طاووس بشكلٍ جليٍّ، والشهيد الثاني بدوره عدّه مصدراً موثّقاً لما طرحه من آراء.

خلاصة الكلام أنّ الشهيد الثاني نحا منحىً مخالفاً لسلفه الشهيد الأوّل، حيث تغيّرت رؤيته في المرحلة المتأخّرة من حياته لابتعاده شيئاً فشيئاً عن النهج الكلامي الذي تبنّته مدرسة الحلّة ومن ثمّ مال إلى الفكر المعرفي الحديثي في هذه المدرسة والذي برز فيه السيّد ابن طاووس.

حاولنا في هذا البحث إثبات أنّ ما ذكره الشهيد الثاني في رسالته (الاقتصاد والإرشاد إلى طريق الاجتهاد في المبدأ والمعاد وأحكام أفعال العباد) وإن كان صريحاً وبيّناً بشكلٍ غير مألوفٍ بالنسبة إلى سائر آثاره، إلا أنّ أساس رؤيته لعلم الكلام وسائر العلوم العقلية العقائدية قد نشأت وتكاملت في إطار حركةٍ طبيعيةٍ مرّت بعدّة مراحل زمنية؛ ومن ثمَّ فإنّ هذا الأمر أوجد تبايناً فكرياً بينه وبين سلفه الأوّل على صعيد العلوم العقلية رغم تقاربهما الفكري المشهود في المباحث الفقهية.

ومن الجدير بالذكر أنّ اهتمام الشهيد الثاني بالمباحث العقلية كان أكثر من سلفه الشهيد الأوّل، والحقيقة أنّ الأمر لم يقتصر على هذا الحدّ فحسب، بل فاقه أيضاً على صعيد الاهتمام بالمعارف العقائدية، وهناك كثير من الشواهد التي تدلّ بوضوحٍ على نزعته الفكرية التي كان لها أثر كبير على أحفاده الكرام الذين حملوا راية العلوم الدينية في منطقة جبل عامل لمدّةٍ تجاوزت قرناً من الزمن، وقد حذوا حذو جدّهم الكريم؛ وبكلّ تأكيدٍ فإنّ هذه الحركة العلمية حريّةٌ بالبحث والتحليل في إطار دراسةٍ مبسوطةٍ مستقلّةٍ.

## * هوامش البحث *

١- محمّد بن مكّي بن محمّد بن حامد العاملي النبطي الجزيني، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول ٧٣٤هـ - ٧٨٦هـ (١٣٣٣م - ١٣٨٤م) فقيه إمامي أصله من النبطية (في بلاد عامل)، سكن (جزين) بلبنان ورحل إلى العراق والحجاز ومصر ودمشق وفلسطين. اتّهم في أيام السلطان (برقوق) بالانحلال في العقيدة، فسجن في قلعة دمشق سنةً، ثمّ ضربت عنقه.

٢- زين الدين بن عليّ بن أحمد العاملي الجبعي ٩١١هـ - ٩٦٦هـ (١٥٠٥م - ١٥٥٩م ) عالمٌ بالحديث باحثٌ إماميٌّ، ولد في (جبع) بلبنان ورحل إلى ميس، ومنها الى كرك نوح، ثمّ قصد مصر فالحجاز فالعراق فبلاد الروم، وأقام أشهراً في الآستانة وعيّن مدرساً في المدرسة النورية ببعلبك، فوشي به واشٍ إلى السلطان، فطلبه، فعاد إلى الآستانة محفوظاً، فقتله المحافظ عليه وأتى السلطان برأسه، فقتل السلطان قاتله.

٣- آثار الشهيدين تمّ جمعها في ضمن موسوعتين مستقلّتين من قبل مركز إحياء التراث الإسلامي تحت عنوان (موسوعة الشهيد الأوّل وموسوعة الشهيد الثاني).

٤- سديدالدين محمود الحمصي الرازي، المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد، ج ١، ص١٧ - ١٨.

٥- الشيخ ميثم البحراني المولود سنة ٦٣٦هـ والمتوفّى سنة ٦٩٩هـ.

٦- المحقّق محمّد بن الحسن الجهرودي الطوسي المولود سنة ٥٩٧هـ والمتوفّى سنة ٦٧٢هـ.

٧- الشيخ السعيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان (المعروف بالشيخ المفيد) المولود سنة ٣٣٦هـ والمتوفّى سنة ٤١٣هـ.

٨- الشريف أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين المرتضى (المعروف بعلم الهدى) المولود سنة ٣٥٥هـ والمتوفّى سنة ٤٣٦هـ.

٩- أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ الطوسي (المعروف بشيخ الطائفة) المولود سنة ٣٨٥هـ والمتوفّى سنة ٤٦٠هـ.

١٠- للاطّلاع أكثر، راجع: محمّد تقي سبحاني، عقل گرائی و نص گرائی در كلام شيعه (باللغة الفارسية)، مقالة نشرت في مجلة (نقد ونظر)، العددان ٣ و ٤.

١١- علي أصغر فقيهي، آل بويه نخستين سلسله قدرتمند شيعي (باللغة الفارسية)، ص ٣٢٥.

١٢- دوّن القطب الراوندي رسالةً تطرّق فيها إلى الحديث عن الخلاف الكلامي الذي نشب بين الشيخ المفيد وتلميذه السيّد المرتضى، حيث عدّ ذلك شاهداً على عدم نجاعة منهجية علم الكلام. (نقلاً عن: كشف المحجّة لثمرة المهجة، ص ٦١).

للاطّلاع أكثر على أحوال ابن القطب الراوندي وآثاره العلمية، راجع: محمّد بن سعيد بن هبة الله الراوندي (ظهير الدين)، عجالة المعرفة في أصول الدين، قم، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، ١٩٩٨م.

١٣- سديدالدين محمود الحمصي الرازي، المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد، ج ١، ص ١٧ -١٨.

١٤- نجم الدين محفوظ بن وشّاح الحلّي المولود سنة ٦٠٢هـ والمتوفّى سنة ٦٧٦هـ.

١٥- رضيّ الدين عليّ بن موسى بن طاووس الحلّي المتوفّى سنة ٦٦٤هـ.

للاطّلاع أكثر، راجع: الميرزا عبد الله الأفندي، رياض العلماء وحياض الفضلاء، ج ٢، ص٤١٢؛ آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ج ٣، ص ٧١.

١٦- الشيخ الفقيه مفيد الدين محمّد بن عليّ بن محمّد بن جهم الأسدي المتوفّى سنة ٦٨٠هـ.

١٧- محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ٦٠؛ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، أمل الآمل، ج ٢، ص ٢٥٤.

١٨- المحقّق الحلّي يعدّ واحداً من تلامذة هذه المدرسة الكلامية، وقد انعكست تعاليمها في

متبنّياته الفكرية بشكلٍ واضحٍ، حيث قال في كتاب (المسلك في أصول الدين): "ولـمّا كانت الطرق إلى ذلك مختلفة والوسائل إليه منكرة ومعرفة، وجب أن نسلك أتمّها تحقيقاً وأوضحها مسلكاً وطريقاً، وهو المنهج الذي سلكه متأخّرو المعتزلة؛ رأيت أن أملي مختصراً يقصر عن هجنة التطويل ...". المصدر السابق، ص ٣٣ – ٣٤.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ مصحّح كتاب (المسلك في أصول الدين) قال: ادّعى بعضهم أنّ المقصود من المعتزلة المتأخّرين القاضي عبد الجبار وأتباعه ومعاصروه، لكنّ هذا الكلام واضح البطلان لأنّ القاضي عبد الجبار هو من أواخر معتزلة البصرة لكنّ منهج الاعتزال المتأخّر قد بدأ في الحقيقة بتلميذه أبي الحسين الذي تمرّد على أستاذه.

للاطّلاع أكثر، راجع: أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ص ١١٢ – ١١٨.

١٩- محمّد كاظم رحمتي، فرقه هاي اسلامي در ايران (باللغة الفارسية)، ص ١٣ وما بعدها.

٢٠- للاطّلاع أكثر، راجع: إيتان كوهلبيرغ، كتابخانه ابن طاووس واحوال او (باللغة الفارسية).

٢١- الشيخ أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري المتوفّى سنة ٦٠٥هـ.

٢٢- ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، بيروت، دار صعب ودار التعارف.

٢٣- رغم أنّ السيّد صرّح في هذه العبارة أنّه تحدّث في مقدّمة كشف المحجّة عن نشاطاته في علم الكلام والأساتذة الذين اكتسب علومه الكلامية منهم، لكنّ النسخ المتوفّرة من هذا الكتاب لا تتضمّن هذا الأمر.

للاطّلاع أكثر، راجع: رضي الدين عليّ بن طاووس الحلّي، كشف المحجّة لثمرة المهجة،ص٥٩.

٢٤- المصدر السابق، ص ٥٤.

٢٥- المصدر السابق، ص ٧٠.

٢٦- مثالٌ على ما ذكر: بعد أن أثبت حدوث الأجسام عن طريق مبدأ (زيادات الأجسام)، أكّد مباشرةً على أنّ هذا الدليل لا يتمّ إلا باعتبار ثبوت تماثل الأجسام، وعلى هذا الأساس لا بدّ من الاعتماد على خصوصية كون الجسم مؤلّفاً كي تثبت مقدّمة الاستدلال.

للاطّلاع أكثر، راجع: المصدر السابق، ص ٦٥ – ٦٦.

٢٧- لقد أكّد السيّد ابن طاووس في مواطن عديدة من كتابه على هذه الكيفية، واستخدم مصطلح (الطريق) مراراً للإشارة إلى هذا الأمر.

للاطّلاع أكثر، راجع: المصدر السابق، ص ٥٢ و ٥٤.

٢٨- المصدر السابق، ص ٤٨.

٢٩- المصدر السابق، ص ٥١ و ٦٨.

٣٠- المصدر السابق، ص ٥١.

٣١- المصدر السابق، ص ٦٤.

٣٢- المصدر السابق، ص ٥٥.

٣٣- المصدر السابق، ص ٤٨ – ٤٩.

٣٤- المصدر السابق، ص ٤٨ و ٥٠.

٣٥- المصدر السابق، ص ٥٢.

٣٦- المصدر السابق، ص ٤٩ وما بعدها.

٣٧- المصدر السابق، ص ٦٠ وما بعدها.

٣٨- تطرّق السيّد ابن طاووس في هذا المجال إلى شرح وتحليل آية (الفطرة) لإثبات صحّة ما تبنّاه.

للاطّلاع أكثر، راجع: المصدر السابق، ص ٥٢ و ٥٤.

٣٩- المصدر السابق، ص ٥٤ و ٥٥.

٤٠- المصدر السابق، ص ٥٥.

٤١- المصدر السابق، ص ٦٥.

٤٢- فخر الدين محمّد بن الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي المولود سنة ٦٨٢هـ والمتوفّى سنة ٧٧١هـ.

٤٣- محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٧٧ – ١٧٨.

٤٤- المصدر السابق، ص ١٨٨.

٤٥- الميرزا حسين النوري (المحدّث النوري)، خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٢٩، ص ٣٥٤.

٤٦- محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٩، ص ٧٠.

٤٧- رضا مختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، ص ٤٣ وما بعدها.

٤٨- تمّ جمع هذه المؤلّفات الأربعة ضمن كتابٍ واحدٍ محقّقٍ ومدقّقٍ تحت عنوان: (رسائل الشهيد الأوّل) وتمّت طباعته سنة ٢٠٠٢م من قبل منشورات بوستان كتاب في مدينة قم.



٤٩- للاطّلاع أكثر، راجع: رضا مختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، ص ١٢ – ١٥.

٥٠- الشيخ جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمّد بن الحسين بن محمّد السيوري الحلّي الأسدي المتوفّى سنة ٨٢٦هـ.

٥١- دوّن الفاضل المقداد شروحاً على آثار العلامة الحلّي، وبما فيها كتاب (نهج المسترشدين) و(الباب الحادي عشر) و(واجب الاعتقاد)، كما قام بشرح رسالة (الفصول) وتفسيرها للخواجة نصير الدين الطوسي.

٥٢- النسخة المخطوطة لكتاب (أنوار الملكوت)، العتبة الرضوية المقدّسة، رقم النسخة ٣٢.

٥٣- رضا مختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، ص ٤٠.

٥٤- للاطّلاع أكثر، راجع: محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٩٤.

٥٥- المصدر السابق، ص ١٩٨.

٥٦- محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٧، ص ١٨٨.

٥٧- جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، ص ١٠٥ وما بعدها.

٥٨- محمّد باقر الموسوي الخوانساري، روضات الجنّات، ج ٣، ص ٣٥٢.

٥٩- عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي، الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٥٩.

٦٠- المصدر السابق، ص ١٥٩.

٦١- المصدر السابق.

٦٢- الشيخ أبو الحسن البكري صاحب كتاب (الأنوار في مولد النبيّ (ص))، وهو سنّي المذهب.

٦٣- المصدر السابق، ص ١٦٤ – ١٦٥.

٦٤- جاء في الدرّ المنثور: السيّد عليّ بن السيد الجليل النبيل حسين الصائغ العاملي (أدام الله توفيقه)، قرأ عليه وسمع جملةً نافعةً من العلوم في المعقول والمنقول والأدب، وغير ذلك.
للاطّلاع أكثر، راجع: عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي، الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٩٣.

٦٥- من جملة ما قاله الشهيد الثاني في هذه الإجازة: "بل أجزت له رواية جميع ما صنّفه ورواه وألّفه علماؤنا الماضون وسلفنا الصالحون من جميع العلوم النقلية والعقلية والأدبية والعربية بالطرق التي لي إليهم".

للاطّلاع أكثر، راجع: محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٨، ص ١٤٩.

٦٦- عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي، الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٣.

٦٧ - زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، رسائل الشهيد الثاني، ج ١، ص ٥٥.

٦٨- زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، ص ٣٨١.

٦٩- تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الشهيد الثاني اعتبر اطلاق مصطلح (العلوم الشرعية) على علم الكلام ناشئٌ من استعمال بعض العلماء له، وإلا فالعلوم الشرعية برأي بعضهم تقتصر على ثلاثة موارد، هي: علم الكتاب - علم الحديث - علم الفقه، لكنّه لا يعير أهميّةً كبيرةً لهذا التقسيم.

للاطّلاع أكثر، راجع: المصدر السابق، ص ٣٨٣.

٧٠- المصدر السابق، ص ٣٦٥ وما بعدها.

٧١- المصدر السابق، ص ٣٧٧.

٧٢- المصدر السابق، ص ٣٨٦.

٧٣- المصدر السابق، ص ٩٢ – ٩٣.

٧٤- المصدر السابق، ص ٩٥.

٧٥- المصدر السابق، ص ١٠٢.

٧٦- المصدر السابق، ص ٩٦ – ٩٧.

٧٧- المصدر السابق، ص ١٠١.

٧٨- المصدر السابق، ص ٩٧.

٧٩- زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، رسائل الشهيد الثاني، ج ١، ص ٥٥٨ – ٥٥٩.

٨٠- المصدر السابق، ص ٥٦٣.

٨١- المصدر السابق، ص ٥٨٧ – ٥٨٨.

٨٢- المصدر السابق، ص ٥٨٩.

٨٣- زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٧٥٦.

٨٤- المصدر السابق، ص ٧٦٢ – ٧٦٧.

٨٥- عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي، الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٨٩.

٨٦- محمّد باقر الموسوي الخوانساري، روضات الجنّات، ج ٣، ص ٣٧٩.

٨٧- زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، رسائل الشهيد الثاني، ج ٢، ص ٧٥٣.

٨٨- المصدر السابق، ص ٧٥٧.

٨٩- المصدر السابق، ص ٧٥٨.

٩٠- المصدر السابق، ص ٧٥٣ – ٧٥٤.

٩١- المصدر السابق، ص ٧٥٩.

٩٢- المصدر السابق، ص ٧٦١.

## * مصادر البحث *


١) الميرزا عبد الله الأفندي، رياض العلماء وحياض الفضلاء، قم، ١٤٠١هـ.

٢) محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، أمل الآمل، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨١م.

٣) سديد الدين محمود الحمصي الرازي، المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد، قم، منشورات مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ.

٤) محمّد كاظم رحمتي، فرقه هاي اسلامي در ايران (باللغة الفارسية)، طهران، منشورات بصيرت، ١٩٩٧م.

٥) رضي الدين عليّ بن طاووس الحلّي، كشف المحجّة لثمرة المهجة، قم، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٧هـ.

٦) محمّد بن مكّي العاملي (الشهيد الأوّل)، رسائل الشهيد الأوّل، قم، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

٧) محمّد بن مكّي العاملي (الشهيد الأوّل)، أربع رسائل كلامية، قم، منشورات بوستان كتاب، ١٩٩٩م.

٨) زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، قم، منشورات بوستان كتاب، ٢٠٠٦م.

٩) زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، رسائل الشهيد الثاني، الجزءان الأوّل والثاني، قم، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢١هـ.

١٠) زين الدين بن عليّ العاملي (الشهيد الثاني)، المصنّفات الأربعة، قم، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

١١) آغا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، الجزءان الثاني الثالث، قم، منشورات إسماعيليان، بلا تأريخ طباعة.

١٢) عليّ بن محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي، الدرّ المنثور، قم، ١٣٩٨هـ (دار النشر غير معروفة).

١٣) المقداد بن عبد الله السيوري الحلّي (الفاضل المقداد)، اللوامع الإلهية، قم، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

١٤) علي أصغر فقيهي، آل بويه نخستين سلسله قدرتمند شيعي (باللغة الفارسية)، طهران، منشورات صبا، ١٩٨٥م.

١٥) إيتان كوهلبيرغ، كتابخانه ابن طاووس واحوال او (باللغة الفارسية)، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٩٩٠م.

١٦) محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، الجزءان ١٠٧ و ٢٠٨، طهران، منشورات المكتبة الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

١٧) الميرزا حسين النوري (المحدّث النوري)، خاتمة مستدرك الوسائل، قم، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٥هـ.

١٨) المحقّق الحلّي، المسلك في أصول الدين، مشهد، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ.

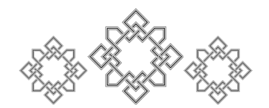
١٩) رضا مختاري، الشهيد الأوّل حياته وآثاره، قم، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٦هـ.

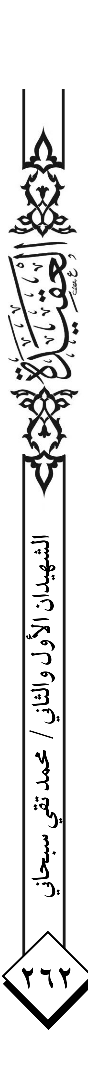
٢٠) محمّد باقر الموسوي الخوانساري، روضات الجنّات، قم، منشورات إسماعيليان، ١٣٩١هـ.

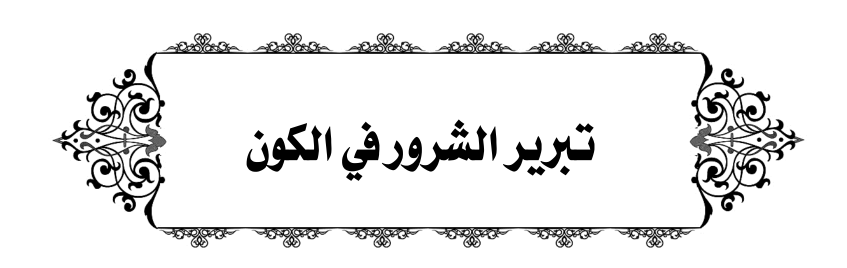
٢١) جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، بيروت، دار الروضة، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٢) أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة.

٢٣) النسخة المخطوطة لكتاب (أنوار الملكوت)، العتبة الرضوية المقدّسة، رقم النسخة ٣٢.







# تبرير الشرور في الكون

د. عبدالحسين خسرو بناه

ترجمة: محمد حسين الواسطي

السؤال عن أسباب حدوث الشرور في العالم، وكيفية التخلّص منها هو أحد أعرق الأسئلة التي اعترضت طريق الإنسان منذ القدم؛ بغضّ النظر عن دينه أو معتقده. وهي قضيّة تناولها معظم المفكّرين بالبحث والدراسة، بل هي مسألة تستوقف كلّ إنسان في مسيرته التكاملية فكريّاً وعقليّاً.

لقد ارتبطت مشكلة الشرور هذه في الشرق والغرب بعدد من القضايا العقائدية الجادّة، وأسفرت عن تبلور فلسفات ونزعات مادّيّة، وثنوية، وتشاؤميّة، وما يُسمّى بلاهوت الصيرورة[1]. وما زالت هذه المشكلة تمثّل إحدى أبرز المسائل الأساسية في فلسفة الدين والكلام واللاهوت؛ حيث يُتساءل فيها عن كيفية التوفيق بين حدوث الشرور والآلام في العالم وصفات إلهية مثل: القدرة، والعلم، والخيريّة المطلقة، والعدل، والحكمة الإلهية.

من هنا، فإنّ فكّ رموز هذه المسألة وسبر أغوارها بما ينسجم مع القضايا الدينية المسلّمة أمر مهمّ وحيويّ، ولا يُستهان به، لا سيّما أنّ أيّ إخفاق تقع فيه

المنظومات الفكريّة المنتمية للأديان الإلهية (الإسلام، والنصرانيّة، واليهوديّة) ضمن سعيها لتقديم عرض معقلن في هذا الصدد من شأنه أن يُلحق أضراراً جسيمةً في إيمان الناس، وتعرّضهم لأخطار فادحة.

## نطاق البحث في قضية الشرور:

**ترتبط قضية الشرور والآلام بمجموعة من المعتقدات الأساسية من جهات متنوّعة، وقد أفضت نتائج البحث فيها إلى شبهات مختلفة. وهنا يمكن الإشارة إلى بعض المعتقدات المرتبطة بهذه المسألة:**

**١. وجود الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى**: فقد طرحت قضية العلاقة بين الإيمان بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ ووجود الآلام والشرور على طاولة البحث بقوّة في دراسات فلسفة الدين والعلوم اللاهوتية المعاصرة في الغرب. وقد تشبّث بعضهم في محاولاته لإبطال المعتقدات الدينية وعلى رأسها الإيمان بوجود الله جَلَّ وَعَلا ساعياً إلى إنكار عقلانيّتها ببعض التقارير المنطقية عن هذه المسألة؛ منهم على سبيل المثال: جون ليزلي ماكي[٢] (١٩٨١م) الذي زعم بوجود مفارقة بين الإيمان بإله قادر مطلق، وعالم مطلق، وخيّر مطلق من جهة، وبين وجود الآلام والشرور في العالم من جهة أخرى[٣].

**٢. التوحيد الإلهيّ**: والسؤال المطروح هنا هو: هل يتلاءم القول بوجود الشرور التي تقابل الخير مع القول بوحدانية المبدأ والخالق؟ وقد أدّى العجز عن حلّ هذه الإشكالية إلى ظهور الثنوية، والإيمان بإله الخير (يزدان) وإله الشرّ (أهريمن)، أو إله النور وإله الظلمة.

**٣. القدرة الإلهيّة المطلقة**: لماذا لا يقوم الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ مع كلّ ما يملكه من قدرة مطلقة بدفع الشرور أو رفعها؟ وكيف التوفيق بين وجود هذه الشرور وصفة القدرة الإلهية المطلقة على تبديد أيّ مكروه؟ وقد أدّى العجز عن حلّ هذه المسألة عند أصحاب النزعة المسمّاة بلاهوت الصيرورة في الغرب إلى القول بأنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ يتكامل بنحو تدريجيّ على مرّ الزمن، وزعموا أنّ امتلاك مزيد من العلم والقدرة من شأنه التسبيب في التغلّب على النوائب والصعاب شيئاً فشيئاً، والحدّ من ازديادها، وتقليلها إلى مستويات متدنية جدّاً.

**٤. العدل الإلهيّ**: والسؤال هنا: هل يمكن الإذعان بوجود شرور طبيعية، والبقاء على الإيمان بالعدل الإلهي؟ لقد أدّى إنكار الأشاعرة للحسن والقبح الذاتيين في الأفعال، ونفي قدرة العقل على تحديد الحسن والقبيح إلى إنكار صفة العدل في الله عَزَّ وَجَلَّ؛ بما يعني: عدم وجود معيار عقلانيّ توزن به الأفعال جميعاً؛ بما فيها: الفعل الإلهي، حتّى خلصوا إلى القول بأنّ «كلّ ما يصنعه الحبيب جميل». وفي المحصّلة: إذا انعدم الحسن والقبح الذاتيان والعقليان فكيف يمكن الحديث عن خير أو شر؟ فكلّ الأفعال مستند إلى الله جَلَّ وَعَلا، وكلّ ما يفعله الربّ خير؛ فلا وجود - إذن - للشرّ.

**٥. الرحمة والخير الإلهيّان**: وهنا يتساءلون: كيف يصحّ في ربّ رحيم وخيّر مطلق أن يجوّز حدوث أو ظهور كلّ هذه الشرور؟!

**٦. الحكمة الإلهيّة**: والسؤال فيها: ألا تتقاطع الشرور في الكون وتتنافى مع الحكمة الإلهية، والهدفية التي أثبتناها له تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ؟!

**٧. القضاء الإلهيّ والعناية الربانيّة**: وهنا يُقال: كيف يمكن للشرور أن

تقتحم حريم القضاء الإلهي والعناية الربانية؟ أليسا يقتضيان تحقّق الخير في العالم؟ أم أنهما يقتضيان وقوع الشرّ فيه؟!

٨. **النظام الأحسن في الكون**: والشبهة المطروحة هنا حول كيفية التوفيق بين وجود الشرور والآلام ووجود النظام الأحسن؛ فإذا كان عالم الطبيعة هذا هو أحسن عالم يمكن له أن يرى النور، فلِمَ - إذن - خُلق بنحو لا ينفكّ فيه عن الشرور؟! وقد أفضى العجز عن إيجاد حلّ لهذه المسألة لى نشوء فلسفات تشاؤميّة؛ مثل: فلسفة شوبنهاور[٤] (١٨٦٠م).

وحصيلة البحث هنا أنّ خيوط مشكة الآلام والشرور قد تشابكت مع خيوط البحث عن أصل وجود الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تارةً، ومع التوحيد بصفته أهمّ الصفات الإلهية تارةً أخرى، ومع بعض الصفات الإلهية الأخرى ثالثةً، وقد فُتحت في كلّ ميدان منها جبهة يجب الخوض فيها بحثاً ودراسةً؛ لما تتحلّى به من ضرورة وأهمّيّة.

**أنواع الشرور:**

**يمكن تصنيف الشرور بنحو عامّ إلى نوعين رئيسين:**

١. **الشرور الإرادية (الأخلاقية)**: وهي الشرور التي تنتج عن سوء اختيار الإنسان، وانحطاطه الأخلاقيّ؛ كما في ما يقترفه من قتل أو نهب أو ظلم أو سرقة أو ما سوى ذلك.

٢. **الشرور غير الإرادية (الطبيعيّة)**: وهي النوائب والصعاب التي تنجم عمّا تفرضه الطبيعة وتقلّباتها، أو التي تنشأ من تفاعل بعض أجزاء الطبيعة مع بعضها الآخر؛ مثل: السيول، والزلازل، والأوبئة، والأمراض، وما سوى ذلك.

وقد يحلو لبعضهم إضافة نوع ثالث لما ذكر باسم «الشرور العاطفية»، ومثالها: ما يصيب الإنسان من ألم، ونصب، وعوز، وهمّ، وغمّ، وانكسار، وما سوى ذلك(٥). لكن، يتحتّم الالتفات إلى أنّ الشرور العاطفية ليست نوعاً مستقلاً عمّا ذكر؛ فالحوادث والنوائب التي تلمّ بالإنسان - مثل: السيول والزلازل - لا تُعدّ شروراً إن لم تُسفر عن ألم أو نَصَب، والحوادث - بحدّ ذاتها - لا تشكّل شرّاً للإنسان، بل تُعدّ شروراً حينما تسبّب إصابةً أو ضرراً في حياة الناس، ويتقارن معها أيّ لون من ألوان الأذى والألم. كما أنّ الشرور الأخلاقية لا تتصف بالشرّ إلا حيث تتسبّب في إيجاد الشرور العاطفيّة. وعليه: فإنّ الشرور العاطفية نابعة من منشأ أخلاقيّ تارةً، ومن منشأ طبيعيّ تارةً أخرى.

ومن اللافت للأنظار هنا أنّ المتكلّمين المسلمين قد استخدموا في بحوثهم عن الشرور مفردة «الآلام» أيضاً؛ ليشيروا بذلك إلى أنّ حقيقة الشبهة في قضيّة الشرور تعود إلى حالة الأذى والألم التي تنتج عنها؛ وإن رجّح الفلاسفة الاكتفاء بمصطلح «الشرّ» نظراً إلى الواجب العلمي الذي تضطلع به الفلسفة بشأن كشف الواقع ومعرفة الوجود، وقد ذهبوا إلى أنّ الشرور أمور عدميّة. ومن ثَمَّ: اقتضت أبحاث الأنطولوجيا في الفلسفة إلى تناول عنوان «الشرور»، ومن ثمّ إثبات أنّ الشرّ أمر عدميّ؛ بخلاف المتكلمين الذين يُحتّم عليهم واجبهم العلميّ تبيين المعتقد الديني والدفاع عنه، وقد اقتضى البحث عندهم استخدام عنوان «الآلام»، ثمّ الحديث عن حكمة وجودها.

### معقولية الإيمان بالله ومشكلة الشرور:

الإيمان بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ - بصفته موجوداً كاملاً سامياً وفوق كلّ كمال

أو جمال - أمر كامن ومستقرّ في فطرة كلّ إنسان. والفرصة متاحة لأيّ شخص في أن يرجع إلى ذاته، وينظر في باطنه، ليتعرّف على خالقه، ويؤمن به. كما أنّ شمولية الإيمان بالله جَلَّ وَعَلا واتّساع رقعة المؤمنين به بين الأغلبية الساحقة من البشر على طول التاريخ يشهد على فطريّة هذا المعتقد.

وفي الوقت ذاته، يمكن للعقل أن ينظّم ما يملكه من قضايا أوّليّة في نسق منطقيّ ليصل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عن طريق العلم الحصوليّ، ومن الممكن أيضاً أن تتعاضد البراهين العقلية مع المعلومات البديهية الواضحة للوصول في نهاية المطاف إلى إثبات وجود الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ. وتتحلّى هذه البراهين التي تأتي بأجمعها لتعزيز المعطيات الفطريّة عند الإنسان بوظيفتين أساسيّتين؛ هما:

١. أنّها مؤهّلة لإقناع أولئك الذين علقوا في دوّامة الشبهات المتنوّعة، لكنّهم ما زالوا يحاولون الكشف عن وجه الحقيقة .

٢. أنها تعرض المعتقد الديني والإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ في هيئة معقلنةٍ، وقابلةٍ للتبنّي عقلاً[٦].

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ الإيمان بوجود الله جَلَّ وَعَلا يبتني على الفطرة وعلى البراهين العقلية أيضاً. ومع ذلك، إذا غضضنا الطرف عن دليل الفطرة أو الأدلة العقلية، فلا يمكن لأحد أيضاً أن يحكم ببطلان الإيمان بوجوده تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، أو بكونه منافياً للعقل. ولا يكفي مجرّد إنكار الفطرة أو ردّ أدلّة إثبات وجود الله لنفي وجوده من الأساس، أو الحكم بكون ذلك منافياً للعقل. ولتبرير إنكار وجود الله، ليس أمام المنكرين سوى أن يقيموا الدليل على نفي وجوده سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ، أو إثبات التعارض بين الإيمان به والعقل.

لقد حاول فلاسفة الدين الملحدون - الذين لم يألوا جهداً في إظهار المعتقدات الدينية على أنها أمور غير عقلانية - أن يثبتوا استحالة وجود الله، وأن يلمّعوا صورة ما يخالف ذلك، ليبدو عقلانياً، وعندما عجزوا عن ذلك اكتفوا بالإعلان عن عدم عقلانية الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ. هذا، علاوةً على محاولاتهم ومساعيهم الحثيثة في ردّ براهين إثبات وجود الله جَلَّ وَعَلا.

### قضية الشرور وشبهة هيوم:

تمثّل قضية الشرور والآلام إحدى الذرائع التي تشبّث بها الفلاسفة الملحدون، بل لعلّها الأهمّ - أو الدليل الأوحد أحياناً - في مسعاهم لرفض وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، والحكم بعدم عقلانيّة الإيمان به؛ حتّى وصف البعض هذه القضيّة بأنها الملجأ الذي يأوي إليه الإلحاد(٧).

هذا، ويسمّى الجهد المبذول في سبيل هذا الهدف في فلسفة الدين باسم «الإلحاد الطبيعيّ». ويُعدّ الفيلسوف التجريبي ديفيد هيوم (١٧٧٦م) من زمرة أولئك الذين حاولوا التصدّي لردّ براهين إثبات وجود الله، وكذلك إقامة أيّ حجّة على نفي وجوده، وقد اعتمد في ذلك على قضيّة الشرور(٨).

ويرتكز استدلال هيوم على أنّ العالم حافل بالشرور الكثيرة، فكيف يجيز إله يُوصف بالقدرة المطلقة والخير العميم وقوع هذا الكمّ الهائل من الشرور العظيمة؛ مثل: السيول، والزلازل، والحروب الطاحنة، والمجازر بحقّ الأبرياء، وهلمّ جرّاً؟! لماذا لا ينظّم الكون بنحو لا يسمح فيه بوقوع هذه الشرور؟! ويقول في هذا أيضاً:

هل يروم الربّ إلى إيقاف الشرّ فلا يقدر على ذلك؟ إذن فهو عاجز! هل هو

قادر لكنّه لا يريد؟ إذن هو مريد للشرّ! هل هو قادر ومريد؟ إذن من أين يأتي الشرّ؟! لماذا يوجد السوء والشؤم في العالم من الأساس؟ من الواضح أنّ هذا ليس تصادفيّاً، بل مسبَّب عن علّة؛ فهل هو مسبَّب عن قصد إلهيّ؟ لكنه مريد للخير المطلق! فهل أتى ذلك رغماً عن القصد الإلهيّ؟! لكنّه قادر مطلق! .. [٩].

**مناقشة شبهة هيوم:**

قدّم المفكّرون المسلمون وغيرهم سبلاً مختلفة لحلّ مشكلة الشرور.

وهنا نكتفي بالإشارة إلى بعض منها فيما يأتي:

١. يبتني استدلال هيوم على فرضيّة أُخذت مأخذ الأصل الموضوع؛ وهي أنّ الموجود المريد للخير سوف يقضي على أيّ شيء تفوح منه رائحة الشرّ! في حين أنّ عموميّة هذه القضيّة مخدوشة من الأساس. نعم؛ يمكن للموجود المريد للخير الفاقد لصفة الحكمة وإتقان الصنع في أفعاله أن يكون على هذا الحال، وأن يقارع أيّ شيء متّصل بالشرّ، لكنّك إذا افترضت موجوداً مريداً للخير، ويتحلّى بالحكمة، ويزن أفعاله بها، فسوف تجد أنه لا يتنازل عن الخير الأسمى إذا توقّف عليه الرضا بشرّ ضئيل؛ لا سيّما إذا كان ذلك من لوازمه المنطقية؛ فالأب الحكيم الذي يروم الخير لولده يصبّ الدواء المرير في جوف ابنه؛ وإن عُدّ ذلك شرّاً بأيّ نحو من الأنحاء. وعليه: فإنّ زعم التلازم بين إرادة الخير والقدرة المطلقة من جهة، وإنكار أيّ لون من ألوان الشرّ - حتّى ما يقع مقدّمة للخيرات السامية - باطل، ولا أساس له من الصحّة، بل إنّ إرادة الخير هذه تقتضي منه الرضا ببعض الشرور والآلام طالما وقعت مقدّمةً لاكتساب خير أكبر وأسمى. ومن ثَمَّ: فإنّ شرّيّة هذه الشرور ليست مطلقة ولا دائميّة، بل تتّصف بنوع من الخيريّة؛ لأنّها وقت مقدّمةً لحلول خير

أكبر وأسمى. هذا، ناهيك عن أنّ القادر المطلق إذا أراد أن يوجد عالماً يتحلّى بمواصفات معيّنة وتترتّب عليه بنحو التلازم المنطقي بعض الشرور التي إذا نظر للعالم بنحو كلّيّ ومآليّ لتبيّن أنّها ضئيلة قليلة، فإنّ هذا لن يتنافى أو يصطدم بقادريّته المطلقة، أو كونه مريداً للخير المحض، وهما أمران يجتمعان من دون أيّ مشكلة منطقيّة. نعم؛ لا ننكر أنّ القادر المطلق لا يعجز عن التصدّي لهذه الشرور القليلة من خلال الإحجام عن خلق مناشئها، فتزول بذلك من الأساس؛ وذلك لأنه قادر مطلق، لكن هذا الفعل بذاته مخالف لحكمته وفيّاضيّته وإرادته للخير؛ إذ يترتّب على ذلك ضياع خير وفير عميم لأجل شرّ ضئيل قليل، وهو بحدّ ذاته شرّ كبير! وبعبارة أخرى: العالم المادّيّ الجسمانيّ - بذاته - ملازم لبعض الشرور المترتّبة على وجود الحركة والزمان والتضادّ في الحركة - كما في حركة الغاز تحت الأرض الذي قد يبلغ مرحلة الانفجار أحياناً - لكن خير ذلك أكثر بكثير من الشرّ المترتّب عليه.

٢. افترض أنّ أيّاً من الحلول المقدّمة لمشكلة الشرور لم تكن مقنعة، وافترض أنّ الموحِّد اعترف بجهله السبب الذي دعا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ للسماح بحدوث الشرّ، فما النتيجة التي يمكن أن نخرج بها من ذلك؟ ما الذي يدعو إلى تخيّل أنّ الإنسان هو أوّل من يجب أن يقف على السبب المقنع والتبرير الصحيح لفعل الله عَزَّ وَجَلَّ؟! وفي المحصّلة: لماذا يجب أن يكون جهلنا بالتبرير المقنع دليلاً على عدم وجود تبرير مقنع؟! فلعلّ الله يملك تبريراً ودليلاً صحيحاً ومقنعاً للسماح بحدوث الشرور في العالم، لكنّه أعقد من أن تفقهه عقولنا مثلاً. والموحِّد يرى من خلال توظيفه لبرهان اللِّمّ (العلم بالمعلول عن طريق العلم بالعلّة) أنّ الله جَلَّ وَعَلا يمتلك التبرير الذي يسمح بحدوث الشرّ؛ وإن كان يجهله هو.

**والتساؤل الأساس هنا**: كيف يستنتج من ذلك أنّ الإيمان بوجود الله باطل أو غير عقلانيّ؟! وببيان آخر: قد يؤدّي الفشل في حلّ مشكلة الشرور إلى بروز إشكالية عند من يحصر إثبات وجود الله في دراسة ظواهر الخلق والنظام العامّ السائد على الكون، ومن لا يرى الله إلا في ظلّ النُظُم في هذه الخليقة، لكنّ المتكلّمين والفلاسفة توصّلوا في قضيّة إثبات وجد الله عن طريق برهان اللِّمّ إلى حلّ الإشكاليّة، وطريقهم إلى الله غير منحصر في النُظُم الحكيمة والمتقنة في هذا العالم. إذن، فلنفترض فرداً لم يتغلّب على مشكلة الشرور بنحو منطقيّ، لكنّ إيمانه واعتقاده لن يتصدّع عندئذٍ؛ لوجود طرق أخرى أثبتت له وجود الله وعدله وحكمته بعيداً عن نظام الخلق، بما يجعله عنده من اليقينيّات والمسلّمات؛ وإن كان غير قادر على عرض ذلك بنحو تفصيليّ[10]. وبناءً على ذلك، لا يحقّ للملحد من أجل إثبات موقفه أن يُطلق وابلاً من الأسئلة المحيّرة التي قد لا يهتدي الموحِّد إلى إجابات مفصّلة عليها، ثم يقف جانباً بكلّ هدوء وسكينة[11].

### قضيّة الشرور وشبهة ماكي:

استغلّ الفيلسوف الطبيعي الأستراليّ المعاصر جون ليزلي ماكي[12] (١٩٨١م) مشكلة الشرور ليستخدمها بوصفها حربة في صراعه مع الإيمان بوجود الله جَلَّ وَعَلا، فهو يرى أنّ وجود الشرّ لا ينسجم مع بعض الصفات الإلهية الأساسية؛ مثل: العلم المطلق، القدرة المطلقة، وإرادة الخير المحض. ويؤكّد من جهة أخرى أنّ الإله الفاقد لهذه الصفات لا يمكن له أن يكون إلهاً حقيقيّاً في أعين المتألّهين. ويخلص بناءً على ما تقدّم إلى إنكار وجود الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على الأقلّ في المستى الذي تصوّره الأديان الإلهيّة[13]. ومن ثَمَّ: نحن أمام زعم مفاده المفارقة المنطقيّة، أو قل:

اللاانسجام بين الإيمان بالله والإذعان بوجود الشرور[١٤]. يقول ماكي في مقال له بعنوان «الشر والقدرة المطلقة» ما نصّه:

إنّ تحليل قضيّة الشرّ يكشف لنا فقدان المعتقدات الدينية لأيّ مرتكز عقلانيّ، وانعدام قابليتها للإثبات العقليّ، بل يدلّنا أيضاً إلى أمر مسلّم به وهو كون تلك المعتقدات غير عقلانيّة؛ بما يعني أنّ بعض مقاطع هذه النظرية الكلامية العامة لا تنسجم مع مقاطع أخرى منها [١٥].

وقد أوضح استدلاله بقوله:

مسألة الشرور في أبسط صورها على النحو الآتي: «الله قادر مطلق» و«الله خيّر مطلق»، ومع ذلك «الشر موجود» ثلاث قضايا متناقضة؛ بحيث إذا صدقت اثنتان منها، فإنّ الثالثة كاذبة [١٦].

وهو يعترف أنّ التناقض المزعوم بين هذه القضايا الثلاثة ليس بتناقض صريح كما نجده بين القضيتين: «الإنسان فانٍ» و«ليس صحيحاً أنّ الإنسان فانٍ»، بل التناقض فيما نحن فيه ضمنيّ يتطلّب إظهاره اللجوء إلى قضيتين أُخريين؛ هما: «الخير يقابل الشرّ؛ بحيث أنّ الفرد الخيّر يطرد الشرّ ما استطاع»، و«لا حدود لقدرة القادر المطلق»، ثمّ يُقال: «لازم المقدمات المذكورة أنّ الخيّر المحض والقادر المطلق يطرد الشرّ ويبدّده بشكل كامل». ولهذا، فإنّ قضيّتي «القادر المطلق موجود»، و«الشرّ موجود» قضيّتان متناقضتان[١٧]. ويقول أصحاب هذا الرأي: إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ يمتلك العلم والإرادة والقدرة المطلوبة لتبديد الشرّ، وإذا كان وجود الشرّ ليس بضرورة منطقية، فلا يجب إذن أن يكون هناك شرّ.

ومع ذلك فإنّ بعض الناقدين يرون أنّ صرف وجود الشرّ لا يتنافى مع وجود

إله الأديان التوحيدية، بل الذي لا ينسجم مع وجود إله مثل هذا هو كثرة الشرّ في العالم. ويرى آخرون أنّ اللاانسجام يظهر بشكل أجلى بين الشرور الطبيعية ووجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وهذا الرأي يرتكز على تصوّر مفاده أنّ الله يُبيح صدور الشرور الأخلاقية من الإنسان المختار، لكنّه لا يسمح بحدوث الشرور الطبيعية التي تبدو عبثيّة وعمياء. والقاسم المشترك بين هذه الأدلّة هو مصيرهم إلى وجود نوع من عدم الانسجام بين وجود الشرور ومجموعة المعتقدات الدينية بشأن الله جَلَّ وَعَلا(١٨).

**مناقشة شبهة ماكي:**

يمكن إبطال الاستدلال الذي جاء به ماكي بسلوك إحدى الطرق الآتية:

١. يكفينا في نقض هذا الاستدلال - كما يعترف ماكي نفسه - أن نُخرج أيّاً من القضايا المذكورة عن اليقين والقطعيّة.

٢. أن نُثبت صدقيّة وجود الله القادر المتعال وإثبات وجود ذلك الإله الخيّر بالدليل القطعي؛ ذلك لأنّ جميع القضايا الصادقة منسجمة فيما بينها، وفي حالة إثبات صدق هاتين القضيتين فإنّ القضيّة الثالثة التي تتحدّث عن وجود الشرور في العالم ستكتسب معنى يؤهّلها للانسجام مع القضيتين السابقتين.

٣. أن يبرهن على أنّ اللاانسجام المزعوم بين القضيتين الأوليتين من جهة، والثالثة من جهة أخرى لم يثبت بالدليل، وأنّ أصحاب هذا الزعم أخفقوا في البرهنة على ذلك.

وقبل الولوج في تفاصيل مناقشة الاستدلال، نرى ضرورة الالتفات إلى أنّ القدرة الإلهية - كما يراها السواد الأعظم من المؤمنين بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ - قدرة

مطلقة لا يحدّها حدّ؛ لكنّ السؤال المطروح هنا هو: هل تتعلّق هذه القدرة بالمحالات المنطقية (العقلية) أيضاً؟ فمثلاً: هل تتسع دائرة القدرة الإلهية لتشمل خلق مربّع مدوّر؟ أو هل يقدر عَزَّ وَجَلَّ على أن يخلق شيئاً لا يكون مخلوقاً له؟!

الجواب على هذا عند غالبيّة المؤمنين بالقدرة الإلهية المطلقة وجميع المفكّرين المسلمين أنّ المحالات (الأمور الممتنعة عقلاً) لا يمكن لها أن تقع في دائرة القدرة الإلهية؛ لأنها - بذواتها - فاقدة لقابلية الوجود والتحقّق في الخارج، وهذا لا يعني أبداً الحدّ من القدرة. نعم؛ ذهب بعض المفكّرين إلى أنّ قيداً مثل هذا يُعدّ حدّاً وقيداً للقدرة الإلهية المطلقة، وأنّ هذه القدرة المطلقة لا تخضع حتّى للحدود المنطقية، فلا تُحدّ بها؛ وهو ما ذهب إليه ماكي[١٩].

ومن هنا، جاءت القضيّة الخامسة التي تحدّثت عن نفي الحدّ والقيد عن القادر المطلق بوصفها تفسيراً لمفردة «ما استطاع» الواردة في القضية الرابعة؛ حتّى لا يُقال إنّ الشرّ لازم منطقيّ للخير، وهو غير قابل للانفكاك عنه.

وعلى هذا الأساس، يمكن الردّ على استدلال ماكي؛ لإمكانية الخدشة في ما ذهب إليه من تعلّق القدرة المطلقة بالمحالات، ولإمكانية إبطال استدلاله حتّى لو سلّمنا جدلاً بمذهبه ذاك؛ حيث نقول عندئذٍ: إذا صحّ تعلّق القدرة الإلهية المطلقة بما يشمل المحالات العقلية والمنطقيّة، فما المانع إذن من أن يخلق هذا القادرُ المطلقُ الشرَّ بما يمتلكه من صفات؛ حتّى إذا استلزم ذلك التناقض؛ لاشتماله أموراً ممتنعةً عقلاً؟![٢٠] ولهذا فإنّ الحجّة المذكورة لا تتحلّى بأيّ متانة عقليّة أو رصانة منطقيّة.

ولو افترضنا أنّ صاحب الاستدلال تراجع عن مقولته، وأذعن بعدم تعلّق القدرة بالمحالات المنطقية، فيمكن الردّ عليه أيضاً من خلال سلوك الطرق

الثلاثة المذكورة آنفاً على النحو الآتي:

١. أن نُخرج أيّاً من القضايا الأربعة المذكورة عن دائرة اليقين والقطعيّة. وقد تبيّنا مما سبق أنّ القضية التي تحدّثت عن تعلّق القدرة بالمحالات ليست أنها فاقدة للقطعية وحسب، بل يمكن لنا القطع بأنها كاذبة؛ وقد ثبت ذلك في محلّه، وهو أمر بديهيّ لا يتطلّب منّا إلا تأمّلاً بسيطاً. وفي المحصّلة: إذا أثبت الإلهيّ امتناع انعدام الشرور، أو أثبت أنها من لوازم بعض الخيرات الكبرى التي لا تنفكّ عنها، أو أبدى احتمالاً في ذلك، فقد أبطل حجّة ماكي.

٢. أن نُثبت قطعيّة صدق القضيتين الأوليتين؛ فإنّ القضايا القطعية لا تتناقض مع القضايا الصادقة. وكما نعلم فإنّ البراهين اليقينية التي لا تقبل النقاش قد قامت على ضرورة وجود الواجب، وإطلاق علمه وقدرته وسائر صفاته الكمالية، وقد بُحثت جميعاً في محلّها[٢١].

٣. أن نكشف وهن الدليل الذي تشبّث به ماكي؛ إذ لا وجود لأيّ حجّة تثبت ما زعم من عدم الانسجام بين القضيتين الأوليتين والقضية الثالثة؛ حتّى وإن أضفنا إليها القضية الرابعة والخامسة. وقد سلك ألفن بلانتينغا هذا الطريق[٢٢]. وتوضيح ذلك أنّنا إذا أمعنّا النظر في القضية الرابعة لاتّضح أن هذه القضية ليست صادقة بالضرورة؛ إذ من الممكن أن يكون الموجود خيراً، وأن يكون حكيماً أيضاً، وأن يمتلك مبرّراً كافياً نابعاً من حكمته؛ لعدم وقوفه في وجه الشرّ، أو تبديده له؛ كما لو قرّر الأب الحنون المريد لخير ولده عدم دفع الشرّ عن ابنه؛ لأنه يرى في تجربة الأخطار التي تشكله بعض تلك الشرور كمالاً ضرورياً له. أمّا الأمر الذي يمكن أن يكون صادقاً بالضرورة فهو أمر جديد، وهو قضيّة سادسة يمكن أن نضعها كبديل عن القضية الثالثة؛ ومفادها: «لا يسمح الموجود

القادر المطلق والعالم المطلق والخيّر المحض بوجود الشرّ إلا إذا امتلك مبرّراً كافياً لذلك». ومع الاستعاضة عن القضية الثالثة بهذه القضية السادسة لا يبقى مجالاً للتناقض من الأساس؛ لأنّ الموحِّد يزعم - بل يُثبت - أنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مع أنه قادر على منع الشرّ من التحقّق، لكنّه نظراً لحكمته وفيّاضيّته وسائر صفاته الكمالية لم يشأ صنع ذلك؛ ورضي بوجود بعض الشرور؛ لأنّ في منعها زوالاً لخير أسمى وأعمّ. أمّا لو ادّعى أحدهم قضيّة سابعة؛ مفادها: «يستحيل على القادر المطلق والعالم المطلق والخيّر المحض أن يمتلك مبرّراً كافياً للسماح بوقوع أيّ لون من ألوان الشرّ» قاصداً بذلك ما يعمّ الشرّ النسبيّ، أو الشرّ الذي يأتي مقدّمةً ضروريّة لبعض الخيرات الكبرى، فالجواب على ذلك أن نقول: ليس أنّ هذه القضيّة فاقدة لوصف «الصدق بالضرورة» وحسب، بل هي كاذبة قطعاً؛ لوجود صفات إلهية مثل الحكمة والفياضية، وللضرورة المنطقية في وجود بعض الشرور المقدّمية، وعدم انفكاك بعضهم منها عن الخيرات.

### معقولية الإيمان بالصفات الإلهية وقضية الشرور:

قدّم المفكّرون المسلمون وغيرهم في معرض ردّهم على شبهة الشرور، وإثبات انسجامها مع الصفات الإلهية مجموعةً من الإجابات المتعدّدة في هذا الصدد؛ منها ما هو كلّيّ عامّ يدور حول إثبات الحكمة الإلهية، ومنها ما هو جزئيّ خاصّ يستعرض بعض مصاديق الحكمة في ما نراه يحدث في هذا العالم من نوائب وآفات وبليّات، أو فقر وتمييز وزوالٍ للنِّعَم، أو غير ذلك من الشرور الطبيعية أو الأخلاقية.

وإنّ تناول جميع تلك الردود يتطلّب مجالاً واسعاً ومطوّلاً يمكن الوقوف على تفصيلاته في كتاب «العدل الإلهي» للعلامة المطهّريّ ﵀. وفيما يأتي نشير إلى

بعض تلك الردود مستفيدين من هذا المصدر وغيره مع تصنيفها إلى أربعة اتجاهات ومناحٍ؛ هي: المنحى الكلاميّ، والفلسفيّ، والعرفانيّ، والتربويّ.

### المنحى الكلاميّ في الردّ على شبهة الشرور:

**الاتجاه الأول الذي يلفّ ردّنا على هذه الشبهة هو ما ذهب إليه المتكلّمون في ردودهم ذات الطابع النقليّ أو العقليّ، المنبثقة من الداخل الدينيّ أو من خارجه. وملخّصه ما يأتي:**

١. إنّ الله جَلَّ وَعَلا عالم قادر حكيم منزّه عن جميع مناشئ الظلم ودوافعه - مثل: الجهل، والعجز، والحاجة، والنقص - ولهذا، فلا يوجد ما يدعوه للظلم، أو قل: ما يتسبَّب في ممارسته الظلم على أحد من خلقه. أمّا الحكمة من الشرور والآلام والصعاب التي قد نجدها هنا أو هناك فأمر خارج عن نطاق علمنا، لكنّنا لا نشكّ في وجود حكمة أو فلسفة تقف خلفها. ومن الجدير بالذكر هنا أنّ وصف هذا المنحى بالدليل الفلسفيّ والعقليّ تابع لاعتماده على إثبات الحكمة الإلهية بمنهج عقليّ منبثق من خارج الأطر الدينية.

٢. قدّم المتكلّمون في تبرير الشرور بالحكمة الإلهية - علاوةً على الردّ العامّ أعلاه - مجموعةً من الردود التفصيلية الأخرى؛ منها على سبيل المثال قولهم: إنّ بعض الشرور المذكورة كالظلم والفقر والجوع وعشرات المعضلات الاقتصادية والسياسية والصحية وغيرها ما هي إلا شرور أخلاقية نابعة من إرادة البشر. وهذا الردّ كسابقه صحيح أيضاً، لكنّه لا يحلّ إلا مشكلة الشرور الأخلاقية؛ من دون أن يتطرّق إلى الحكمة الفاعلية في الشرور الطبيعيّة.

**المنحى الفلسفيّ في الردّ على شبهة الشرور:**

**الاتجاه الثاني الذي نتناوله هنا يعالج القضيّة من زاوية فلسفيّة خارجة عن الأطر الدينية؛ وهو ينطوي على الردود الآتية:**

١. ماهيّة الشرور من سنخ العدم: فالتحليل يدلّنا إلى أنّ العمى والصمم والجهل والعجز والمرض وأيّ لون آخر من ألوان الشرّ ليس إلا انعدام للبصر والسمع والقدرة والصحة. والعدم لا يتطلّب في نظام الأسباب والمسبّبات علّة موجدة، حتّى نحتاج إلى إسناد شيء إلى إله الخير (يزدان)، أو إله الشرّ (أهريمن)، أو إلى النور والظلام. وهذا الردّ الأفلاطونيّ قد يتناسب مع السؤال الأنطولوجيّ والفلسفيّ على الشرور، فيكشف لنا عن كون الشرّ أمراً عدميّاً، لكنّه لا يوضح لنا حكمة تلك الأعدام المسمّاة بالشرور؛ فلقائل أن يقول: لماذا لم يعالج الإله القادر هذه الأعدام، ويدفعها من الأساس؟!

٢. الشرور أمور نسبيّة: الجواب الآتي الذي قدّمه الفلاسفة في بحثنا أنّ هذا العالم ليس فيه شرّ مطلق؛ فالسيول الزلازل والوحوش والأمراض والأوبئة قد تكون شرّاً لبعض المخلوقات، بيد أنّها قد تكون خيراً لمخلوقات أخرى؛ فسمّ الحيّة الذي قد يفتك بالإنسان أحياناً، فيكون شرّاً لا محالة، هو خير إذا ما لاحظنا كونه الدواء الوحيد الذي ينقذ الإنسان من الهلاك أحياناً أخرى! وهذا الجواب صحيح أيضاً، لكنّه لا يجيب على السؤال المشار إليه آنفاً بنحو كامل؛ فالسؤال ما يزال باقياً: طالما أنّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ذو قدرة غير محدودة، وهو خيّر محض، فلِمَ لا تُقلَع هذه الشرور من جذورها، ويستريح العالم منها؟!

٣. اللاانفكاك بين الخير والشرّ: أجاب الفلاسفة من المدرسة المشّائيّة على السؤال بنحو مختلف؛ حيث قالوا: إنّ عالم الطبيعة هو عالم الحركة والتعارض

والتصادم، وإنّ الموجودات المادية في تكامل وحراك مستمرّ يخرجه على الدوام من القوّة إلى الفعل، وقد ينجم عن هذه الحركة تضادّ، أو تزاحم بينها، وعندئذٍ لا يمكن الفصل والتفكيك بين الشرور والخيرات؛ فالخيرية المحضة في هذا العالم رهينة بإيقاف عجلة الحركة، وانتفاء مادية العالم؛ أي: يلزم السلب بانتفاء الموضوع (انتفاء الحركة يساوي انتفاء عالم الطبيعة)، وحينئذٍ يلزم انتفاء الخير الكثير؛ وهو - في حدّ ذاته - شرّ كثير. فبزوال عالم الطبيعة وتلاشيه ننجو من الشرّ القليل، لكنّنا في الوقت ذاته سوف نخسر خيراً كثيراً؛ هو عالم الطبيعة. ناهيك عن كون بعض الشرور - مثل: التفاضل والاختلاف بين الأشياء - ناشئ عن اختلاف المناطق والأقاليم الجغرافية المتفاوتة فيما بينها أصلاً، وهذا هو مقتضى الطبيعة؛ بمعنى أنّ هذا الاختلاف يُعدّ من اللوازم الذاتية للطبيعة. وبعبارة أخرى: تتعلق الإرادة الإلهية بالخيرات أوّلاً وبالذات؛ وإن تعلقت بالشرور ثانياً وبالعرض.

**وعليه**: ليست الشرور متعلقة الإرادة الإلهية أوّلاً وبالذات؛ بل تبعاً وبالعرض. وإنّ هذه الإرادة العرضية التبعية لازم ذاتي للطبيعة، فنحن نُبتلى بالشرور إلى جانب تنعّمنا بالخيرات. ومع الإذعان بصحة هذا الردّ، لكنّه يعاني من أنّ شرّيّة الحوادث ليس بذاتيّ طبيعيّ لها؛ إذ توصف الحوادث بالشرّ من جهة إضرارها بالإنسان؛ فيرد السؤال هنا: لماذا لا تتكاتف القدرة والعدل والحكمة الإلهية لتنتج سيلاً أو زلزالاً أو حادثاً طبيعياً لا يلحق الضرر بالإنسان؛ كما لو حدث مثلاً في مناطق غير مأهولة؟! وطالما أنّ الحوادث الطبيعية ليست بشرور ذاتية، لم لا تتعلق الإرادة الإلهية بخيرات لا تستلزم شروراً عرضية؟!

٤. الخيرات أكثر من الشرور: يردّ الفلاسفة أيضاً بأنّ الشرور وإن وُجدت في هذا في العالم، لكنّها ليست بأكثر من الخيرات فيه؛ وإلا لما بقيت لعالم الطبيعة

باقية، ولتبدّد وفنى. وما بقاء العالم وثباته إلا دليل على غلبة الخيرات على الشرور. وبالنظر إلى ما تقدّم من نقاط، فإنّ هذا الردّ لا يُبدِّد الهواجس الكلامية، أو يحلّ مشكلاتها؛ فهو لا يفسّر لنا ما يبرّر وجود هذه الشرور القليلة في العالم، والسؤال القائل: لم لا ينطوي عالم الطبيعة مع وجود هذه الحوادث الطبيعية على خير مطلق؟ أو قل: لم لا تتحقّق هذه الحوادث في الطبيعة بنحو لا يطال الإنسان، ولا يجرّه إلى ويلاته؛ فيجري السيل أو يحلّ الزلزال مثلاً في موضع لا يؤثّر سلباً على الإنسان؟!

### المنحى العرفانيّ في الردّ على شبهة الشرور:

الاتجاه الثالث في الردّ على شبهة الشرور هو المنحى العرفاني؛ فقد انبرى العرفاء بما يملكونه من رؤية شمولية لحل هذه المسألة، نعرض قولهم بإيجاز على النحو الآتي:

**١. الرؤية الجزئيّة هي منشأ الشرور**: وهذا يعني أنّ الشرور نابعة من نظرتنا للأمور؛ فلو نظر الإنسان إلى عالم الطبيعة برؤية شمولية واسعة الأفق لرأى أنّ وجود ما وصفه بالشرّ أمر مناسب وضروريّ، بل لما وَجَد فيه أيّ شرّ أو ألم أو نَصَب؛ فنحن بنو البشر نحسب المحن والصعاب التي تواجهنا شروراً وآلاماً لأفقنا الضيّق ونظرتنا الجزئيّة للأمور، فنعيش حالة الاستياء والسخط باستمرار، أمّا لو بسط الإنسان بصره على المشهد بأكمله برؤية شمولية؛ كما لو لاحظ داراً بعموميّتها، لوجد أنّ المجاري والمرافق الصحّيّة فيها ضروريّة، ولما وصمها بالشرّ، أمّا لو قصر نظره على ما تطلقه من روائح كريهة لما تردّد في وصفها بالشرّ والسوء. ومع أنّ هذا الردّ صحيح - في حدّ ذاته - وهو يضع بين أيدينا حلاً عرفانيّاً عمليّاً كي لا نتجاهل الشرور والصعاب، بيد أنه عاجز عن الأخذ بيد الذين لم يبلغوا هذا المستوى العرفانيّ.

٢. **النظرة إلى الشرّ**: بعض الأمور الموصوفة بالشرّ إذا لوحظت بنظرة دنيوية بحتة فهي معدودة في زمرة الشرور، أمّا لو أخذنا عالم الآخرة بعين الاعتبار أيضاً، فلن يبقى مجال لعدّها من الشرور؛ فعلى سبيل المثال: الموت عند أصحاب النظرة الدنيوية شرّ وعذاب أليم، لكنّ المؤمن باليوم الآخر يراه انتقالاً من عالم إلى عالم آخر. وهذا الجواب صحيح أيضاً، وهو ناجع لحلّ عقد بعض الشرور، لكنّه لا يكفي لحلّها جميعاً. ولا يخفى أنّ حلّ المعضل النفسيّ والعاطفيّ للشرور لا يُلزمنا الوصول إلى ذلك من خلال طريق واحد؛ فمن الممكن سلوك طرق مختلفة لحلّ مشكلة الشرور في صوره ومصاديقه المختلفة.

### المنحى التربويّ في الردّ على شبهة الشرور:

قدّم بعض العلماء حلولاً تربويّة للأخذ بيد العالقين في شبهة الشرور والآلام؛ حيث ذهبوا إلى أنّ الشدائد والصعاب وما يلمّ بالإنسان من نوائب ومصائب لها دور مفصليّ في تكامل الإنسان علميّاً ومعنويّاً وصناعيّاً على مستوى الفرد والمجتمع. وعليه: فإنّ الشرور تفضي في نهاية المطاف إلى خير كثير، وهذا ما يكسبها لوناً من ألوان الخير. ومع أن هذا الردّ صحيح كذلك، غير أنه لا يجيب على المشكلة المشار إليها آنفاً؛ فالسؤال الملحّ هو: ألا يمكن الحصول على تلك الخيرات من دون الاضطرار إلى ركوب مقدّماتها الشرّيرة؟!

### الرأي المختار في الردّ على شبهة الشرور:

لا نرفض أيّاً من الحلول الكلامية والفلسفية والعرفانية والتربوية التي تقدّمت، غير أنّنا سوف نسلك طريقاً مختلفاً نظراً إلى إلحاح السؤال على كشف

الحكمة من وجود الشرور ونظراً إلى التساؤل الذي يقول: لماذا لم تُخلق الحوادث الطبيعية بنحو لا يُسفر عن مشكلة الشرّ، ولا ينتهي إلى تورّط الإنسان في دوّامةٍ من الآلام والصعاب؟!

**وخلاصة الجواب على ذلك فيما يأتي:**

ترتبط بعض الشرور بصلة تكوينية مع أعمال الإنسان كما في بعض ألوان العذاب الدنيوي، وجميع ألوانه الأخروية. ولهذا، يجب الالتفات إلى أن الصلة بين العمل من جهة، والجزاء في الآخرة أو بعض الجزاء في الدنيا من جهة أخرى ليست صلةً وضعيّةً جعليّةً؛ وإنّما هي صلة السبب والمسبَّب، وبعبارة أدقّ: الجزاء هو عين العمل في تجسّده الأخرويّ. والتدليل على هذا المدّعى متروك إلى حين الحديث عن الحياة في عالم ما بعد الموت عند التطرّق إلى بحث «تجسّد الأعمال».

وهذا الردّ في رأي كاتب هذه السطور أنجع في تفسير الحكمة عند الفاعل الإلهي بالنسبة إلى مسألة تحقق الشرور في هذا العالم. ولمزيد من تسليط الضوء على هذ الجواب نقول:

ترتهن شرّيّة الحوادث المؤلمة بنوعيّة تأثيرها وارتباطها بالإنسان؛ فوقوع الكوارث الطبيعية في الصحارى القِفار لا يُعدّ شرّاً لأيّ إنسان، كما أنّ حادثةً ما قد تكون شرّاً لقوم وخيراً لقوم آخرين، ويتوقّف اتّصاف الحوادث المريرة بالشرّ على اقترانها بالآلام والصعاب التي تتوجّه للإنسان. وقد أشرنا إلى مناسبة استخدام مفردة «الآلام» عند بعض المتكلّمين حين تطرّقهم لبحث الشرور. أمّا الفلاسفة فقد ركّزوا اهتمامهم بالحديث عن وجود الشرور أو عدم وجودها نظراً إلى هواجسهم الأنطولوجية عند تحليلهم لكلّ ظاهرة. ومن هنا، يستدعي البحث الفلسفيّ عن

الشرّ القول بأنّ الحوادث التي تتسبّب في الشرور إنّما تُفضي إلى تحقق أمور عدميّة؛ فشرٌّ مثل: الموت أو الإصابة الجسدية أو فقدان المال أو ما شاكل ذلك هو أمر عدميّ بلا شكّ، لكنّ اللافت للانتباه أنّ جميع ما ذكر يتسبّب في إيلام الإنسان وإيجاعه، وهذا أمر وجوديّ، وهو من سنخ العلم الحضوريّ، ويؤدّي أيضاً إلى خلق معضلات نفسانيّة عديدة للإنسان. ولهذا، فإنّ السؤال الكلاميّ في ما يخصّ الحكمة الإلهية وراء حدوث الآلام ما يزال قائماً.

والجواب على ذلك في تقديرنا أنّ الشرور الطبيعية - كما هو حال الشرور الأخلاقية - وليدة إرادة الإنسان، وأفعاله الاختيارية، وأنّ الحكمة والقضاء الإلهيين يقتضيان أن تكون إرادة الإنسان في طول الإرادة الإلهية، وقد شاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتحقّق الخير والشرّ بإرادة الإنسان نفسه. أضف إلى ذلك أنّ كشف هذه الحقيقة ليس من صلاحيّة العقل، ولا يجري من خلال الشهود والتجربة البشرية، أو الفلسفة والعرفان والعلوم التربوية، بل هو أمر يُستكشف من وحي التعاليم الدينية التي نصّ عليها الكتاب والسنة؛ فالدور المركزيّ الذي يضطلع به الدين الإلهي هو الكشف عن نقاب العلائق والصلات الخفية التي تربط بين فعل الإنسان وجزائه الدنيوي والأخرويّ.

ومع وجود هذا الردّ المشار إليه آنفاً يبقى سؤال آخر في المقام؛ ومفاده: صحيح أنّ جميع الشرور الطبيعية والأخلاقية وليدةٌ لإرادة الناس، لكنّ جميع هذه الشرور ليست وليدة ذلك الشخص المبتلى بالشرّ تحديداً؛ فقد يُبتلى الإنسان بشرّ ما، بيد أنّه ناتج عن إرادة إنسان آخر، ويمكن لمجموعة من الناس أن تورّط مجتمعاً بذنوب تقترفها، وتزجّ بها في أتون العذاب الإلهيّ، وفي ذلك المجتمع أناس أبرياء يقع عليهم الأذى والضرر، كما يمكن أن نشهد إضراراً أو إيذاءاً يوجّهه الإنسان

المذنب أو المجرم إلى الأبرياء بما يقترفه من أفعال سيّئة؛ كالقتل أو السرقة أو الاغتصاب. والسؤال الملحّ هنا هو: لماذا يجب أن يُبتلى هكذا إنسان بريء بالشرّ؟! وما الحكمة في ذلك؟

**والجواب**: أنّ الأناس الأبرياء قد يلتزمون الصمت أحياناً على الذنب أو الجريمة التي تُقترف في المجتمع، أو قد تراهم يُعربون عن قبولهم بها، تاركين واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن ثَمَّ: يتغيّر وضع هؤلاء الأبرياء بتورّطهم في ذنب مختلف عنوانه: «السكوت على الجريمة والقبول بها»، وهذا - بحدّ ذاته - كافٍ في شمول العذاب الإلهيّ لهم، كما أنّ الأناس الذين نعدّهم أبرياء حسب الظاهر قد يتعرّضون إلى الأذى والضرر بسبب إرادة بشريّة أخرى عن قصد أو عن دون قصد فيُبتلون بحادث مروريّ، أو يفقدون أموالهم في عمليّة سطوٍ، وما إلى ذلك، وهذا كلّه معلول لبعض ما جنته أيديهم؛ فلعلّ بعض أفعالهم مثل: عقوق الوالدين، أو التعدّي على حقوق أرحامهم أو جيرانهم هو منشأ بعض تلك الأضرار والحوادث المفاجئة. وهذه الحقيقة قد نُصّ عليها بشكل جليّ وواضح في ما ورد من نصوص دينية.

نعم؛ قد نجد أحياناً بعض الأناس الأبرياء الذين ابتلوا بالشرور الإرادية رغم أنهم لم يرضوا بالجريمة، بل أنكروها وانبروا للتصدّي لها، فأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولاقوا في سبيل ذلك الأذى والمضض، وأبرز مثال على ذلك ما لاقاه الأولياء والصالحون في واقعة كربلاء الأليمة؛ فقد استبيحت حرماتهم على أيد جناة طغاة اختاروا لأنفسهم حياة السبعية والتوحّش، فقتلوهم وأبادوهم لأنهم أبوا ظلم الطاغوت وثاروا عليه، أو مثل إنسان بريء يفقد حياته على يد قاتله ظلماً وجوراً. ويجب العثور على الحكمة في وقوع ذلك في بحث عدم قابلية التفكيك بين

إرادة الإنسان وعمله، وكذلك عدم قابلية التفكيك بين العمل الصالح أو الطالح وتداعياته أو آثاره التكوينية.

**توضيح ذلك**: أنّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يمارس الإنسان أفعاله الصالحة أو الطالحة بإرادته هو؛ فهل يمكن لنا أن نفترض إنساناً أراد القيام بفعل حسنٍ أو قبيح، ثمّ لا يتحقّق فعله، في حين أنّ نسبة إرادة الإنسان إلى فعله فلسفياً هي كونها الجزء الأخير من العلة التامة للمعلول؟! أو أن يتحقّق الفعل في الخارج من دون أن يوجد أثره التكوينيّ؛ كأن يرمي الإنسان بسهمه، فيصيب الهدف به من دون أن يُجرَح الهدف أو يُبتلى بأذى أو ضرر؟! الجواب سلبيّ طبعاً؛ لأنّ في ذلك اجتماعاً للنقيضين؛ وهو محال. نعم؛ يمكن للنار أن تتحوّل إلى جنّة غنّاء، فلا يحترق من بداخلها، أمّا طالما كانت النار ناراً فهي محرقة؛ لا محالة.

**وهنا يطرح هذا السؤال**: ما دام هذا حتميّ وضروريّ، فماذا نقول في الإنسان البريء؟ لقد قدّمت لنا النصوص الدينية في الإسلام بحثاً يرتبط بما سُمّي بـ «الأعواض»؛ ومفاده أنّ الله الحكيم العادل يعوّض الإنسان المتضرّر الذي حلّت به تلك المصائب والنوائب بما يجبر به ذلك؛ فيقال على سبيل المثال: إنّ المصيبة للإنسان المبتلى هي كفّارةٌ لذنوبه، أو أنه سوف يتنعّم بنِعم مادّيّة ومعنويّة دنيوية (مثل: حصوله على النفس الملهمة، أو المطمئنّة، أو على مرتبة علمية عالية)، أو يدفع عنه عذاب أخرويّ، أو يُخفَّف عنه ذلك العذاب؛ بما صبر عليه من هول المصيبة وأذاها.

### الآيات المتعلّقة بالشرور:

يمكن استنباط أغلب ما ورد من ردود سابقة - لا سيّما الرأي المختار في

الردّ على شبهة الشرور - من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي نستعرضها فيما يأتي بإيجاز:

١. الآيات التي تحدّثت عن وجود الشرور المتعدّدة؛ مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (٢٣)، ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤)، ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢٥) فالشرور - نظراً إلى وجود الألم والنَّصَب فيها - أمور وجوديّة؛ لا عدميّة.

٢. الطائفة الأخرى من الآيات هي التي أشارت إلى أنكم قد تعدّوا بعض الأشياء خيراً أو شرّاً لكنّ واقعها ليس كما تحسبون؛ أي: إنّ النظرة الشموليّة الجامعة تكشف لكم خلاف ذلك؛ منها قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢٦)، وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ (٢٧).

٣. الآيات التي تطرّقت إلى اقتران الخير بالشرّ، وأفادت أنّ السعادة تأتي من رحم المصيبة، وأنّ الآلام والنوائب مقدّمات لوجود الراحة والسكينة، وهي التي تتسبّب في حدوثها. ومثالها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢٨).

٤. الآيات الدالّة على السنن التكوينيّة؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(٢٩)، فقانون الجاذبية، واحتراق النار،

والبراكين، والزلازل ، وعشرات القوانين الأخرى، ما هي إلا سنن طبيعيّة لا تنفكّ عن الطبيعة بحال.

٥. الآيات التي أخبرت عن إسناد التطوّرات الاجتماعية، والصعاب، والآلام، والمصائب إلى إرادة الإنسان؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣٠]. ويشير القرآن الكريم إلى أنّ بعض ما يُبتلى أو يُصاب به الإنسان ناتج عن أعماله هو: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٣١]، وقد قصّت لنا الآيات الكريمة ما مرّت به الأمم المختلفة في غابر الزمان من ويلات، وطوفانات، وغرق، وما شاكل ذلك، مبيّنةً أنّ هذا كان جزاءً وانعكاساً لأفاعيلهم السيّئة. يقول تعالى في قصّة قوم لوط عليه السلام: ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [٣٢]، ثمّ يقول عقب ذلك: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [٣٣]، ثمّ يستعرض ما جرى على قوم شعيب عليه السلام قائلاً: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [٣٤]، ثمّ يتناول قصص عاد وثمود وفرعون وقارون وهامان بقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣٥]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ﴾[٣٦]، ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وِأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٣٧]، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن

قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾(٣٨)، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾(٣٩)، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾(٤٠)، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤١).

٦. رغم أنّ الشرور الطبيعية والأخلاقية ناتجة عن إرادة طائفة من الناس؛ حيث يشكّل بعضهم بإرادتهم منطلقاً للشرور والآلام، تذهب مجموعة أخرى من الناس - على خلاف إرادتهم - ضحيّةً لإرادات الآخرين.

**والسؤال المطروح هنا هو**: ما الحكمة في تبلور هذه الظاهرة؛ ظاهرة لم يكن لإرادة الشخص المتألّم أو المُبتلى بها أيّ دور في حدوثها، بل إنّ وقوعها كان وفقاً لإرادة الآخرين التي تقع في طول الإرادة الإلهية؟

**والجواب أوّلاً**: أنّ شرّاً مثل هذا غير قابل للانفكاك عن الطبيعة، وافتراض نفي الشرّ عن الطبيعة في هذه الحالة يستلزم اجتماع النقيضين؛ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(٤٢).

**وثانياً**: أعدّ الحكيم العادل تَبَارَكَ وَتَعَالَى للمتألّم المبتلى نعماً وجوائز؛ مثل: منحه مزيداً من الصبر والجلد في دار الدنيا، ومزيداً من الأجر والثواب والأعواض الدنيويّة والأخروية المترتبة على ما أبلاه في الامتحانات والاختبارات الإلهيّة. وقد

تناولت الأحاديث الشريفة هذا الموضوع بتفصيل أكبر؛ حيث نجد قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «إن الله ليغذّي عبده المؤمن بالبلاء كما تغذّي الوالدة ولدها باللبن»(٤٣)، وعن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما كرم عبد على الله إلا ازداد عليه البلاء» (٤٤)، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنّ البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة» (٤٥)، ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إنما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه»(٤٦)، وعنه عليه السلام: «إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الأمثل فالأمثل» (٤٧)، ويقول أيضاً: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً»(٤٨)، وكان قد قال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عن نفسه: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»(٤٩)، ولا شكّ في أنّ البلاء من عوامل الاختبار الإلهيّ، وكما يعبّر القرآن الكريم: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٥٠)، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٥١)، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (٥٢). ومن الواضح أنّ الاختبار الإلهيّ يساهم في الكشف عن الواقع، والتعريف بالمحسنين والمسيئين من الناس، ويمهّد لتكامل الإنسان ورقيّه كما شاءت الإرادة الإلهيّة، كما أنّ الابتلاءات تطهّر القلوب من أدرانها، وكما هو مرويّ في الحديث الشريف: «ساعات الهموم ساعات الكفارات»(٥٣)، «السقم يمحو الذنوب» (٥٤)، كما تمثّل النوائب والبليّات جرس إنذار مستمرّ للإنسان، والعامل الوحيد الذي يوقظه بين الفينة والأخرى من رقاده وانغماسه في لذائذ الدنيا، فينتبه من غفلته، ويسلك طريق الهداية؛ يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (٥٥)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ

أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (٥٦)، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٥٧).

### حصيلة بحث الشرور:

تقدّم أنّ بحث الشرور باب واسع يتضمّن في طيّاته أبعاداً عديدة، وأنّ الملحدين حاولوا قدر جهدهم أن يصوّروا القضيّة وكأنها لا تنسجم مع بعض المعتقدات الأساسية التي يؤمن بها المتألّهون، وأنّ الموحِّدين ردّوا عليهم بأنّ جهل الإنسان بحكمة بعض الشرور ليس من شأنه أن يزلزل الإيمان الديني.

**وهنا، يمكن تلخيص ما تقدّم في النقاط الآتية:**

١. الشرّ - الذي يعني: النقص في أيّ موجود ممكن - هو أمر متحقّق، وغير قابل للزوال. وإنّ إنكار جميع ألوان النقص والعدم في «الممكن» لا يعني سوى تبدّله إلى «واجب الوجود»؛ وهذا جمع للنقيضين؛ لأنّ لازم هذا القول أن يكون ممكنُ الوجود بالذات واجبَ الوجود بالذات في الوقت الذي هو ممكن الوجود بالذات! وعليه: لا محيص عندئذٍ من الوقوع في اجتماع النقيضين.

٢. المراد من الشرّ وجود أمور توجّه الألم والضرر للإنسان؛ مثل: السيول والطوفانات والزلازل والسموم وما إلى ذلك. وطالما أنها لا تُلحق بالإنسان ألماً أو نَصَباً فهي لا تُعدّ من الشرور. وعليه فإنّ شرّيّة الشرور رهينة بما يعانيه أو يقاسيه الإنسان من أذاها.

٣. الشرور الأخلاقية وليدة الإرادة البشرية، ورفعها سهل يسير على الله جَلَّ وَعَلا، لكنّ هذا منحصر فيما لو انتفت إرادة الإنسان، وسُلبت منه، وبات مجبَراً على أفعاله، وهذا ما يتعارض مع الحكمة الإلهية. وبناءً عليه نقول: لقد خلق الله

سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ الإنسان بنحو حكيم، وهداه النجدين؛ سبيل الهدى (الخير) وسبيل الضلال (الشرّ) بالعقل أو النقل. والإنسان - بعد ذلك - مخيّر بإرادته بين سلوك سبيل الهدى والصلاح، فيجنِّب بذلك مجتمعه ويلات الشرور الأخلاقية، ويتسبَّب في تنعّمهم بالخيرات، وبين سلوك سبيل الغيّ والفساد بسوء إرادته، وتعريض مجتمعه إلى الفناء والاضمحلال. وقد يُستشكل هنا بالقول: أليس الله عَزَّ وَجَلَّ بقادر على أن يريد إنساناً يقوم بالعمل الصالح بمحض إرادة هذا الإنسان، ويتجنّب السيّء من الأعمال، وما يؤدّي إلى الشرّ والأذى؟ والجواب: بلى؛ إنّه قادر على ذلك عندما يبلغ الإنسان درجة العصمة، ويحوز مَلَكتها، أو حينما يتّصف بالعدالة في أقلّ التقادير، وهما درجتان يمكن للإنسان الوصول إليهما باختياره. فإذا بلغ الناس جميعاً باختيارهم مرتبة العصمة أو العدالة، فسوف يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن يفعل الناس جميعاً أفعالاً صالحة وعادلة بإرادتهم هم؛ من دون أن يتحقّق أيّ جبر أو إلجاء، وهو اليوم الذي تتبدّل فيه الدنيا إلى جنّة خالية من الشرور الطبيعية والأخلاقية إلا تلك الشرور التي تفرضها الضرورة المنطقية لعالم الطبيعة، واللوازم التي لا تنفكّ عنها عقليّاً؛ مثل: الموت. وإنّ العالم الذي يحتضن أيّام العدل الإلهيّ على يد المهديّ الموعود عليه السلام هو مصداق هذا الأمل والمبتغى الإنسانيّ؛ فعجّل الله لنا ظهوره، ونعّمنا بنمير خيره وعميم أمنه.

٤. الشرور الطبيعية من حيث ذات الحوادث التي تنطوي عليها أمر ذاتيّ للطبيعة، ولا ينفكّ عنها؛ فطالما كانت الطبيعة طبيعةً ففيها الحركة والتضادّ والتزاحم والتعارض والكوارث الطبيعية، لكنّ أيّاً من هذه الحوادث لن تُعدّ شرّاً ما دامت لم تُلحق ضرراً أو أذى بالإنسان. والسؤال هنا: لماذا تحقّقت هذه الكوارث (مثل: السيول والزلازل والطوفانات والأمراض والأوبئة وهلمّ جرّاً) بنحو ألحق

الأذى والضرر بالإنسان، فكانت شروراً؟ والجواب على هذا السؤال يرتبط بأعمال الإنسان الاختيارية؛ فالإنسان المعاصر نتيجةً إلى استخدامه المنفلت واللامسؤول لمصادر الطبيعة، وتصرّفاته وعبثه في الطبيعة قد أوغل في تلويث البيئة، وتسبّب في ظهور أمراض وأوبئة عصيّة على العلاج في عالمنا المعاصر. لقد تمادت بعض الشركات العالمية لتصنيع الأدوية في أفاعيلها، حتّى أجازت لنفسها إنتاج فيروسات، واختراع أمراض جديدة لا سابق لها؛ من أجل استقطاب مزيد من الأرباح والمكاسب المالية. فهل يجب بعد ذلك أن نعدّ هذه الشرور الطبيعية قادمة من الله جَلَّ وَعَلا، أو الحقّ أن ننسبها لإرادة الإنسان نفسه؟! نعم؛ كلّ ما يحدث في هذا العالم يعود في مآل أمره إلى الإرادة الإلهية القاهرة، لكنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ أراد أن يفعل الإنسان الخير أو الشرّ بإرادة هذا الإنسان، ليلقى جزاء أعماله. إنّ جانباً مهمّاً من الشرور الطبيعية ناتج عن أفعال الإنسان غير المشروعة؛ أفعالٍ ارتبطت بنتائجها وآثارها الدنيوية والأُخروية ارتباطاً تكوينياً وثيقاً؛ فلعلّ هذا السيل أو ذاك الزلزال أو التسونامي الذي ضرب داخل تلك المدينة دون حواليها وضواحيها مرتبط بما اقترفه أبناء هذه المدينة في حياتهم.

٥. اتّضح مما تقدّم آنفاً أنّ قضيّة الشرور ليست معضلة مبهمةً عصيّةً على التبرير العقلانيّ كما يرى الأشاعرة، ولا هي أمر ينفي الوجود الإلهي، ويدعونا إلى إنكاره كما يحلو للملاحدة والطبيعيين أن يصوّروه، ولا هي مشكلة فكريّة عويصة يجب أن تنتهي بنا إلى الثنوية والإيمان بإلهٍ للخير، وإلهٍ للشرّ. إنّ الشرور بأسرها وليدة إرادة الإنسان، وإنّ الإرادة الإلهية تقع في طول إرادة الإنسان من الأعلى.

## * هوامش البحث *

(1) Process Theology [م] .

(2) John Leslie Mackie [م] .

(٣) الكلام الجديد، عبدالحسين خسروبناه، ص ٧٦. [بالفارسيّة]

(٤) آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨-١٨٦٠م): فيلسوف ألمانيّ عُرف بفلسفته التشاؤميّة. كان يرى في الحياة شرّاً مطلقاً. [م]

(٥) نقد على عدم قابلية البرهنة على وجود الله، عسكري سليماني، ص ٣٢٥. [بالفارسيّة]

(٦) لاحظ: الله والاختيار والشرّ (God, Freedom and Evil)، ألفن بلانتينغا، ص ٣٢ [النسخة المترجمة للفارسيّة]. وقد ذهب بلانتينغا إلى أنّ الرسالة الكبرى التي تضطلع بها براهين إثبات وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هي تقديم المعتقد الديني بشكل معقلن. ويقول في هذا الصدد: «الواقع أنّ قلّةً من الناس اكتسبوا إيمانهم بالله لأجل ما تتحلّى به هذه البراهين من قوّة إقناعية ... وإنّ الواجب الأبرز للكلام الطبيعيّ (العقلانيّ) هو عرض المعتقدات الدينية في حلّة معقلنة، وقابلة للتبنّي». هذا، ولكنّنا أسلفنا في النصّ أنّ براهين الإثبات العقليّ لوجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الفلسفة والكلام مؤهّلة لأداء دور إقناعيّ عقلائيّ بعد تعاضدها مع فطرة البحث عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ناهيك عن عدم الحاجة إلى كلّ تلك البراهين العامّة بعد وجود تلك الفطرة.

(٧) العقل والإيمان الدينيّ، مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٨) نقد على عدم قابلية البرهنة على وجود الله، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٩) الله والاختيار والشرّ، مصدر سابق، ص ٤٠.

(١٠) لاحظ: العدل الإلهيّ، مرتضى المطهّريّ، ص ٥٣-٥٤ [النسخة الفارسيّة]. وهنا، تجب الإشارة إلى أنّ هذا البيان ماضٍ فيما لو أردنا أن نماشي الخصم في النقاش، وإلا فإنّ الذي يحصر معرفة الله في سلوك طريق النظم الحكيمة في الخلق أيضاً لن يواجه مشكلة في قضية الشرور إذا ما جهل التبرير المذكور؛ لأنّ بإمكانه الاستناد إلى النظام المدهش السائد على العالم في مجالات أخرى من الخلق، وإلى علمه اليقيني بحكمة الخالق، ثمّ يحمل حدوث الشرور على جهله هو.

(١١) الله والاختيار والشرّ، مصدر سابق، ص ٤١-٤٢؛ العدل الإلهيّ، مصدر سابق، ص ٩٠.

(12) John Leslie Mackie [م] .

(١٣) الله والاختيار والشرّ، مصدر سابق، ص ١٩٦.

(١٤) بطبيعة الحال، لا يؤمن كلّ الباحثين في هذا الحقل بوجود مفارقة منطقية، أو عدم انسجام بين ما ذكر أعلاه، بل الغالبية منهم أذعنوا بجود انسجام منطقي بين الإيمان بالله؛ لا من

باب المفارقة المنطقية، بل ببيان آخر مختلف.

(١٥) مقالة الشرّ والقدرة المطلقة، ماكي، الترجمة الفارسية المنشورة في مجلة كيان، السنة الأولى، العدد ٣.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) العقل والإيمان الدينيّ، مصدر سابق، ص ١٨٠.

(١٩) ذهب ماكي إلى أنّ منظومة علم اللاهوت (الإلهيات) المتداولة تستلزم عدم تقيّد القدرة الإلهية المطلقة حتّى بالمحالات المنطقية. ولهذا، عدّ الحلّ الذي سعى إلى تصوير «الخير الذي لا شرّ فيه» على أنه من المحالات المنطقية أمراً يُفضي إلى تقييد القدرة المطلقة. ولهذا فقد رفضه، ورأى أنه يُعدّ تراجعاً وانكفاءاً عن الإلهيات العرفية المتداولة. راجع: مقالة الشرّ والقدرة المطلقة، مصدر سابق.

(٢٠) مقالة: مواجهة مع ماكي في مقالته الشرّ والقدرة المطلقة، هادي الصادقي، مجلة كيان، السنة ٣، العدد ١٧.

(٢١) تجدر الإشارة إلى أنّ بعض البراهين التي أقامها الفلاسفة المسلمون تتحلّى بهذه الصفة؛ بخلاف الأدلة التي ساقها المتألهون في الغرب، فإنّ غالبيتها أو ربما جميعها لا يتمتع بهذه القطعية الفلسفية المشار إليها.

(٢٢) راجع مقالة: قضيّة الشر، ويليام وينرايت (William J. Wainwright)، الترجمة الفارسية المنشورة في مجلة كيان، السنة ٣، العدد ١٧، ص ٣٤ .

(٢٣) سورة الفلق: ١-٥.

(٢٤) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢٥) سورة الفرقان: ٣٤.

(٢٦) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢٧) سورة الإسراء: ١١.

(٢٨) سورة الشرح: ٥-٦.

(٢٩) سورة فاطر: ٤٣.

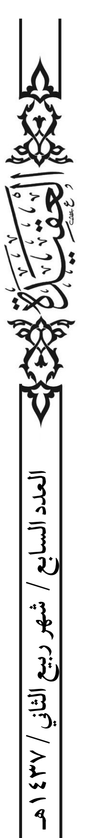
(٣٠) سورة الرعد: ١١.

(٣١) سورة الشورى: ٣٠.

(٣٢) سورة العنكبوت: ٣١.

(٣٣) سورة العنكبوت: ٣٤.

(٣٤) سورة العنكبوت: ٣٧.



(٣٥) سورة العنكبوت: ٤٠.
(٣٦) سورة هود: ١٠١-١٠٣.
(٣٧) سورة التوبة: ٧٠.
(٣٨) سورة يونس: ١٣.
(٣٩) سورة القصص: ٥٨-٥٩.
(٤٠) سورة الكهف: ٥٩.
(٤١) سورة الروم: ٩.
(٤٢) سورة البلد: ٤.
(٤٣) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٩٥، الباب ١، فضل العافية والمرض وثواب المرض وعلله وأنواعه.
(٤٤) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٢٨، الباب ١، وجوب الزكاة وفضلها.
(٤٥) مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٤٣٧، باب استحباب احتساب البلاء.
(٤٦) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٦٣، الباب ٧٧، باب استحباب احتساب البلاء.
(٤٧) المصدر السابق، ص ٢٦٢.
(٤٨) الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣، باب شدّة ابتلاء المؤمن؛ بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٥٥.
(٤٩) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٥٥، في مساواته يعقوب ويوسف.
(٥٠) سورة الأنبياء: ٣٥.
(٥١) سورة محمّد: ٣١.
(٥٢) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦.
(٥٣) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٢٤٤.
(٥٤) المصدر السابق.
(٥٥) سورة العلق: ٦-٧.
(٥٦) سورة الأعراف: ٩٤.
(٥٧) سورة الأعراف: ١٣٠.

